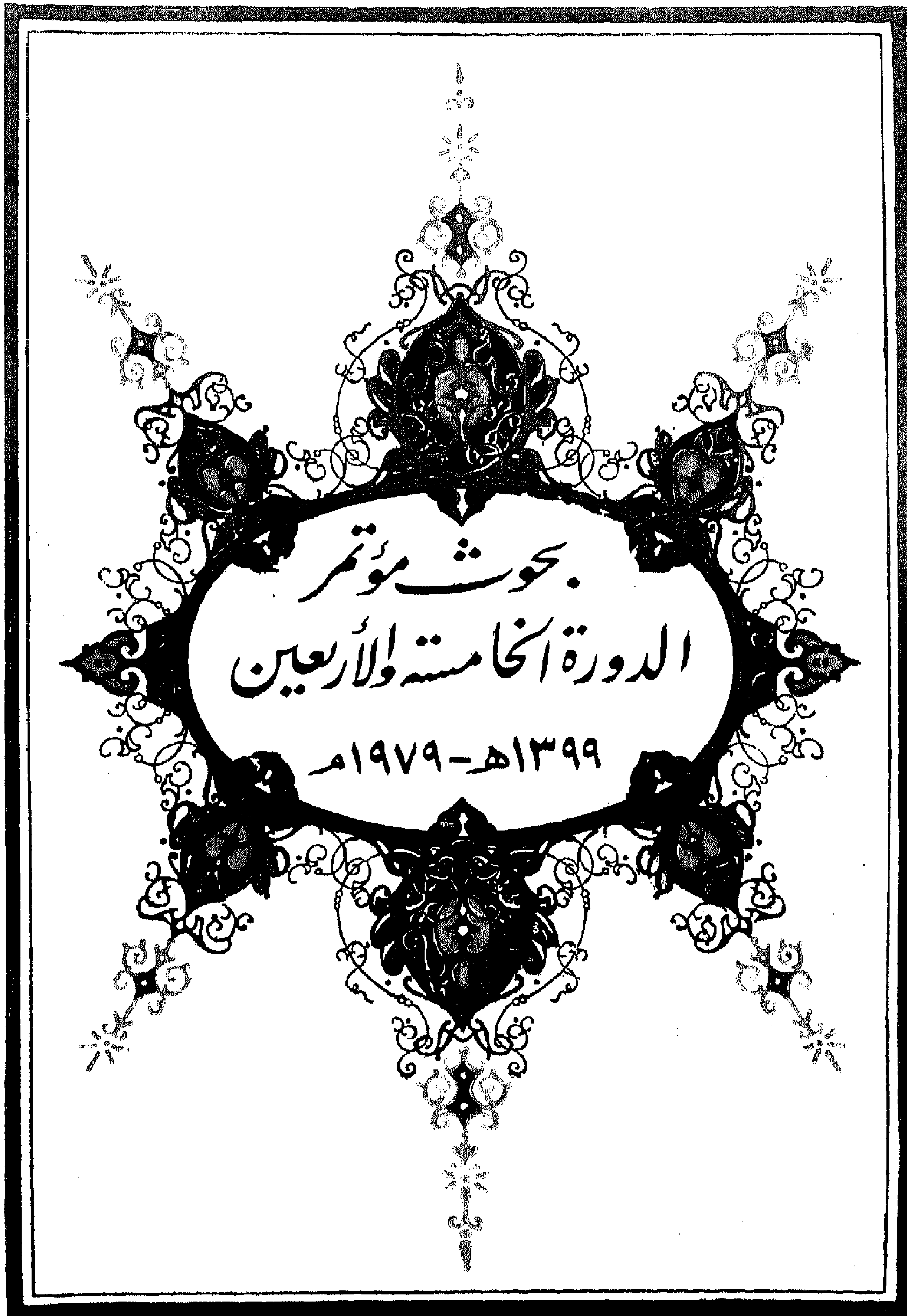
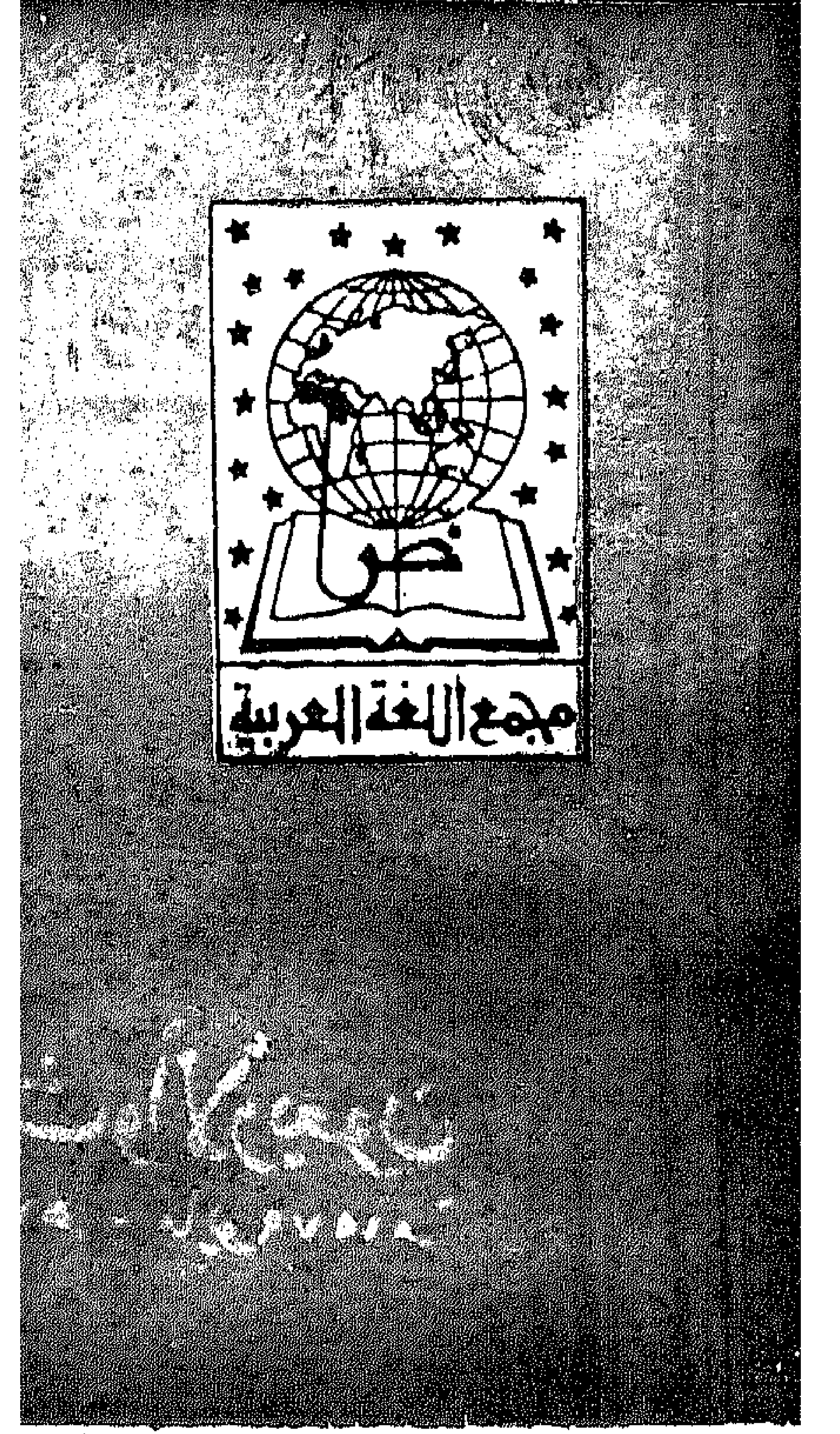
مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثالث والأربعون
جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ
مايو ١٩٧٩م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع الدكتور طه حسين
(مراد سابقا) بالجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الثالث والأربعون

جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ - مايو ١٩٧٩ م

المشرف على المجلة :

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

الفهرس



شخصيات مجمعية :



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم الترزى

تُعَدُّ اللغة العربية أعظم اللغات أصالة وحيوية؛ فجذورها قد امتدت فى أعماق الزمن قرونا بعد قرون، وهى مازالت ، وستظل ، تمتد أصولا وفروعا فى مختلف مجالات الحضارة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وهى — دون ريب — أشرف اللغات ، وحسبها أنّ الله تعالى اختارها لتكون اللسان المعبر عن ذكره الخالد الكريم .

ولغةٌ هذا شأنُها من الأصالة والحيوية والشرف جديرة بأن تبسط أجنحتها فى آفاق الآداب والعلوم والفنون ، وتُحلِّق بها من مستويات إلى مستويات ، مستشرفةً غايات بعد غايات ..

وهى جديرة — كذلك — بأن تنشط لها البحوث ، وأن ينهض بها أهلها لمسايرة الانطلاقات الحضارية ، المعاصرة والرائدة ، مُتَّبِعين فى دراساتهم أقوم المناهج ، التى تكفل لها الصحة والدقة ، فى الاستقراء والاستنتاج ، والتحليل والتعليل ، حتى تستقيم أحكامها اللغوية على أقدام راسخة من الصواب والسداد .

وإن مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، بلجانه العديدة ، وأعضائه العرب والمستعربين ، قد حمل أمانة هذه الرسالة ، وأدّاها ، وسيظل يؤديها ، على الوجه المنشود .

وفى كل مؤتمر مجمعى تكون كلمة الأمين العام للمجمع — التى يلقيها فى الجلسة الافتتاحية — خير شاهد على جهود المجمع وأوجه نشاطه اللغوى ، خلال عام ، وهى دائما — بحمد الله — كثيرة جليلة .

وهاهو الجزء الثالث والأربعون من مجلة المجمع (الخاص بمؤتمر الدورة الخامسة والأربعين) يطالعنا بكلمة للسيد وزير التعليم والبحث العلمى والثقافة الدكتور حسن إسماعيل ، وكلمة للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع ، أشار فيها إلى جهود المجمع فى معالجة قضية من أخطر قضايا العربية ، وهى قضية « تيسير النحو » ، كما يطالعنا بكلمة للدكتور مهدى علام ، الأمين العام للمجمع ، تعرض ماأنجزه المجمع فى مختلف مجالاته اللغوية ، وما حققه من صلات ثقافية ، فى مصر ، وخارج مصر ، وكلمة الأعضاء الأشقاء العرب ، التى ناب عنهم

فيها الدكتور عمر فروخ ، وهى – كما عهدنا – معبرة عن أواصر القربى ، والمشاركة فى خدمة لغتنا العربية انطلاقا من مجمع القاهرة . وقد تصدّت هذه الكلمةُ لتلك الهجمة الباغية ، المتجدّدة ، والمتَقلّوِلة ، التى يشنُّها دُعاة العامية على الفصحى ، وقد عاودت الظهور فى لسان الشقيق .

وتبرز فى هذا المؤتمر بحوث ثلاثة تتجه إلى ميدان لغة الإعلام ، فى وسائله المتعددة قديما وحديثا ، وهى بحوث « فجر الإعلام فى اللغة العربية » للدكتور عمر فروخ ، و « اللغة العربية ووسائل الإعلام » للأستاذ حسن عبد الله القرشى ، و « اللغة العربية ووسائل الإعلام : أترجمة أم عدوى لغوية ؟ » للدكتور إبراهيم السامرائى .

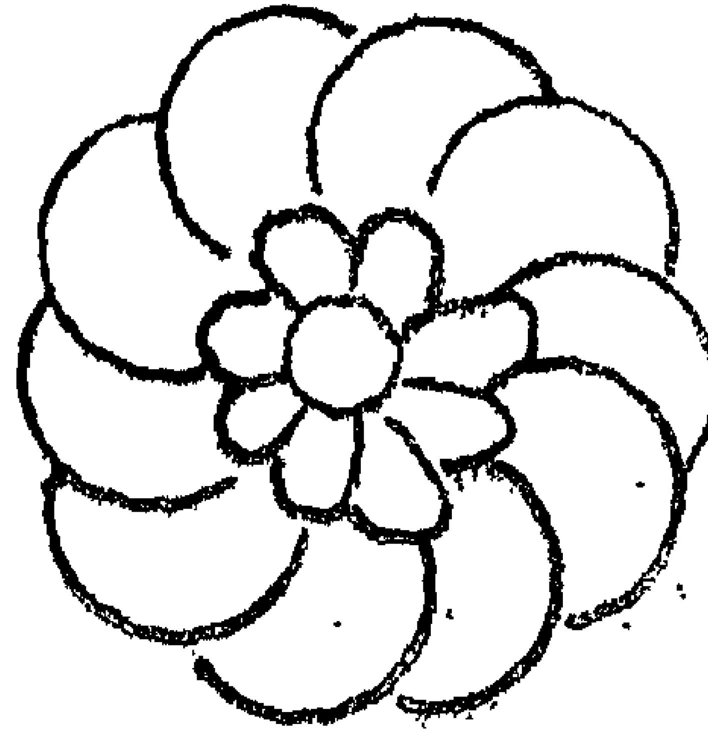
وإلى جانب هذه البحوث تمتدُّ السلسلة الذهبية ، من البحوث القرآنية ، التى بدأها المرحوم صاحب الفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج ، فنلتقى ببحث جديد للأستاذ على النجدى ناصف ، عنوانه « من تصريف الضمير فى القرآن الكريم » .

ونلتقى فى هذا الجزء من المجلة ببحثين لغويين آخرين ، هما : « قبل يكون .. وقبل أن يكون » للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، و « اللغة العربية فى خدمة علوم الأحياء » للدكتور محمود حافظ .

ولا تنسى بحوث هذا المؤتمر كُتّاب العربية الأفذاذ ، فيحدثنا الأستاذ سعيد الأفغانى عن « آخر ساجع فى بلاد الشام » ، كما لا تنسى ذخائر العربية النفيسة ، فيعرض علينا طُرفا منها الأستاذ عبد السلام هارون فى بحثه « من كناشة النوادر » .

وتُطِلُّ علينا إشراقات شعرية ، فى قصيدة الطبيب الشاعر الدكتور حسن على إبراهيم : « محمد رسول الله » ، وقصيدة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن « لغة تجمع القلوب على الحب » .

ابراهيم الترزى
رئيس التحرير



كلمة السيد الدكتور حسين إسماعيل
وزير التعليم والثقافة والبحث العلمي

فى افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية :
الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع :

إنه لشرف عظيم لى أن أفتتح مؤتمركم المجمعى : مؤتمر الخالدين من أعلام اللغة والأدب والعلم ، فى عالمنا العربى .

وإذا كان مجمعكم مجمع الأمة العربية كلها . . فإن مؤتمركم يتجاوز آفاقنا العربية إلى سائر الآفاق . . بأعضائه المراسلين ، الذين يمثلون أكثر بلدان العالم المتحضر .

وإن مؤتمركم بانعقاده الدورى السنوى يتصدى - دائما - لقضايا اللغة العربية ومشكلاتها فى عصرنا الحديث . . ويتابعها ويلاحقها . بهذه البحوث التى يعدها أعضاء المؤتمر ، وبما تقوم به لجان المجمع اللغوية من دراسات ، وما تصدره من قرارات . . لعلاج هذه المشكلات والقضايا . . فأنتم أطباء اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون لها دواءها . .

فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من علل ، أو يعتريها من ضعف . . وإذا بها تنهض وافرة الصحة والسلامة والعافية . لتؤدى رسالتها الخالدة فى كل مجالات الأدب والعلم والفن .

وهذا المؤتمر الدورى السنوى حين ينظر مئات المصطلحات العلمية والفنية ، ومواد المعاجم اللغوية ، التى يعدها مجمعكم كل عام . . يتابع - أيضا - ويلاحق الركب العلمى المعاصر ، بمستحدثاته ومخترعاته . . وهو - قبل هذا وبعده - يسير بنا خطوات وخطوات . . نحو غايتنا المنشودة . . وهى توحيد المصطلح العلمى العربى ، الذى يعد الأساس الأول لتعريب التعليم الجامعى . . وذلك هدف تتطلع إليه الأمة العربية ذات الماضى الحضارى العريق .

الأستاذ الجليل رئيس المجمع :
الأساتذة الأعضاء الأجلاء :

إن مؤتمركم حين يؤدى هذه الرسالة الهامة للغتنا العظيمة الخالدة . . لهو مؤتمر جدير بكل إشادة وتقدير .

وإنكم ببحوثكم الوافية الشافية لقضايا اللغة العربية ، وبالقرارات التى تصدرونها تيسيرا على الكاتبين والقارئين ، وتوسعة عليهم . . وبما تعدونه من المصطلحات فى مختلف العلوم والفنون . . إنكم بكل هذا رادة وقادة لمسيرة اللغة العربية ، ولسوف تستعيد بكم ما كان لها من مكانة علمية سامية .

تحية لكم أيها السادة ، ودعاء خالصا لمؤتمركم بالنجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين .

كلمة افتتاح المؤتمر
للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتى ، سادتى :

إنى لأشكر باسمى واسم السادة الزملاء جميعا السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمى على كلمته الطيبة ، وأشاركه تمام المشاركة فى الترحيب بضيوفنا الكرام أعضاء المجمع العاملين والمراسلين . وقد لبى دعوتنا مشكورا جمع منهم نعتز به ونعول عليه ، ولم يتخلف إلا من قعدت به ظروف خاصة .

سيداتى ، سادتى :

يشتمل برنامج مؤتمرنا هذا على ثمار جهود مجمعنا فى عام كامل ، منذ المؤتمر الأخير إلى اليوم ، وسيتولى زميلى الدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع إعطاء فكرة واضحة عنها . وأود أن أقف قليلا عند نقطة واحدة من قضايا هذا المؤتمر ، وهى فى الواقع قضية قديمة نوعا ؛ عنيت بها وزارة المعارف المصرية منذ خمسين سنة تقريبا ، وكان على رأسها المرحوم بهى الدين بركات الذى كون لجنة من كبار رجال اللغة العربية بالوزارة ، ومن بعض كبار أساتذة الأدب واللغة فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ؛ وطلب إليها أن تعالج مشكلة تيسير القواعد النحوية والصرفية والبلاغية . وقد أثيرت هذه المشكلة من قبل ، وقدمت لها حلول ، من أخصها كتاب «قواعد اللغة العربية» لحفنى ناصف ، وكتاب «النحو الواضح» لعلى الجارم . ولكنها لم تعالج رسميا إلا على أيدى بهى الدين بركات ، وانتهت اللجنة التى كونها إلى مقترحات كانت محل أخذ ورد .

وفى عام ١٩٤٢ رأت وزارة المعارف أن تحيل هذه المقترحات إلى مجمع اللغة العربية ، وعهدت إليه أن يدرس ما من شأنه أن ييسر قواعد النحو والصرف على الناشئة ، وفى العام نفسه ألف المجمع لأول مرة «لجنة الأصول» ، ووكل إليها دراسة الموضوع برمته ، وقضت فى درسه نحو عامين ، ووقفت على كل ما أثير حوله من بحوث . وفى عام ١٩٤٥ خصص مؤتمر المجمع عدة جلسات لدراسة هذا الموضوع ، وأخذ بمعظم ماذهبت إليه لجنة وزارة المعارف من مقترحات . وأشار خاصة إلى ضرورة أخذ معلمى اللغة العربية بهذه المقترحات ، وإيمانهم بها ، وتدريبهم عليهم . وطلب إلى الوزارة وضع كتب على أساسها ، وأبدى استعدادا تاما لمراجعة هذه الكتب وتدارك ماقد ينقصها ، وتحمل قدر من مسئولياتها . ولم تستجب الوزارة لهذه الرغبة ، برغم متابعة المجمع لها وإلحافه فى السؤال عنها .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والاربعين .

وبقى مشروع التيسير فى مرقده ، ولم يبعث إلا عام ١٩٦١ إبان الوحدة بين سوريا ومصر ، ويظهر أنه بعث على عجل ، فلم تعرض كتبه على المجمعيين ، ولم يهيأ معلم اللغة العربية للاقتناع به . وربما يكون قد مسه لفحة من لفحات السياسة فى جو الوحدة الذى أشرنا إليه ، وما أقسى اللفحات السياسية بوجه عام . وبذا قضى على هذا المشروع فى مهده . ولكن المجمعيين لم يغفلوه ، ومضت لجنة الأصول بمجمع القاهرة فى طريقها منذ أنشئت ، محاولة تيسير ماترى ضرورة تيسيره من قواعد اللغة وأصولها ، وانتهت فى ذلك إلى قرارات يعتد بها . وفى عام ١٩٧٦ نظم اتحاد المجامع ندوة بالجزائر حول « تعليم النحو العربى » ، وأجمعت فيها المجامع الثلاثة القائمة حين ذاك على ضرورة هذا التيسير ، ورسمت قدرا من خطوطه . وفى نوفمبر الماضى عقد اتحاد المجامع ندوة أخرى بعمان دارت حول « تعليم اللغة فى ربع القرن الأخير » ، وقدمت فيها دراسات ممتعة انصبت على معظم البلاد العربية ، وانتهت إلى توصيات تدعو إلى التوسع فى إعداد معلم اللغة العربية إعدادا علميا وفنيا يمكنه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

وطوال العامين الأخيرين وقفت لجنة الأصول بمجمعنا معظم جهودها على مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية على الناشئين . وانتهت إلى مشروع أقره مجلس المجمع أخيرا ، وهو الآن تحت أنظار المؤتمر .

ودون أن أدخل فى تفاصيله أحب أن أشير إلى أمرين هامين : أولها أنه جاء فى حينه ، وثانيهما أنه رسم للتيسير خطوطا عملية محددة وواضحة . أقول إنه جاء فى حينه ، لأن مشكلة تيسير تعليم اللغة العربية تشغل اليوم المجلس القومى للتعليم ووزارة التعليم نفسها فى آن واحد . وفى كل منهما لجنة متخصصة تقلب الموضوع على مختلف وجوهه ، وأقول أيضا إن فى المشروع المعروض على المؤتمر مادة صالحة لوضع كتب النحو الملائمة ، وأملى كبير فى أن تفيد منها اللجان المعنية الفائدة المرجوة .

سيداتى ، سادتى :

لقد قيل وبحق: «إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى لما فيه من دقة فى الملاحظة ، ونشاط فى جمع ماتفرق ، وهو بهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ، ويحق للعرب أن يباهوا به » . ولا أظن أن نحوا فى لغة ما ، قديمة أو حديثة ، صادف من العناية ماصادفه النحو العربى ؛ نشأ فى أخريات القرن الأول الهجرى ، وبقى ينمو ويتكون فى القرون التالية . فعمق بحثه وتعددت مدارسه ، وأفاد من الدراسات الإسلامية المعاصرة ، نقلية كانت أو عقلية . ففيه أدب ولغة ، ومنطق وفلسفة ، ولمحات من مناهج الفقهاء وآراء المتكلمين . ويمكن أن يقال إن دراسة علوم العربية ، فيما بين القرنين السادس والثالث عشر للهجرة لتكاد تقتصر عليه وحده ، وكان حظه من التعلم

والتعليم فوق حظوظ الدراسات الإسلامية الأخرى . والمجمعيون حريصون دون نزاع على حماية أصوله والاستمساك بمبادئه ، ويشجعون ما استطاعوا كل دراسة جادة وأصيلة تدور حوله .

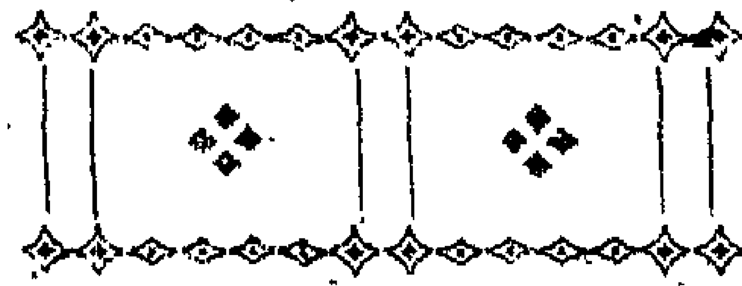
بيد أن هذا النحو فى سعته وتعمقه إن لاءم الخاصة ، فإنه لايلائم العامة بحال ، وقد انقضى زمن أرستقراطية العلم والتعلم ، وأصبحنا نؤمن ونسعى جميعا إلى ديمقراطية التعليم وشعبيته . وباسم هذه الديمقراطية ندعو إلى تيسير تعليم العربية ، والوقوف عند أضيق الحدود الممكنة فيما يقدم للناشئين من قواعدها . وهذا هو الاتجاه السائد فى تعليم اللغات العالمية الكبرى ، ولن يحول هذا دون أن يتوسع المختصون فى دراسة النحو العربى والتعمق فيه . واللغة نطق وتعبير ، حديث واستعمال ، كتابة وقراءة ، ومن أحسن ذلك قبل أن تجـــول بخاطره قاعدة نحوية أو صرفية . ونحن نريد للعربية السهلة السليمة أن تكون لغة أبناء العربية جميعا ، فى البيت والمدرسة ، فى الحقل والمصنع ، فى الديوان والمكتب . فلنيسرها لهم ، ولنحببها إلى قلوبهم ، ورب درس فى القراءة والمطالعة أو فى المحفوظات والمحادثة يكون أجدى على صغار التلاميذ من ساعات تنفق فى شرح قاعدة نحوية أو صرفية غامضة ، لايلبث التلاميذ أن ينسوها بعد أن عرفوها .

أيها السادة

هذه هى إحدى مشكلات تعليم اللغة العربية وتيسيرها ، ونحن نريد لها أن تحتل عن جدارة مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى ، وهناك اتجاه ملحوظ فى العالم الناهض نحو تعلمها ، وفى تيسيرها مايعين على نشرها ، فسيروا فى طريقكم ، والله يوفقكم . ولايفوتنى أن أبعث باسمكم إلى السيد الأمين العام للجامعة العربية خالص الشكر على تفضله بوضع هذه القاعة الفخمة تحت تصرفنا فى جلسة الافتتاح هذه ، وستكون جلساتنا التالية فى دارنا ، والكلمة الآن للسيد الزميل الدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



المجمع بين مؤتمرين

للدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد وزير التعليم والثقافة والبحث العلمى .

السيد رئيس المجمع .

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر .

سيداتى وسادتى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد، فإن هذا المؤتمر المجمعى الذى نعقده كل عام ، هو عكاظ العصر الحديث للغتنا العريقة ، التى تمتاز بأنها عاصرت نحو عشرين قرنا من الزمان ، وهى فى أصولها متحدة متسابة نفهم منها اليوم بمثل ماكان يفهم أهلها قديما — فيما عدا الألفاظ التى يستحدثها كل عصر .

ولا كذلك زميلاتها فى القدم كاللاتينية واليونانية ، فليس لها صفة الحياة المستمرة التى للعربية .

وفى رحاب هذا المؤتمر يلتقى أعضاء المجمع المصريون وإخوانهم العرب ، وزملاؤهم من جهابذة الفصحى وسدنتها فى مختلف بلاد العالم ، شرقه وغربه يلتقون هنا فى القاهرة ، على مدى أسبوعين ، يعرض فى أثنائهما ما أنجزته لجان المجمع ، وأقره المجلس ، منذ المؤتمر السابق .

كما تلقى — فى المؤتمر — بحوث ودراسات ، وتناقش آراء ومقترحات ، تؤتى أكلها كل عام قرارات وتوصيات . . تهدف إلى رفعة الفصحى ، وسيادتها فى مختلف مجالات الأدب والعلم والفن .

ولا يفوتنى — قبل أن أعرض لأوجه النشاط المجمعى فى خلال عام — أن أشارك فى الترحيب بكم ، مشفوعا بالشكر لزملاء قدموا إلينا من بلادهم ، للإسهام فى مؤتمر مجمعهم بالقاهرة .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر السابق إحدى عشرة جلسة . واحدة منها علنية هى جلسة الافتتاح ، والعشر الأخرى مغلقة ، نظر فيها أعضاء المؤتمر أكثر من ألف مصطلح ، فى الفيزيقا ، والجيولوجيا ، وجيولوجيا النفط ، والكيمياء والصيدلة ، والهيدرولوجيا ، والقانون المدنى ، والتربية وعلم النفس ، وطائفة جديدة من ألفاظ الحضارة الحديثة ، وطائفة جديدة — أيضا — من مواد المعجم الكبير (من الثاء والميم وما يثلثهما إلى آخر الجيم والتاء وما يثلثهما) .

وقد أقر المؤتمر هذه المصطلحات العلمية ، والألفاظ الحضارية ، والمواد المعجمية ، إلا قليلا أقره بعد تبديل وتعديل .

(*) ألقيت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والاربعين .

كما أقر المؤتمر السابق من أعمال لجنة الأصول : موضوع تتابع الأعلام دون ذكر « ابن » وموضوع قياس « فعل » مصدرا كـ « المفعول » لـ « فَعَلَ » اللازم .

وأقر من أعمال لجنة الألفاظ والأساليب مايلي :

- أبدا في معنى النفي للماضي .
- القيد بمعنى التقييد .
- المديونية .
- هذا المنزل آيل للسقوط .
- يلعب الكرة .
- تراوح الشيء بين كذا وكذا .
- غش في الامتحان .
- عزف لحنا .
- أدانت المحكمة فلانا ، أو حكمت المحكمة بالإدانة .
- أمعن النظر ، وأنعم النظر .

ونظر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات تقاريرها في ظاهرة الإسكان ، والإفادة من المقطعية في تدريس العربية ، وبحثا في معنى «لغة الضاد » ، وطائفة من المصطلحات اللغوية .

وكان حظ المؤتمر السابق من بحوث الزملاء عظيم السخاء ، فقدم إليه خمسة عشر بحثا أكثرها في اللغة : فصحى وعامية ، وما بينهما من وشائج وصلات وبعض هذه البحوث في الدراسات القرآنية ، والجغرافية والموسوعية ، والتراجم ، والشعر الجاهلي .

وقد أنهى المؤتمر أعماله بإصدار القرارات والتوصيات التالية :

- تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا بمراجع عربية حديثة وافية ، وقيام الأستاذ بواجبه قياما حقا نحو مادته ولغته وتمكين الطالب من لغته القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية تربطه بسير العلم وتقدمه .
- توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والأفراد يعمد إلى إصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون ، والمؤتمر يوصي بأن يترك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على أن ينسق ذلك في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .
- يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف ، على ألسنة العاملين في الإذاعات : المسموعة والمرئية ، لذلك يوصي المؤتمر بأن تعنى وزارات الإعلام بتدريبهم على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في هذا الميدان .
- مازال الكتاب المدرسي العربي ، في حاجة إلى إخراجه بصورة تجتذب الطلاب ،

وتحببه إليهم كنظائره فى البلاد الأجنبية ، والمؤتمر يوصى وزارات التربية والتعليم فى العالم العربى بأن تحرص على تحقيق ذلك فى الكتاب المدرسى كحرصها على اختيار موضوعاته ، وضبط كلماته .

– تقارب اللهجات الدارجة فى العالم العربى فى العشرين سنة الماضية ، تقاربا ملحوظا وللمدرسة والمدرس شأن فى ذلك ، ولوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة ومسرح وسينما شأن أوضح . وما أجدرنا أن نتعهد ذلك ونرعاه ، حتى يزداد تقارب اللهجات العربية الدارجة ، ويكون ذلك سبيلا للعمل على تضييق شقة الاختلاف بينها وبين الفصحى ، وهو هدف منشود .

– يشجع المؤتمر مابدأته وزارة الثقافة والإعلام بمصر ، من إقامة أمسيات شعرية ، لأعلام الشعراء ، ويحثها على المضى فى هذا السبيل ، ويأمل أن تأخذ بذلك وزارات الثقافة والإعلام فى وطننا العربى ، ففيه إحياء لتراثنا الشعرى لدى أبناء هذا الجيل وترغيب لهم فيه ، فيقبلوا عليه ، ويفيدوا منه .

* * *

– تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية العربية ، واتحاد المجامع والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ووزارات التربيــة والتعليم والثقــافة والإعلام ، فى العالم العربى جميعه .

أعمال المجلس واللجان :

عقد مجلس المجمع إحدى وأربعين جلسة .

منها ثلاث علنية ، استقبل فى إحداها الزميل الجغرافى الكبير الدكتور سليمان حزين وأبن فى الجلستين الأخريين الزميلين الجليلين : العلامة الفقيه صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ على الخفيف ، والفيلسوف الكبير المرحوم الدكتور عثمان أمين .

أما الجلسات الأخرى التى عقدها المجلس فقد كانت مغلقة ، جدد فى إحداها انتخابه لرئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور ، وانتخب فى أخرى أربعة من الزملاء الجدد هم : الأستاذ الدكتور مجدى وهبة ، وصاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى ، والأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ، والدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله .

كما شرف مجلس المجمع – مشكورا – باختيارى ممثلا لمجمع القاهرة – مع الدكتور الرئيس إبراهيم مدكور – فى اتحاد المجامع اللغوية العلمية ، الذى يضم مجامع : القاهرة ، ودمشق، وبغداد ، والأردن .

ونظر مجلس المجمع فى جلساته المغلقة نحو ألف وخمسمائة مصطلح ، فى الكيمياء والصيدلة ، والطب، والجيولوجيا ، والنفط

والفيزيقا، والنبات، والحيوان، والرياضة، والهيدرولوجيا، والقانون التجارى، والتربية وعلم النفس والتاريخ وطائفة جديدة من مصطلحات الفنون، وكانت خاصة بالفن السينمائى.

كما نظر المجلس قرارات لجنة الأصول، ولجنة الألفاظ والأساليب، ولجنة اللهجات، وكل ما أقره مجلس المجمع من هذه المصطلحات، وألفاظ الحضارة الحديثة، وقرارات اللجان اللغوية، قد أعد لتقديمه إلى المؤتمر، مع مواد جديدة أعدتها لجنتا المعجم الكبير.

مسابقة المجمع الأدبية :

فصلت لجنة الأدب فيما قدم إليها من بحوث فى موضوع مسابقتها فى الدورة المجمعية السابقة، وهو : «الدكتور محمد كامل حسين : مفكرا وأديبا». وفاز بالجائزة الأولى السيد محمد الجوادى، ورأت اللجنة أن بحوث السادة : فكرى الخولى، وعبد الوهاب العفيفى، وإميل توفيق، فى منزلة متقاربة، فضمت قيمة الجائزتين : الثانية والثالثة، ووزع ثلثها على كل منهم، باعتبارها جائزة ثانية مكررة.

وقررت لجنة الأدب – بموافقة المجلس – أن تشارك فى عام الطفولة، الذى خصص هذا العام فجعلت موضوع مسابقتها فى هذه الدورة : «الطفولة فى الأدب العربى».

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع فى هذه الدورة :

– الجزء السادس من «التكملة والذيل والصلة» للصغانى، وبه يكتمل هذا المعجم اللغوى الفريد.

– القسم الأول من الجزء الرابع لديوان الأدب للفارابى، وهو يتضمن بقية المادة اللغوية للكتاب. أما القسم الثانى منه – وهو خاص بفهارسه – فتوشك المطبعة ان تفرغ من طبعه ونشره.

– الجزء الثالث من كتاب الأفعال للسرقسطى.

– المجلد العشرين من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية.

– الأجزاء : السابع والثلاثين، والثامن والثلاثين، والتاسع والثلاثين، من مجلة المجمع.

– أحاديث مجمعية.

– محاضر مجلس المجمع فى الدورتين : الثانية والأربعين والثالثة والأربعين.

– محاضر مؤتمر المجمع وبحوثه فى الدورتين السابقتين.

ويواصل المجمع نشر محاضر جلساته وبحوثه فى دوراته الماضية، وقد أصدر منها هذه الدورة محاضر الدورتين : العشرين، والحادية والعشرين.

صلات المجمع الثقافية :

لايدخر المجمع وسعا فى تدعيم صلاته الثقافية بالمجامع ، والهيئات والمنظمات والمؤسسات التى تتصل برسالته من قريب أو بعيد ، ويحرص على الإسهام فيما يدعى إليه من مؤتمراتها وندواتها . وقد شرفنى مجلس المجمع باختيارى لإعداد كلمة باسمه، تلقى فى حفل افتتاح «أكاديمية الآداب» بباكستان ، الذى أقيم فى الحادى والثلاثين من يناير السابق .

والمجمع يتلقى بين الحين والحين عديدا من المصطلحات والدراسات ، من هيئات ومنظمات وباحثين ، فيحيلها على لجانه المختصة ، لتنظرها ، وتعرض ماتراه فيها من آراء على مجلس المجمع .

وللمجمع صلة وثقى باتحاد المجامع ، وقد شارك فى الندوة التى عقدها الاتحاد بالأردن فى المدة من ٣١ من أكتوبر إلى ٤ من نوفمبر فى العام السابق ، وكان موضوعها : "تعليم اللغة العربية فى ربع القرن الأخير". ومثل المجمع فى هذه الندوة رئيسه ورئيس اتحاد المجامع الدكتور إبراهيم مدكور ، وكان لى شرف تمثيل المجمع معه فى هذه الندوة . ولايفوتنى أن أنوه بأن الملك حسين — ملك الأردن — قد تفضل برعاية الندوة ، وألقى كلمة فى حفل افتتاحها ، وأنعم بأوسمة رفيعة على رؤساء مجامع : القاهرة ، ودمشق ، وبغداد .

سيداتى سادتى :

مازالت جوائز الدولة التقديرية — وسوف تظل — تُكرِّم المجمعين ، وتُكرَّم بهم ، ويحظون بشرف الفوز بها ، وتحظى هى بشرف الخلود مع الخالدين .

وكم يسعدنا أن نهنئ زميلنا العالم الكبير الدكتور محمود حافظ بحصوله على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم ، عام ١٩٧٨ .

سيداتى سادتى

قبل أن أنهى كلمتى أكرر ترحيبى بكم ، وشكرى لكم ، آملا أن نلتقى فى مؤتمرنا القادم — إن شاء الله — بمن اعتذر من السادة الزملاء ، وهم : الأستاذ على الفقيه حسن (عضو المجمع من ليبيا) ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى (عضو المجمع من العراق) ، والأستاذ حمد الجاسر (عضو المجمع من السعودية) ، والأستاذ رودلف زلهايم (عضو المجمع المراسل من ألمانيا الغربية) والدكتور محسن مهدى (عضو المجمع المراسل من العراق) .

وختاما أسأل الله تعالى أن يرعى مؤتمرنا بترفيقه ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة الأعضاء العرب
للدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان

فى كل عام يلقى على مثل هذا المنبر مثل هذا الخطاب الذى يدور حول اللغة العربية؛ لأنه يلقى بإذن مجمع اللغة العربية، فهل فى اللغة العربية مجال واسع لموضوع فى كل عام إلى ما شاء الله من امتداد سلسلة الزمن ؟ أجل إن للغة العربية فى أقطارها المختلفة مثل هذا المجال الرحب لموضوعات لاتتناهى ، ذلك لأن الأحوال المحيطة باللغة العربية خاصة — تزودنا دائما بموضوعات جديدة فى كل عام.

والموضوع الذى تركته ورائى ثائرا فى بيروت هو الموضوع الذى فتحت صدرها له جريدة « النهار » تجربة الكتابة باللغة العامية عمليا (ففى اليوم بعد اليوم) تنشر جريدة « النهار » البيروتية مقالا أو مقالين طويلين أو قصيرين فى تبرير تقعيد اللهجة العامية أو فى تجربة موضوع من القصص أو الوصف أو البحث فى لهجة عامية :

والذى حملنى على أن أنقل هذا الموضوع من بيروت إلى القاهرة أن هـــذا الموضوع قـــد أثير فى زمن باكر . فى القـــاهرة، وقـــد قيل لى إن جريـــدة قاهرية قـــد فعلت منذ أمـــد يسير ما تفعله جريـــدة « النهار » البيروتية اليوم . ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أقرب الشر من الشر !

هاتان حجتان وجيهتان جدا يتمسك بهما دعاة العامية عندنا فى لبنان ، ذلك لأن مصر كانت منذ صدر الإسلام — برغم تقلب الدول والأحوال — منارة يهتدى بها المسلمون فى جميع أقطارهم وهم بذلك على حق .

إن الخير الذى يهمى على مصر تنال منه البلاد الإســـلامية كلها ، وإن الشر الذى يصيب مصر يشقى به المسلمون فى جميع أقطارهم . ولا شك فى أن مصر كانت وما تزال تعى أثر هذه المكانة فى أحداث الشرق كله . وإذا كان الله قد أنعم على مصر بهذه النعمة العميمة فشكر الله على هذه النعمة هو المحافظة عليها . واللغة العربية تنطوى فى هذه النعمة الجليلة على مصر :

إن هذه المقدمة التى ترون أنها طالت تنقلنى إلى بلاد بعيدة جدا : إلى الدنمرك واسوج ونروج وايسلندة . كانت هذه البلاد مملكة واحدة ، وبلادا يحكمها حاكم واحد؛ لأنها كانت تكتب لغة واحدة وإن كانت تتكلم لهجات لاعداد لها :

(*) ألقيت هذه الكلمة فى حفل افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين.

وبالأمس القريب كان أوسكار الثانى ملك اسوج ونروج ، ثم لما كتب النروجيون لهجتهم المحلية آثروا أنتكون لهمدولة خاصة بهم،وأثار أحد أدبائهم مشكلة غريبة فقال : إن بلاد النروج لاتدعى « نورغه » كما كان مألوفا فى لغتهم الجامعية بل « نورنخ » فما أشقى قوما لا يعرفون اسم بلدهم .

وحينما نقول كلاما من المجاز المرسل . ليست كل وزارة مسئولة عن اللغة العربية وليست كل مؤسسة مسئولة عن الحفاظ على هذه اللغة،وإن كانينتظر من كلوزارة ومن كل مؤسسة أن تقوم بقسطمن ذلك يزيد وينقص بين كل وزارة وأختها،وبين كل مؤسسة ونظيرتها ، وغنى عن البيان أن نقول إن ثقل هذا العبء ملقى على عاتق وزارات التعليم وعلى عاتق مجمع اللغة العربية.

وكان دعاة التجديد يزعمون أن الذين يريدون الحفاظ على اللغة العربية الفصحى لا يسايرون الزمن ، ولا يدركون حاجة الناس إلى الجديد من القول وإلى الحديث من الحديث .

غير أن هذا الحكم ظالم فاشل وغافل أو جاهل . إن مجامع العربية وإن مراكز التعريب فى البلاد العربية قد وضعت مئات الألوف من الألفاظ الجديدة فى قوائم مفصلة ، أو فى قواميس قد طبعت ثم نشرت على الناس لمعظم نواحى الحياة العلمية والعملية،فى الرياضيات والكيمياء،وفى علم الحياة وعلم الطب،فى الفلسفة وعلم النفس وفى الحياة الحضارية من المنزل إلى المتجر إلى مجالس السمر وخزائن الثياب . وأنا واثق من أن مجمع اللغة العربية يسره أن يرى عالما أو أديبا يضع لفظا شائعا أو مصطلحا موافقا فى كل موضوع يعرض فى أحاديث أبناء هذه اللغة الشريفة وفى تدوين آرائهم وبحوثهم :

إن كلمة الجبر والمقابلة فى الرياضيات ، وإن كلمتى الانكسار والانعطاف فى علم الضوء من الفيزياء أو الطبيعية ، وإن كلمات الاستحسان والاستدلال والمصالح المرسلة فى الفقه ، وإن كلمة المزاج أو الوباء أو قارورة الماء فى الطب ، وإن كلمة جريدةوكلمة مجلة فى الصحافة،لم تضعها مجامع علمية أو لغوية ، ولكن وضعها أفراد قد أصابوا فى وضعها وأحسنوا؛ فلاقت رواجا واسعا . وكذلك لا تساء المجامع العلمية إذا عرب أحد الناس لفظا أو مصطلحا؛فالذى نقل لفظ بولك الأشورى إلى لفظة « فلك » أو لفظــة « اندازه » الفارسية إلى كلمة « هندسة » والذى ترك كلمة « جغرافية » على لفظها اليونانى ولفظة دينــار على لفظهــا اللاتينى لم يغضبوا مجامع اللغة العربية ؛ ذلك لأن

اللغة لا تؤتى من قبل الألفاظ ولكن من قبل التراكيب .

إن الذى جعل اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية مختلفة عن اللغة اللاتينية ، ثم جعل بعضها مختلفا عن بعض لم يكن الألفاظ ، فإن ثلاثة أرباع الألفاظ فى هذه اللغات واحدة . ولكن الذى صنع الاختلاف فى هذه اللغات هو التركيب المختلف بينها وقواعد التصريف . وإن أربعين من المئة من الكلمات الإسبانية والبرتغالية — أو قريبا من ذلك — يرجع بأصله إلى اللغة العربية . ومع ذلك فقد ظلت الإسبانية إسبانية ، والبرتغالية برتغالية ، ولم تصبح إحداهما عربية . وفى اللغة الإنكليزية نحو أربعمائة كلمة من العربية ، ومع ذلك فمازالت اللغة الإنكليزية إنكليزية . وحينما نقول « أعضائى محترمان مجلس ملى ايران » أو « اعضاء محترملر مجلس » لا نحكم على تينك الجملتين بأنهما غير عربيتين بألفاظهما فإن ألفاظهما كلها عربية . ولكننا نقول إن الأولى فارسية والثانية تركية لأن التركيب وقواعد التصريف فيهما (صيغة الجمع مثلا) غير عربية . ونشأ فى الشعر الفارسى وفى الأدب التركى فن اسمه الملامع يورد شاعره فى قصيدته أحيانا أشطرا عربية أو أبياتاً عربية تامة . ومع ذلك تظل قصيدته فارسية أو تركية وتكون الأبيات العربية فيها دخيلة .

أما الهجمة على اللغة العربية فإنها قديمة جدا وهى فى حقيقتها جانب من هجمة عامة على الإسلام دينا وسياسة وتشريعا . وأشد عناصر هذه الهجمة أن الأعداء يقعون بين الحين والحين على عربى يقبل أن يكون ستارا — عن غفلة منه أو عن وعى — يقاتلون من ورائه .

وقد يتفق أن تضعف دولة إسلامية فينقلون ميدان المعركة إليها . وقد تقوى الدول كلها فتفتر هذه الهجمة قليلا أو كثيرا . غير أن التبسط هنا ينقلنا إلى الحقل السياسى ، ومجمع اللغة العربية مؤسسة تشريعية لامؤسسة تنفيذية ، فالسلطة التنفيذية وحدها هى السلطة التنفيذية .

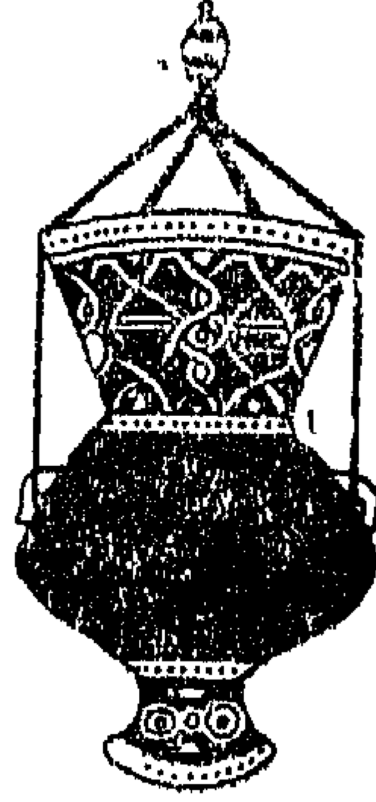
بقى لى من الجانب العلمى فى الموضوع كلمة هى أن أسلوب تعليم اللغة العربية اليوم مسئول إلى حد كبير عن ضعف اللغة العربية على ألسنة قومنا ، وعلى أقلام قومنا . إن اللغة العربية لغة هجائية يلفظ كل حرف فيها لفظا واحدا حيثما وقع فى الكلمة الواحدة أو فى الكلمات المختلفة ، ولكن نفرا كثيرين من المدرسين ينتهجون فى تدريس اللغة العربية سبيل الطريقة الصوتية أو سبيل الطريقة الجملية وهذا خطأ على اللغة العربية أحببت أن أشير إليه هنا ، ولا أريد التبسط فيه ، لأن التبسط فيه خارج عن حدود هذه المناسبة »

أيها الزملاء والإخوان :

نحن مطمئنون إلى مناعة اللغة العربية فهى لغة تكثر فيها عناصر الحياة . إن القرآن الكريم قد صنع للغة العربية فى سنة البقاء وسلم القوة ونطاق الانتشار مالم تستطع التوراة، ولا استطاع الإنجيل، أن يصنعا للغة العبرية واللغة الكلدانية واللغة الآرامية، ولا للغة اليونانية أو اللغة اللاتينية . وفى أيامنا هذه استطاعت وسائل الإعلام من الصحافة والراديو والتليفزيون أن تصنع للغة العربية وللثقافة الإسلامية فى مجال الانتشار والثبات فوق ما استطاعت المطبعة فى القرن السادس عشر أن تصنع فى سبيل انتشار المذهب البروتستنتى . برغم مفارقة غريبة عجيبة أريد أن أمسها هنا مسا رفيقا خفيفا فقط ، هى أن المحطات الأجنبية للراديو وللتليفزيون تذيع برامجها العربية بلغة عربية أصح من لغة الكثيرين من مذيعينا فى البلاد العربية نفسها . أليس فى ذلك عبرة لأولى الألباب ؟ والسلام عليكم .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان




البحوث

محمد رسول الله

للدكتور حسن إبراهيم

ما ذُبْتُ شَوْقاً لِجيران بِذِى سَلَمِ   ولا أَرِقْتُ لِذِكْرِ البـانِ والعَلَمِ
ومَا أَبَحْتُ لِرِيم القَاع سفكَ دَمِى   فى الأَشْهر الحِلِّ أَو فى الأَشْهر الحُرُم
وما سعادُ إذا بانَتْ بمَتْبـلَة   مِنِى الفـؤادَ فإنَّ القَلبَ فى شَبَمِ
إنى اتجهتُ بقلبى نحوَ بارئـهِ   من مطلع الفجْرِ حتّى غَيْهَبِ الظُّلَمِ
وسيدى المصطفى أرجُـو شفاعتَه   وَهْـوَ الشفيعُ لنا من زَلَّةِ القَدَمِ
إن المَشِيبَ عَلانِى فاتَّعظتُ بهِ   وكمْ أَرِقْتُ لوِزْرِى عبرةَ النَّدَمِ
محمدٌ عرَكَ الدنْيا بما حَفَلَت   من الشقاوَةِ والنُّعمَى ومن غُمَمِ
جاءَ الحياةَ يتيماً قبْـل مولدِهِ   وفى الطفولةِ عانَى شِقْوةَ اللُّطَمِ
فعاشَ مَعْ جَدِّهِ حِيناً وفى كَنَفِ   لعَمِّه والعُرَى موصُولةُ الرَّحِمِ
وحين شَبَّ رَعَى للقوْم شاتَهمُ   كلُّ النبيين قد هَشُّوا على الغَنَمِ
وسار بالعير والأَمْـوالِ مُتَّجِرًا   وَهُـوَ الأَمينُ على قوم ومالِهِمِ
وهو المُصَدَّقُ فى قولٍ وفى عَمَلِ   فصار يُكْنَى أَميناً وهو خَيْرُ سَمِى
وصار يَعْجَب مِنْ قوم فَدِينُهمُ   تَوارَثُوه عن الآبـاءِ مِنْ قِـدَمِ
أَيَنْحَتُ الناسُ من أَحجارِهم صَنَماً   ويسْجدون خُشوعاً خَشْيةَ الصَّنَمِ
وكيْف يحْكم صَلْدٌ لا جَنانَ له   مسِيرةَ الكَوْنِ والأَجرام والسُدم
وكيف يَخْلُق هذا المسخُ مقتدرًا   إنساً وَقَدْ خَلَقَتْه الأنسُ بالقَدَمِ

(*) ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الثانية لمؤتمر مجمع اللغة العربية فى الدورة الخامسة والأربعين (الثلاثاء ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

فما تَعَبَّد فى يَوْم إلى وَثَنٍ   وَلَمْ يُشَارك بقُربانٍ وَلَمْ يَهِم
بَلْ رَاحَ للغارِ يَصْفُو فى تأَمِلِهِ   وكم تَغَيَّبَ نَجمٌ وهو لم يَنَم
تأَمَّلَ الفَجْرَ يبدُو والحياةَ معاً   وكيف تحيا مَواتُ الأَرض بالدِّيَم
وتُشرقُ الشمْسُ للأَحْيَاءِ جالِبَةً   دِفْءَ الحياةِ وَيسْرِى البدرُ فى الغَسَم
وهذه الشُّمُّ مَن أَرْسَى دعائِمَها   فزاحَمت شُهبَ الأَفْلاكِ من شَمَم
مَنْ خَالقُ الرُّوحِ والإِنْسانِ هلْ خُلِقَا   سُدىً وماذا وراءَ المَوْتِ منْ حِكَم
جاءَ الجوابُ بِجُنْحِ الليلِ فاخْتَلَجَت   له الغُروشُ وكان الفَجْرَ للأُمم
جبريلُ فى الغارِ قال اقرأْ مُدَوِّيَةً   فَقَالَ كَيْفَ وَمَا عُلِّمْتُ بالقَلَم
فَغَطَّه ثم قال اقرأْ فَرَدَّدَهـا   فـكان أولَ تنزيلٍ من الكَلِم
وأَصْبح الهَدْىُ يَسْرِى كلَّ ناحِيَةٍ   كالنورِ فى الليْلِ أَو كالبُرْءِ فى السَّقَم
أَن اعْبدُوا اللهَ ربَّ الخلقِ كُلِّهِم   وفاطِرَ الكوْنِ والدنْيا مِنَ العَدَم
الواحدُ الفردُ عال لا شَريكَ له   فى الخُلْدِ والمُلْكِ والتَّدْبيرِ والقِدَم
تردَّدَ الوحىُ بالآيـاتِ مُنزلَةً   فسُطِّرَت كَنَظِيمِ الدُّرِّ والتُّـوَم
جاءَ الكتابُ عجيباً فى بَلاَغَتِهِ   وما حَواهُ من التَّقْنِينِ والنُّظم
فما اسْتَطَاعَ محاكاةً لَـهُ أَحَدٌ   فالإِنْسُ والجِنُّ عانٍ إِثْرَ مُنْفَحِم
فى كلِّ يومٍ يُريك العلْم آيَتَه   فاليومَ يُكْشَف ماقَدْ غابَ عن فَهِم
فيه الهدايةُ للدنْيـا وآخِرَة   فيه الطريقُ إلى الإِيمـانِ والعِصَم
ذِكْرُ السعيرِ تَهَابُ النفسُ صورَتَه   أما الجِنانُ فَمَثْوَى كلِّ ملتَزِم
به الروائعُ من وعظٍ ومن قَصَص   فيه التأَمُّلُ فى سَبْع وَخَلْقِهِم
وصار يدْعُو قريشاً للهُدَى فَأَبَوْا   وقابَلُوهُ بهُجْر القَوْل والصَّمَم
غشاوةُ العَيْنِ قد تُشْفَى وإنْ عَمِّى   يَغْشَى القلوبَ لَدَاءٌ غيرُ مُنْحَسِم

فقِلّةٌ آمنت والجُلُّ قد جَنحُوا ... إلى العَداء وإيذاءٍ ومُصْطَــدَم

سَرَيتَ فى اللّيل تَطْوى البيدَ مرتَحِلًا ... بقدرةِ اللهِ لا بالأَينُــق الرُّسُم

حتى نزلتَ ببيتِ القُدسِ فاجتَمَعَتْ ... من حولك الرُّسْلُ مِن خاش ومُؤتَمِمِ

ثم ارتفعتَ لِعَرشٍ لا يُقاربُهُ ... إلا محمدُ دونَ الخَلْقِ كلِّـــهِمِ

وقد تَجَلَّى لك الرحمنُ وانْبَلَجَتْ ... من نُورِهِ سُنَنُ الإســلامِ والذِّمَم

وعُدْتَ تَدْعُو فَزادُوا مِن عَداوَتِهِم ... بالضَّرْب والرَّجْم والتَّجْويعِ والوَصَمِ

وصُدَّ من آمنوا باللهِ واعتَصمُوا ... وأَوْعَدُوهم بِتَشْرِيدٍ وسَفْكِ دَمِ

فهاجَر القومُ تَتْرَى من دِيارِهِم ... يَبغُونَ يَثْرِبَ فى مَأْوَى ومُعْتَصَمِ

ماتَتْ خديجةُ والأَعمامُ وارْتَحَلُوا ... وأَوْحَشَت مكةٌ من بَعْدِ فَقْدِهِمِ

ولم يَعُدْ لرسولِ اللهِ من أَحَد ... يُجيرُه من عُتاةِ الكُفْرِ والنِّقَمِ

فدبرُوا قتلَــهُ ليلاً بِزُمْرَتِهِم ... فلا يكونُ لــه ثَأْرٌ لمُنْتَقِمِ

حَلَّ السُّباتُ بِهم جَمْعاً فلم يَرَه ... عند الخُروجِ عُمَاةُ القَلْبِ والفَهَمِ

فى الغارِ حَلَّ مع الصِّدِّيقِ مُخْتَبِئاً ... ولا حقوه ببيض الهنــد والدُهُمِ

فى مَدخل الغارِ خَاطَ العنكبوتُ شَعاً ... وحَطَّت الوُرْقُ فى وكرٍ ولمْ تَجِمِ

أَعمَى الإله قُرَيشاً عندَ مَدْخَلِهِ ... وأَيقَنُوا أَنَّهُ خَاوٍ من النَّسَمِ

وأَوَّبُوا ليُعِيدُوا عنه بَحْثَهم ... فى كُلِّ فَجٍّ وفى الوُدْيانِ والقِمَمِ

سار الرسولُ مع الصِّدِّيقِ مُرتحِلا ... نحوَ المدينةِ والأَجواءُ فى ضَرَمِ

وفى قُباءَ أَناخَ الرَّحلُ بعد ضنًى ... وقُوبِل الرَّكبُ بالتهليلِ والنَّغَمِ

وخَطَّ فيها رسولُ اللهِ مسجِدَهَا ... فكان أَولَ ما يُبنى لمُؤتَمِم

وفى المدينةِ أَرسَى أَصْلَ مَسْجِدِهِ ... وصار يدعو لِرَبِّ الكونِ والأُمَمِ

هَوَت قلوبٌ إلى الإسلامِ واندَفَعَت ... لطاعة اللهِ فى حَشْدٍ ومُزْدَحَم

وحينَ آنَ أَذَى قومٍ بما كَفَروا ... دعا الرسولُ إلى بدرٍ لِمُنْتَقَمِ
هَبُّوا لحربِ قُرَيشٍ فى تِجارتِها ... فأفْلَتَتَ عِيرُهم من غيرِ مُلْتَحَمِ
فى يومِ بدرٍ أهابَ الكُفْرُ فاجْتَمَعُوا ... من كُلِّ شاكٍ بِخَطِّيٍّ وكُل كَمِى
وقال عاقلُهم لا حربَ فاتَّئِدُوا ... إن اللَّطِيمَةَ قد مَرَّت ولم نُضَمِ
فلم يُجِزْه أبو جهلٍ وزُمرَتُــه ... أَذْناً وشَدُّوا إلى بدرٍ بِجَمْعِهِمِ
أَلفاً بِفرسانِهم والخيــلُ مُسْرَجَةٌ ... والقلبُ فى ضَرَمٍ بالشَّرِ مُتَّسِمِ
والمسلمونَ ببدرٍ قلةٌ كثُرَت ... بِنُصْرة اللهِ والإيمانِ والهِمَمِ
وأَرسلَ اللهُ أَلفاً من ملائِكِهِ ... يقاتلونَ خَفاءً والوطيسُ حَمِ
فحاقَ بالكُفْر كلُّ الخِزْىِ إذ دُحِرْوا ... وفُرِّقُوا بينَ مَقْتُولٍ ومُنْهَزِمِ
وصارت العُرْبُ تَرْوِى عن هَزِيمَتِهم ... وصار أَمْرُهُمُ هُزْؤاً بِكُلِّ فمِ
فهل تَأَمَّل أَهلُ الشِّرْكِ واتَّعَظُوا ... وهل تَخَلَّت نُفُوس الشَّرِّ عن سَدَمِ
إنَّ الأَفاعِىَ قد تَنْدَسُّ قاتلةً ... طَىَّ الجُحُورِ إذَا لم تُؤْذَ بالثَّرَمِ
فبعد حَوْلٍ أعادُوا جمع شَمْلِهِمْ ... يَبْغُونَ يَثْرِب والأَرواحُ فى حَدَمِ
وكلٌّ هَمُّهم تَقْوِيضُ دعــوةِ مَنْ ... يَدعُو إلى اللهِ والأَخْلاقِ والقِيَمِ
وفى المدينةِ هبَّ المُسْلِمُون إلى ... صَدِّ البَلِيِّةِ بالخَطِّىِّ والخُسُذُمِ
سارُوا إلى أُحُدٍ أما الرُّماهُ فَقَد ... حَلُّوا بِتَلٍّ مَنِيعٍ غيرِ مُقْتَحَمِ
دَرْءاً لخالد والفرسانِ إن هَجَمُوا ... والسهمُ يَدْرَأُ بأْسَ الفَارِسِ القَرِمِ
محمدٌ قال لا تُخْلُوا أَماكِنَكُم ... وابْقُوا على التَّلِّ حتى لو أُرِيقَ دَمى
وطاعةُ الرُّسْلِ مثل اللهِ واجِبَــةٌ ... لَمَّا عَصُوا كان درْساً بالغَ الأَلَمِ
سَبْعُون من أَهْلِهِم فى الدِّينِ قد قُتِلُوا ... حتى الرسولُ فلَم يَسْلم من الثَّلمِ
لما رَحَى الحرب قد دَارَت لِصالِحِهم ... وأَدْبَرَ الشِّركُ تحتَ الصَّارِمِ الغَلِمِ

وقد تَناثَر فوق الأَرضِ زَادُهُمُ ... فاتوا أَماكنهم مَبْغاةَ مُقْتَسِمِ
فَكَرَّ خالدُ بالفرسان فاجَأَهـم ... والمَشركون أعادُوا جَمْعِ صَفِّهِمِ
رماتِ حمزةُ فى أَوْجِ الوَغَى وَمَضى ... مِنْ ضَربةِ الغَدْر لا مِن لَهْذَم البُهَمِ
ماشاءَ ربُّك للإسلامِ مُنْتَكَساً ... فالمُسلمون غَدَوْا كالأُسْدِ فى الأَجَمِ
تَحَصَّنُوا بسُفُوح الطَّوْدِ فامْتَنَعُوا ... على العَدُوِّ وَأَرْدَوْا كُلَّ مُقْتَحِمِ
وحَلَّ يأْسٌ وإرهاقٌ بِمَنْ كَفَرُوا ... فأَدْبَرْوا ونَجا الإِسلامُ من قُحَمِ
آبت قُرَيْشُ بغَيْظٍ كادَ يَقتلها ... فما بَنَوْه لهَدْم الدِّين لَم يَقُمِ
واستَنْفَرُوا العُرْبَ أَدناهُم وقاصِيَهم ... فاستُنْفِر الجُلُّ فى مَدٍّ وفى دَعَمِ
جاؤُوا وَيَثْربُ فى قُرٍّ وفى سَغَبٍ ... فى كَثْرة لو دَنَت أَدَّتْ لمُخْتَتَمِ
فصَدَّهم خَنْدَقٌ عن نَيْلِ بُغْيَتِهم ... فأَوَّبُوا بعد شهرٍ دُون مُغْتَنَمِ
سَلْمانُ خَطَّ فهبَّ المسلمون مع الـ ... نبيِّ لِلْحَفْر رغمَ الجُوعِ والحُزُمِ
قام الرسولُ مع الأَتباعِ مُعْتَمِرًا ... فأُوقَفتْهم قريشٌ دون قَصْدِهِمِ
وتمَّ إبرامُ صُلْحٍ فى حُدَيْبِيَةٍ ... فَضَجَّ صَحْبٌ وما أَخْفَوْا من البَرَمِ
إلا الرسول جَلَا المولَى بصِيرتَه ... فكان يُبْصِرَ فَتْحَ البَيْتِ مِن أَمَمِ
وبعد حولٍ أَتَمُّوا فرضَ عُمرتِهم ... وقد خَلَت مَكَّةٌ من كُلِّ ذى نَسَمِ
سعَى لخَيْبَرَ لمَّا أن تَكَشَّفَ ما ... قد بَيَّتُوه لغَزوٍ شامـلٍ عَرِمِ
قد جاءَ خَيْبَرَ لا حِصْنٌ لِيَعصِمَه ... وقابَلُوه بِشُمٍّ العُصمِ وأُطُـمِ
رَمَى به الله فانهارَت مَعاقِلُـهم ... وشُرِّدُوا فى وهـادِ الأَرضِ والأَكَمِ
الغدرُ شِيمةُ أَهلِ الكُفْرِ مُذْ وُجِدُوا ... والغَدرُ أَسوأُ مافِى النَّفْسِ مِن شِيمِ
أَرْدَوْا خُزَاعةَ غَدْراً رَغْمَ حِلْفِهم ... مـع النبيِّ فخانُوا نَصَّ عَهْدِهِمِ
هبَّ الرسولُ بجَيْش جَحفَلٍ لَجِب ... لفَتحِ مَكَّةَ فَتْحاً غيرَ مُنْصَرِمِ

فُلَّ السِّلاحُ وما استطاعُوا مقاوَمَةً … من ذا يُقاومُ زَحْفَ الفَجر فى الظُّلَم
ما جاءَ مكَّةَ تنكيلًا بمن كَفَرُوا … بل جاءَ للْهدى وَالغُفْرانِ والحُرَمِ
مُغْتَالُ حمزَةَ غدرًا نَالَ مَغْفِرَةً … وهِندُ آكلةُ الأَكبادِ لم تُسَم
حتى الغريمُ أَبو سفيانَ كَرَّمَه … وصار منزِلُه فى الأَمْن كالحَرَم
وهشَّمُوا كلَّ مافى البيتِ من وَثَن … فالبيتُ للهِ لا للمَسْخ والفَـــدَم
بلالُ أَذَّنَ بالبيتِ العَتِيقِ وقَدْ … أَمَّ الصلاةَ رسولُ الخَيْر والرُّحَم
وأَسْلمتْ مكَّةُ والمسلمُونَ غَدَوْا … فى الدين أُخْوَةَ أَهلِ الدِّين واللُّحم
أَتت حشودٌ إلى الإِسلام مائِلَةً … إلا هوازنَ لم تَمْثُلْ ولم ترُم
فكان يوم حُنَين بالقَنَا دُحِرُوا … رغم الكمائِن مِن أَمواجٍ مُلْتَطِم
حجَّ الرسولُ مع الأَتباعِ حَجَّتَه … كانت وَدَاعاً بلا دَمْع ولا أَلَم
وكيف تَدْمَعُ عينٌ بعد أَن بَصُرَت … بالهَدْى يَطْغَى مكان الكُفْر والعُدُم
وحلَّ يثربَ والإِسلامُ مُزْدَهِرٌ … فوقَ الجزِيرَةِ والإِيمانُ فى عَمَم
وفى تَبوكَ جَرى الرومانُ فى هَلَعٍ … قبل اللقاءِ وصار البَهْمُ كالبُهُم
كلٌّ إلى الله ماض فى مَسِيرتِهِ … والموتُ غايةُ من يَسعَى على قَدَم
وما محمدُ بـــاق إنَّه بَشَرٌ … من قَبْلهِ الرُّسلُ قد عادُوا لِرَبِّهم
لاقَى الإِلَه وقد أَدَّى رسالَتَه … وقام للدين صَرْحٌ غَيْرُ مُنهدِم
إن جئتَ مكَّةَ يَمِّمْ نحو كَعْبَتِها … وكعبةِ الناسِ من عُرْبٍ ومن عَجَم
يكفيكَ أَنَّ أَبا اسماعيلَ شَيَّدهَا … وفجَّرَ اللهُ فيهَا وِرْدَ كُلِّ ظَمى
وطُفْ بساحَتِها للهِ مُبتهــلاً … سَبْعاً وَهَلِّل لِذاكَ الركن والْتَثِم
واخْشَع فإن رسول اللهِ قَبَّله … فإِنْ لَثَمْتَ فذا من وارف النِّعَم
وفى المدينةِ زُر قبرَ الرسول ولا … تمَسَّك الـدَّمْع مِن هامٍ ومُنْسَجم
هَذَاكَ مَن ، فى الثَّرىَ نهْجاً ومَوعِظَةً … وقال هذا طريقُ الحق فاسْتَقِم
واطلبْ من اللهِ رضْوانا وَمَغْفِرةً … إن الخَطايَا لَدَى الرحمن كاللَّمَم
سأَلتُكَ :العفو ربِّى إنَّنِى بشرٌ … جم الذنوب وأَنتَ الواسِعُ الكَرَم

حسن على ابراهيم

عضو المجمع

فجر الإعلام فى اللغة العربية

للدكتور عمر فروخ

الإعلام تسمية حديثة خاطئة لمدرك قديم صحيح :

احتاج البشر منذ أقدم الازمنة إلى أن ينقلوا عدداً من المعارف إلى مجموع معين من الناس فاستخدموا فى سبيل ذلك عدداً من الوسائل والوسائط . وكانت اللغة أبرز تلك الوسائل وأبعدها أثراً : وقل ما عرف البشر وسيلة مادية لنقل المعرفة بين طبقات البشر عبر التاريخ الطويل كهرم خوفو : ولكننا الان فى صدد نقل جوانب من المعرفة من طريق اللغة .

١ ــ الأعلام : خطأ التسمية وتعريف مدركها

إن كلمة « إعلام » تفسير لكلمة فرنجية Informatiom ، وهى بدورها كلمة غائمة تستعمل مفردة فى اللغة الإنجليزية وتدل على الجمع أيضاً ، كالكلمة القريبة منها News ،والمصوغة فى الجمع ،ولكنها تدل على المفرد أيضاً ٥

وما يسمى الإعلام فى اللغة العربية غامض أيضاً كغموض الكلمة المقابلة له فى اللغات الأجنبية . إن المدرك الحديث« إعلام» يتموج أحياناً كثيرة ،فيتناول الإعلان (بالنون) حيناً ، والدعاية او الدعاوة حينا آخر ، وربما تناول التعلم . وللإعلام نفسه وجهان : وجه برئ مخلص غايته مخاطبة العقل لتعريفه أموراً أساسية صالحة ،ثم وجه خادع ملتو غايته مخاطبة العاطفة فى سبيل إقرار أثر فى السامعين يتعلق بقضية عارضة ربما تبدل الاهتمام بها غدا أو بعد غد ؛

وبالرجوع إلى الأصول العربية تبين أن العرب قد عرفوا هذا المدرك الضرورى فى الحياة الحضرية أو الحضارية فوجدناه فى الشعر الجاهلى وفى القرآن الكريم .ٍ ولكن الكلمة التى كانت تستخدم قبل الإسلام ثم فى القرآن الكريم ، كانت «الإبلاغ» كما فى الشعر الجاهلى ، ثم « البلاغ » كما فى القرآن الكريم .

٢ ــ الاعلام حديثا والبلاغ قديما :

والمقصود بالإعلام أو بالبلاغ أن يكون من الحاكم أو من هو فى مقامه إلى المحكوم أو من هو فى درجته . والإعلام خاصة يكون عادة فى نطاق أضيق من حيث المعلم (بضم فسكون فكسر) ،ومن حيث المعلم (بضم فسكون ففتح) ؛

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م)

كنا فى مؤتمر لمثل ذلك فوصل الكلام إلى أحد رؤساء الوفود فأطال – (وكان من قبل تلميذاً فى صف أحاضر فيه) فأجرت لنفسى أن أستوقفه ثم قلت له : أنت من قبل تلميذى ، وأنا الآن لاأفهم ما تقوله . أعرف أن الكلام يجب أن يكون فى «التوعية الشعبية » (كذلك كان العنوان للموضوع) ، ولكنى أرى كلامك يدور حول « إقناع الناس بوجهة نظر الحكومة » . فقال لى : وما أفعل . كذلك قالوا لنا أن نقول .

أنا لا ألوم هذا المتحدث فى ذلك المؤتمر فإن الإعلام الحديث لايمكن أن يفهم إلا فى هذا النطاق .

أما البلاغ فإنه شئ آخر : إنه نقل للمعارف الصحيحة الثابتة إلى مجموع الناس من غير إجبار فى العادة على العمل بها .

٣– وجوه الاعلام الثلاثة فى الجاهلية :

سأقتصر من وسائل الإعلام فى الجاهلية على المعلقات . وسأتناول الكلام على ثلاث معلقات :

(أ) معلقة عمرو بن كلثوم ، وفيها تبجح القوى فى تبرير اعتدائه ، وفى التهديد برد الاعتداء بمثله .

(ب) معلقة الحارث بن حلزة ، وفيها اعتذار الضعيف من انهزامه وتنصله من اعتداء وقع على خصمه لم يكن هو القائم بذلك الاعتداء مع كلام فى الحق والعدل .

(ج) معلقة زهير بن أبى سلمى ، وفيها موقف الحكم العاقل الذى يعرف الفرق بين الاعتداء والدفاع عن النفس ، ولكن زهيراً يتجاوز أسباب القتال للتوفر على الكلام فى نتائجه وفى ضرر تلك النتائج على المعتدى وعلى المعتدى عليه كليهما . كان زهير يدعو إلى حل المشاكل بالسلم لا بالحرب . إنه كان يمثل فى الجاهلية ما تمثله اليوم « منظمة الأمم المتحدة » كما يجب أن تكون منظمة الأمم المتحدة .

أما من حيث الألفاظ ، فقد جاء فى مجال الإعلام فى المعلقات التى اخترتها ألفاظ منها :

– (من جذر بلغ) :

يقول عمرو بن كلثوم : ألا أبلغ بنى الطماح عنا . ويقول الحارث بن حلزة : ... وأمر الله بَلْغٌ يشقى به الأشقياء– أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو . ويقول زهير : ألا أبلغ الأحلاف عنا رسالة . وكذلك يقول الأعشى (وإن لم أختر معلقته فى هذا البحث) : أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة .

– (من جذر علم) :

والصيغ من هذا الجذر مألوفة فى مثل هذا الموضوع . قال عمرو بن كلثوم : ألما تعلموا منا ومنكم كتائب ... ؟ – وقد علم القبائل

من «معد» — وقال الحارث : قد علمتم أيام ينتهب الناس — واعلموا أننا وإياكم . . . وقال زهير : وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم . وقال الأعشى : سائل بنى أسد عنا فقد علموا . . .

وكذلك جاء فى هذه المعلقات صيغ مختلفة من الجذور التالية :

من «خبر» (نخبرك وتخبرينا) ، ومن «حدث» (حدثت ، ثلاث مرات) ، ومن «عرف» (تعرفوا وأعرفنك) ومن «نبأ» (الأنباء وأنبائنا) ومن «زعم» (زعموا) .

٤ـ الفاظ الاعلام فى القرآن الكريم :

وفى القرآن الكريم صيغ مختلفة من ألفاظ للدعوة ترجع إلى نحو عشرين جذراً . وسأورد فيما يلى شاهداً واحداً أو أكثر من شاهد واحد على كل جذر . ويحسن أن ندرك أن عدداً كبيراً من هذه الألفاظ عامة ، وأن القرآن الكريم هو الذى جعل منها ألفاظاً خاصة بالدعوة إلى الإيمان .

بشر — فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (١٩ : ٩٧ ، مريم) .

بعث — ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

بلغ — يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٥ : ٦٧ ، المائدة) .

هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ ، إبراهيم) .

وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٢٤ : ٥٤ ، النور) .

بيّن — قد جئتكم بالحق لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه (٤٣ : ٦٣ ، الزخرف) .

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (١٦ : ٤٤ ، النحل) .

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

تبع — اتبعْ ما أوحى إليك من ربك (٦ : ١٠٦ ، الأنعام) .

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (٦ : ١٥٥ ، الأنعام) .

تلو — واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك (١٨ : ٢٧ ، الكهف) .

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

جوّب — يا قومنا ، أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم (٤٦ : ٣١ ، الأحقاف) .

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله (٤٢ : ٤٧ ، الشورى) .

دعا — داعى الله (انظر فوق) .

— قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فراراً . وإنى

كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهاراً . ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . (٧١ : ٥ - ٩ ، نوح) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (١٦ : ١٢٥ ، النحل) :

— ياأيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً (٣٣ : ٤٥ ، ٤٧ ، الأحزاب) :

ذكّر — فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٥٠ : ٤٥ ، ق) :

— فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون (٥٢ : ٢٩ ، الطور) .

— فذكر إنما أنت مذكر (٨٨ : ٢١ ، الغاشيه) :

— أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٩ ، الأعراف) .

— ولقد يسّرْنا القرآن للذكر فهل من مدّكر (٥٤ : ١٧ ، ٣٢ ، ٤٠ ، القمر) .

— وما هو إلا ذكر للعالمين (٦٨ : ٥٢ ، القلم) .

— إن هو إلا ذكر للعالمين (٨١ — ٢٧ ، التكوير) .

— قل : لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكر للعالمين (٢٠ : ٤٢ ، طه) .

— إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (٧٣ : ١٩ ، المزمل) .

— فما لهم عن التذكرة معرضين (٧٤ : ٤٩ ، المدثر) :

رسل — (أوسع المواد فى هذا المعنى) .

— هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٩ : ٣٣ ، التوبة ؛ ٤٨ : ٢٨ ، الفتح ؛ ٦١ : ٩ ، الصف) .

— وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبيّن لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

— ياأيها النبى ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً (٣٣ : ٤٥ — ٤٧ ، الأحزاب) .

سمع — وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين (٨ : ٣١ ، الأنفال) .

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٩ : ٦ ، التوبة) :

— وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق (٥ : ٨٣ ، المائدة) .

— إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٢٧ : ٨١ ، النمل ؛ ٣٠ : ٥٣ ، الروم) .

— ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (٩ : ٣٥ ، الأنعام) .

عرف — . . . . . مما عرفوا من الحق (انظر فوق) .

— فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض (٦٦ : ٣ ، التحريم) .

تلو — يتلو عليكم آياتنا ، ويعلمكم الكتاب والحكمة (٢ : ١٥١ ، البقرة ؛ ٣ : ١٦٤ ، آل عمران) .

نبأ — نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (٤٥ : ٥٩ ، الحجرات) .

— ويستنبئونك أحق هو ؟ قل : إى ، وربى : إنه لحق (١٠ : ٥٣ يونس) .

ندى — ونادى فرعون فى قومه ، قال : ياقوم ، أليس لى ملك مصر ؟ (٤٣ : ٥١ الزخرف) .

— ربنا ، إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا (٣ : ١٩٣ آل عمران) .

— إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله .

نذر — (هذه المادة واسعة جدا)

— واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله (٤٦ : ٢١ الأحقاف) .

— سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٢ : ٦ البقرة ؛ ٣٦ : ١٠ يس ؛ ٦ : ١٩ الأنعام) .

— وأوحىَ إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ، ومن بلغ ، أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ! قل لا أشهد ، قل : إنما هو إله واحد ، وإننى برئ مما تشركون (٦ : ١٩ الأنعام) .

— وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها (٦ : ٩٢ الأنعام) .

— أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٣ ، ٦٩ الأعراف) .

— فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٩ : ١٢٢ التوبة) .

— وأنذر عشيرتك الأقربين (٢٦ : ٢١٤ الشعراء) .

— لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٣٦ : ٦ يس) .

— هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ إبراهيم) .

— يا أهل الكتاب ، قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا

ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير (٥: ١٩ المائدة) .

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ....
(١٧ : ٢٧ الإسراء)

— وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (١٥ : ٦٦ الحجر) .

وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض .... (١٧ : ٤ الإسراء) .

وما كنت بجانب الغربى إذا قضينا إلى موسى الأمر .... (٢٨ : ٤٤ القصص) .

هدى — أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده (٦ : ٩٠ الأنعام) .

— بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان (٤٩ : ١٧ الحجرات) .

— وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (٤١ : ١٧ فصلت) .

جعل — وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات (٢١ : ٧٣ الأنبياء).

— فقالوا : أبشر يهدوننا ؟ فكفروا وتولوا (٦٤ : ١٦ التغابن) .

— إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم (١٧ : ٩ الإسراء) .

— إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق (٤٦ : ٣٠ الأحقاف) .

— فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (٦ : ١٢٥ الأنعام) .

— اهدنا الصراط المستقيم (١: ٦ الفاتحة).

— فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ (٣ : ٢٠ آل عمران) .

— إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .

— وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا (١٧ : ٩٤ ، راجع ٥٥ الإسراء) .

— ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب (٤٠ : ٥٣ غافر) .

— هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٤٨ : ٢٨ الفتح) .

وعظ — قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (٢٦ : ١٣٦ الشعراء).

— فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف (٢ : ٢٧٥ البقرة) .

— هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (٣ : ١٣٨ آل عمران) .

— يا أيها الناس ، قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور (١٠ : ٥٧ يونس) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (١٦ — ١٢٥ النحل) .

ثم استعرضت عدداً من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم فى «جمهرة رسائل العرب»

من تأليف أحمد زكى صفوت (الجزء الأول مصر (١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م) فوجدت تعابير منها : أدعوك بدعاية الإسلام (ص ٣٣ ، ٣٤، ٣٦، ٤٦) – دعوتك (ص ٣٩) – أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده (ص ٤١) – يدعوهم (ص ٤٥) – ادعوهم إلى الإسلام (ص ٦١، ٦٢) – ادعوهم إلى عبادة الله (ص ٧٦)، ونجد فى هذه الرسائل وفى رسائل الصحابة الخلفاء عدداً من الألفاظ التى كانت قد مرت بنا فى الكلام على ألفاظ القرآن الكريم ، مثل : بلغ (ص ١١٤ ، ٣٩٣، ٤٤٤) – علم وأعلم (ص ٣٢٥ ، ٣٧٥).

وهنالك عدد من هذه الألفاظ يرد فى خطب الرسول ، وخصوصاً فى خطبة الوداع : فى قوله عليه السلام : «... ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد» (بضع مرات).

ذلك عدد من الألفاظ الدائرة فى الإعلام جمعتها من عدد من المعلقات ، ومن القرآن الكريم، ومن عدد من رسائل الرسول عليه السلام . وقد بدا لى :

أن الإسلام اختار كلمة «بلاغ» مع عدد من مشتقاتها فى مقابل كلمة «إعلام» الدائرة فى الاستعمال الحديث.

ثم بدا لى أن كلمة «بلاغ» كانت تعنى عرض الحقائق المقصودة بلا لبس ، وليس ذلك غير منتظر فى مقام الدعوة إلى الإسلام . أما كلمة «إعلام» الحديثة ، فالمقصود منها توجيه الجانب الغالب من الرأى العام وجهة مخصوصة آتية قد تتبدل فى غد أو بعد غد ، ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل مدة .

إن الإعلام الحديث لا يرمى إلى بسط الحقائق بقدر ما يرمى إلى عرض الحقائق أحياناً عرضاً جزئياً . وربما صنع قرائن وأقامها مقام الحقائق .

وعمدة الإعلام الحديث التوجه إلى الجمهور الغالب من الناس ممن يصدق فيهم قول المتنبى :

إنما تسرع المقالة فى المرء
إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فالعامة أكثر انجرافاً مع الإعلام البارع من المثقفين الذين لا يتأثرون عادة بالدعوات القصيرة الفترات .

وألفاظ الإعلام الحديث ذات خاصتين :

١ – كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة ، وليس من الضرورى أن يكون معناها مفهوماً أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم .

٢ – كلمات جديدة ذات سهولة فى اللفظ أو غرابة فى اللفظ أو قوة لفظية .

وسأضرب على كل نوع من هذه الكلمات أمثلة موجزة :

– نشأ فى العالم سلسلة من الفنادق أطلق عليها اسم «هلتون» من اسم صاحب هذا المشروع

لسلسلة الفنادق واسمه الكامل كونراد نيكلسون هلتون ، ولد عام ١٨٨٧ م ، وكان لا يزال حياً في عام ١٩٧٣ م . وما كادت فنادق هلتون تعلو في بلادنا حتى تسابق العوام إلى اهتبال الفرصة بتسمية أعمالهم « هلتون ».فعلى مقربة من مجمعنا اللغوى دكة صغيرة لإصلاح الأحذية اسمها هلتون ، وهنا وهناك أماكن مشابهة لدكة إصلاح الأحذية تتزين باسم هلتون .

— وفى عام ١٩٧٠ أقيم معرض فى اليابان أطلق عليه اسما مختصراً هو ٧٠ من Expo 70 ،فتسابق العامة إلى إطلاق كلمة إكسبو على محل بائع طعمية ، على محل تجارى ، على معمل نجارة ، الخ :

— وعندنا فى بيروت محل لبيع الحلوى الفرنجية اسمه « موناليزا » ثم محل للتزيين للسيدات ، فيما أتذكر وغيرهما ؟

هذا على صعيد العامة ، من حيث الألفاظ ، والعامة معذورون فى ذلك . أما على صعيد أشباه الخاصة فالأمر أدهى وأمر ؟

— كثر فى المدة الأخيرة استعمال صيغتين : توافر بمعنى كثر ،والمقصود وفر فى أحد معانيها . أما توافر (كما جاء فى المعجم الوسيط) فمعناها يرجع إلى كرم الأصل وما يشبهه . وأما الصيغة الثانية فهى «تواجد» بمعنى حضر . وتواجد معناها الصحيح «دخل فى الوجد أو الانجذاب الصوفى طريق الغيبة عن الحس) .

وهنالك ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية ، وتطلق بلا تمييز على ما يوافق معانيها أولا يوافق معانيها . قرب بيتنا فى بيروت محل لبيع الحلوى اسمه بيليه (وهو لاعب كرة قدم برازيلى فيما أظن) . ودكان لبيع الأحذية اسمه أولد شو (الحذاء العتيق) ومحل صغير لبيع النسيج اسمه بوتيك شوب (دكان دكان) .وهنالك محل اسمه برسيوسا فإذا كانت الكلمة مأخوذة من الإيطالية فيجب أن تكتب برسيوزا . أما إذا كانت مأخوذة من الإسبانية فكتابتها الصحيحة برثيوسا ؟ وفى القاهرة إعلانات كبيرة عن « شاى أبى نواس » ؟ وما أعتقد أن أبا نواس كان يعرف الشاى أو كان يحب الشاى لو عرفه ؟

هذا على صعيد الألفاظ . أما على صعيد النصوص الإعلامية فكثيرا ما نقرأ مثل هذا النص :

جاءنا من وزارة الإعلام ما يلى :

وصل أمس كورت فالدهايم إلى بيروت فاستقبله فى المطار وفد كبير فيه فلان وفلان . وبعد قليل اختلى فالدهايم بوزير الخارجية ساعة كاملة . وقد كانت وجهات النظر بينهما متفقة اتفاقا تاماً .

وقد صرح فالدهايم لمندوبنا أن الأمم المتحدة والدول الصديقة حريصة على أن تتمتع المنطقة بالهدوء والازدهار ، كما يجب أن ينال كل فريق حقوقه المشروعة ثم

قال فالدهايم: إنه مستعد دائماً لأن يبحث مع جميع الفرقاء في كل الموضوعات التي تهم المنطقة.

(أ) في أثناء الثورة السورية أو الثورة الدرزية كنت طالباً في كلية الآداب في الجامعة الأميركية في بيروت. فطلب منا أستاذ التاريخ أن نأتي بدفتر كبير، ثم نقطع البلاغات التي تصدر في كل يوم لتكون تلك البلاغات سجلا نرجع إليه حينما نريد في المستقبل أن ندرس أحداث تلك الثورة. فجئنا بسجل فاخر تعاوناً على شرائه، وأخذنا في كل يوم نقطع بلاغاً أو بلاغين تصدرهما سلطة الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، ونلصق ما نقطعه من الصحف في ذلك الدفتر. ولما انتهت الثورة وجدنا من الخير للتاريخ ولدرس التاريخ أن نرمي بذلك السجل في زاوية من زوايا الغرفة، لعل أحداً يتناوله فيستخدمه فيما هو أنفع.

(ب) المعروف أن كل وزارة في العالم تتقدم إلى الشعب ببيان وزاري واحد أو بأكثر من بيان وزاري واحد في أثناء فترة حكمها، والقاعدة الدستورية أن يضع أفراد الوزارة هذا البيان بالتشاور فيما بينهم، وليس من الضروري أن تكتب الملكة اليزابث الثانية خطاب العرش الذي تلقيه في مجلس النواب، ولا أن ينشيء كل رئيس وزارة كل بيان تتفق عليه وزارته.

ومنذ أنشئت الوزارة في لبنان — قبل الاستقلال وبعد الاستقلال — وكل بيان وزاري يتضمن الأمور التالية: تحسين الأوضاع العامة للشعب اللبناني — إيصال الماء والكهرباء إلى كل قرية في لبنان — جعل التعليم مجانا للجميع — . . . . إلخ. ولا يزال كل بيان وزاري يجد من الحاجة أن يعيد تعداد هذه الأمور إلى اليوم. غير أن الصحف في كل مرة تمدح البيان الوزاري وتبشر بما فيه من وجوه الإصلاح وما سيحققه من وجوه التقدم والرفه.

(ج) آخر ما بثته الحكومة اللبنانية من أحاديث الإعلام حديث عن «متانة الليرة اللبنانية». في عام ١٩٢٧ مثلا كانت الليرة العثمانية الذهب تساوي خمس ليرات لبنانية ونصف ليرة. وكانت الليرة الإنكليزية الذهب تساوي ست ليرات وربعا، وكان الجنيه المصري الورق يساوي واحداً وعشرين شلناً إنكليزيا. وكنا ندفع قسط جامعة بيروت الأميركية ستة عشر جنيها مصرياً، وفي عام ١٩٣٥ اشتريت بذلة «سموكنج» خاطها الخياط باثنتي عشرة ليرة لبنانية، أو بنحو مائة وخمسة وسبعين قرشا مصريا.

أما اليوم فإن الليرة العثمانية الذهب تساوي مائتين وسبعين ليرة لبنانية أو خمسين ضعفا مما كانت تساوي من قبل: وأما حديث

الإعلام الرسمى، فقد أراد تبرير ارتفاع الأسعار فى بيروت : فقال بالحرف الواحد «إن القيمة النقدية للبرة اللبنانية لم تنخفض قط ، ولكن القيمة الشرائية للبرة هى التى انخفضت » وكان فى السامعين من صدق الحديث الإعلامى وكان فيهم من لم يصدقه.

(د) إذا أنت خاطبت أحداً فى الولايات المتحدة وجاها أو بالتلفون سمعت منه فى كل نصف دقيقة عشرين مرة أو كى .O. K .

فى القرن الماضى هاجر إلى الولايات المتحدة رجل هولندى فاتفق أن عين مراقباً على خروج البضائع من الجمرك . ويبدو أن معرفته باللغة الإنكليزية المكتوبة لم تكن وافية . فقيل له : إذا استوفت السلعة دورانها فى المراقبة ودفع الرسوم فاكتب عليها : All Correct كل شىء صحيح . ولكن صاحبنا كان كسلان ، فلم يشأ أن يكتب الكلمتين فكان يكتب الحرفين الأولين من كل كلمة منهما . ولكن الرجل الهولندى كان يتكلم لغــة تكتب كما تلفظ فكان يكتب أوكى .O. K . بدلا من .A. C . والأمريكيون أنفسهم اليوم يقولون أوكى ، ومنذ وقت قريب أنزلت الحكومة اللبنانية إلى الأسواق نوعا من السكاير سمته «أوكى» .

(ه) كنت مرة عند بائع الجبن الذى أشترى منه ، فجاء رجل وقال له : بحياتى عليك كان لكم بالأمس إعلان فى التلفزيون عن شىء نسيته الآن. فما هو ؟ فقال له الرجل : كان ذلك عن النوع الفلانى . فقال له الرجل : أعطنى منه .

(و) وفى مرة ثانية جاء رجل وقال له أعطنى من الجبن الذى يؤكل مع الخيار .

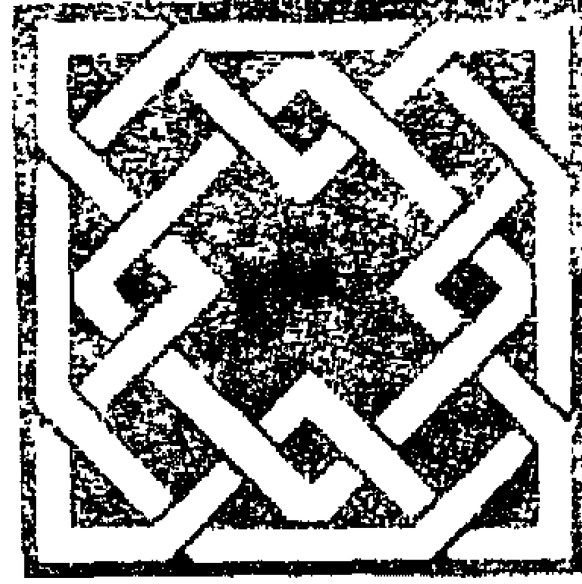
(ز) كنت مرة فى بلد عربى فى جماعة معى ، فرتبت للجماعة زيارة إلى مصنع للسكاير وكان المصنع ذلك على غاية من النظافة والنظام والترتيب ، وكانت العناية بالآلات والأدوات وبالسكاير صنعا وتغليفاً وتعبئة مما يثير الإعجاب . وفيما كنا خارجين سألت الدليل الذى كان معنا : « أأنتم هنا تهتمون بصنع الرغيف كما تهتمون بصنع السيكارة ؟ رأيت الجواب فى وجهه وعينيه ولم أسمعه من فمه .

(ح) وفى مرة أخرى كنا فى مكان آخر فى مصنع للصابون . طفنا فى المصنع كله فانتهى بنا المطاف إلى مكان التعبئة .وكان المشرف على إعداد الصابون يشرح لنا كل مايتعلق بالصابون ، من جلب مادتى الصودا والزيت إلى المعمل حتى تغليف قطعة الصابون ،

ولما انتهى الرجل من الشرح دار على الزوار بقطعة جاهزة من الصابون، فكان بعضهم يشم القطعة ويتمتم بكلمات معروفة ، وكان منهم من يعجب بلونها، وكانت القطعة تمر بنفر منهم بلا حركة، فلما وصلت القطعة إلى يدى غمزتها قليلا . وتنبه المشرف إلى حركة يدى فقال لى: «ماذا نفعل ؟ السوق لاترحم ، ونحن نحتاج إلى أن نعجل فى صنع الصابون ولا نستطيع أن نتريث كثيراً فى أثناء طبخه» .

هنا لابد من ملاحظة : أن اختيار وسائل الإعـلام وتخير الكلمات لتلك الوسائل لا يرجعان إلى المشرف على الإعلام بقدر مايرجعان إلى مقدرة المقصودين بالإعلام على الاستيعاب وعلى الانجراف فى تيار الإعلام .

عمر فروخ
عضو المجمع من لبنان



اللغة العربية ووسائل الاعلام

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

اللغة العربية :

أصبحت اللغة العربية بخصائصها ومزاياها وجمهورها الكبير — من أهم اللغات العالمية، وأضحت لها مكانة بارزة فى عالمنا المتحضر، سواء فى مجال دراستها، أو فى مجال كثرة المشتغلين بها، أو فى مجال، إقرار التخاطب بها فى العديد من المحافل الدولية فى معظم أنحاء المعمورة .

لقد كرم الله تعالى هذه اللغة بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذى تكفل بصيانته بقوله جل شأنه : (إنا نحن نزلنا الذكر ،وإنا له لحافظون) ، وما دامت لغة القرآن هى العربية فإنها ستظل — بإذن الله — مصونة عزيزة، تمتنع على الهرم : وتتألق ماطال بها الزمن، وتثبت على مر العصور والأجيال .

والمجال ليس مجال إبراز هذه اللغة، والحديث عن سمو مكانها فذلك لون من الحديث المكرور، والكلام المعاد . . وقد ألفت فى هذه اللغة آلاف الكتب، واشبعت درساً وبحثاً، ولو أراد باحث أن يستقرئ ماكتب فى هذا الشأن لأعياه البحث وأعجزه التقصى . وليس معنى هذا أن هذه اللغة السمحة لم تعد فى حاجة إلى المزيد من تعمق الباحثين ودرس الدارسين، والتغلغل فى فهم أسرارها واكتناه دخائلها والوصول إلى جوهر فلسفتها، بل على العكس هى فى أمس الحاجة إلى ذلك، لاسيما وهى تواجه تحدياً كبيراً فى عصرنا الراهن من تسرب العجمة إلى أبنائها، ومن ثم فقد أنشئت الكليات المتخصصة لتخدم مقاصد هذه اللغة وظهرت المجامع العتيدة لتطويرها حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها فى الذيوع والانتشار فى كافة المجتمعات باعتبارها أم اللغات، وأكثرها فضلا وأوسعها متناً، وأشملها استيعاباً .

إلا أن هذه اللغة رغم الدراسات المستفيضة فى سبيل تدريسها وتيسيرها فهى صعب، شموس لاينقاد حرانها، ولا يلين نفورها إلا لذوى الهمم العالية، والعزائم القادرة، والذكاء المتوهج، ومن هؤلاء علماؤنا الجهابذة الأوائل الذين كانوا مثلاً عليا فى عبقرية الفكر، وسموق الهمم، وطموح النفوس، حتى بلغوا فى الفهم والبصيرة وحسن الإدراك أبعد الغايات، وحققوا أسمى المطالب،

(٭) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الأربعاء غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ ﻫ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

ودانت لهم طرائق البحث ومناهجه حتى خلفوا لنا هذا التراث الزاهر الضخم ، ينبئ عن معاناة بالغة ، ويفصح عن جهد عتيد .

على أنه لاينبغى لنا أن نقول : (هل غادر القدماء من متردم) بل إن علينا إن نوقظ أبناء العربية المحدثين حتى يزيدوا فى البناء الشامخ ، ويبدؤوا حيث انتهى الأولون ، وينبغى أن نرصد الجوائز القيمة ، ونيسر الحوافز السخية لكل من توفر ويتوفر على تركيز جهده وتكريس وقته لخدمة العربية بصبر وحرص ، وإصرار ، وإيمان ، وأن نشيد بالأعمال التى بذلت وتبذل فى هذا السبيل ونحفظ لها مكانها الرفيع ، وأن نكرم أعلامها البررة على ماعملوا وعلى ماعانوا وصابروا وكابدوا . . حتى نحثهم بذلك على متابعة عملهم المرجو المشكور ونشجع الآخرين من أبناء الأمة العربية . . على النسج على منوالهم والسير على نهجهم .

إن اللغة العربية هى رابطة مقدسة كبرى لهذه الجماهير الكبيرة الناطقة بها ، وقد أصبحت كثير من الأمم الغربية عنها تسعى لتعلمها والإلمام بها كى تفيد من مجالات الحياة ومن ركائز الاقتصاد والنماء فى بعض مناطقها وبلاد الإنجليز فى الحاضر مثلا دليل واضح على ذلك .

ولأن اللغة العربية هى لغة القرآن فإن مجموعة الدول الإسلامية — من منطلق إسلامى — تحرص على تعلمها ليعود عليها ذلك بالنفع فى شؤون دينها .

ولايبعد عن الذهن أن اللغة العربية تملك من تعدد حروف الهجاء ما لاتملكه اللغات الأخرى كما أنها— بكثرة مترادفاتها وخصوبة معينها— من أطوع اللغات للنحت والاشتقاق ، وهذا ماساعد حديثاً على تعريب كثير من الصيغ والمسميات ، والمصطلحات الأجنبية ، وأثرى العربية ثراء كبيراً .

وإذا كانت دراسة العربية ليست بالأمر السهل وهذا مايلجأ إليه بعض خصومها فى مناوأتها فإن هذه الصعوبة واردة فى دراسة معظم اللغات الحية ولكن الصبر والجلد يذللان كل الصعوبات ويزيلان أكبر العوائق .

وسائل الاعلام :

عصرنا الحاضر هو عصر إبلاغ وإعلام ولذلك تعددت وسائل الأعلام فيه من صحافة ، وإذاعة ، وخطابة ، وتلفزة ، ومسرح ، وسينما ، وهى الوسائل المؤثرة فى الجماهير ، واللغة مع بعض العناصر... الأخرى هى أداة هذا الإعلام وسبيله إلى الوصول إلى جمهرة الناس والتأثير فيها سلباً أو ايجاباً ، وأخذاً أو عطاءً . . . وقد يعلو شأن أمة من الأمم على غيرها إذا كانت وسائل إعلامها أقوى وأبرز وطريقتها فى التأثير أذكى وأوعى .

فالأمة المعلمة تحسب فى طلائع الأمم رقياً ، إذا كان إعلامها مرتكزاً إلى حقائق دامغة وأسس ثابتة وإلا كان ضرره أكثر من نفعه وتشبه الأمة المعربة الخطيب المفوه والكاتب المبين اللذين يبينان عن حاجاتهما ومقاصدهما ببلاغة ويسر ، أما الأمة المعجمة فهى شبيهه بالعيى وبالأبكم اللذين هما كلف قبيح فى وجه مجتمعهما .

وقديماً قال الشاعر المخضرم النمر بن تولب مستعيذاً بالله من الحصر والعى :

أعذنى رب من حصر وعىٍّ
ومن نفس أعالجُها علاجا

ولا شك أن الأمم اليوم فى حاجة إلى تنشيط وتدعيم وسائل إعلامها فالإعلام الخبير يلقى أضواء ساطعة على ماضى الأمة وتراثها ، كما أنه يبرز الجوانب المشرقة من حاضرها ويبين ماهى عليه أو ماتصبوا إليه من عزة ومنعة ، أو من تطلع إلى مستقبل حافل يمثل الخير والحق والجمال .

وتلجأ الأمم إلى الإعلام مثلا فى جلب المنافع ، ودفع المضار بإبراز ماتملك فى نواحى العلم والفنون والثقافة والآثار أو ما منعته من ظواهر طبيعية تجذب إليها السائحين كما أنها تلمح — من طرف خفى — إلى ماتملكه من عناصر القوة والسطوة مما يخيف أعداءها ، ويجعلهم يحسبون الحساب الكبير لمحاولة الأضرار بها .

ولا شىء أبلغ تأثيراً من الإعلام الرشيد فى الدعاية إلى فكرة حسنة ، أو الحث على منهاج قويم .

كما لاشىء أسوأ من الإعلام المضلل الذى يقود إلى المزالق والمهالك وإذا كانت الإذاعة ، والتلفزة هما أحدث وسائل الإعلام فلا بأس من إفرادهما بإيضاح موجز .

(أ) الاذاعة :

تكاد تكون الإذاعة أولى وسائل التأثير فى جماهير الناس فهى من العوامل الهامة لتكوين رأى عام فى المجتمعات الإنسانية ذى أبعاد وأهداف ، وهى أداة فعالة لنشر الثقافة والإحساس بوحدة المسئولية وإيقاظ الوطنية وروح التعاون البشرى .

وبالنسبة لدعم انتشار اللغة العربية تكاد تكون الوسيلة الأم إذا أحسن استغلالها فهى من خلال العربية الفصحى يمكن أن توحد سائر اللهجات العربية وتصهرها فى بوتقة واحدة .

والإذاعة بطبيعتها ذات جمهور عريض وموصل ممتاز — كما تقدم — لمختلف نواحى المعرفة والأخبار والتسلية والترفيه وتعليم اللغات الحية ، وما إلى كل أولئك .

وكما أن لها حسناتها فإن لها بالتالى بعض المعائب كاكتفاء المستمع بتلق سلبى دون المشاركة فى حركة الإبداع ، والهيمنة على

المستمع بقوة التأثير ، وفرض مواد إعلانية قد يتضايق لها السامع .

(ب) التلفزة :

أما التلفزة فتلتقى مع الإذاعة فى بعض خصائصها وتفترق عنها من حيث إن المرئى غير المسموع ، والغائب غير المشاهد ، فأنت فى الإذاعة تتخيل الصور ، أما فى التلفزة فتراها ماثلة عياناً ناطقة أمامك .

وتكاد التلفزة أن تكون امتداداً للمسرح .

كما أن الإذاعة تتيح قسطاً من الحرية للمتحدث فالكلام فى الإذاعة هو أكثر طبيعية ، أما التلفزة فتستدعى قسطاً من التوتر والاحتشاد والتكلف فى الحديث والهيئة .

كذلك فإن الممثل الإذاعى يمكنه أن يقرأ دوره من ورقة مكتوبة وهو يؤديه أما الممثل فى التلفزة فإن عليه أن يحفظه غيباً حينما يؤديه عبر الشاشة .

والتلفزة أكثر إراحة للمشاهد لأنها تجمع أمامه صور الأشياء دون حاجة إلى استعمال خياله وكده فى تصورها .

والتلفزة فى حد ذاتها أداة ذات خطر فقد جارت على كثير من وسائل الإعلام فسلبتها جانباً كبيراً من جماهيرها واغتصبت بعض خصوصياتها وهذه الوسائل هى الإذاعة والمسرح والصحافة والسينما .

وإذا كان الإعلان مضايقا فى الإذاعة فإنه فى التلفزة أقل مضايقة لاسيا إذا أبتعد عن التسلل خلال البرامج الشائقة وذلك لما يحتويه من لمحات جمالية فى الإخراج .

كيف تستفيد اللغة العربيةمنوسائل الاعلام:

إن الإفادة من وسائل الإعلام متعددة وتسخير هذه الوسائل لخدمة العربية أصبحت واجباً محتما إذا أردنا للغتنا سعة الانتشار وسرعته وهو ماتهدف إليه جميعاً .

ومن الأسباب الفعالة إعداد برامج ثقافية عربية قوية بطريقة جد مشوقة وتقدم هدية للبلاد الأخرى لتعرض لديها فى قنوات الإذاعة والتلفزة .

وكذلك إعداد برامج موسعة لتعليم اللغة العربية يقوم بها متخصصون اكفاء . . تقدم هى الأخرى بطريق الإهداء .

ويمكن أيضاً إرسال بعوث من الإعلاميين العرب للمشاركة فى وسائل الإعلام الخارجية يشاركون بالجهد والمال فى إنشاء إذاعات باللغة العربية وتتكفل بلادهم بتأمين متطلباتهم الذاتية ولاشك أن وفادتهم ستلقى الترحيب الكامل من البلاد التى يوفدون إليها .

والوسائل عديدة لاستفادة العربية من الإعلام الحديث متى صدقت النيات وصلبت العزائم . ومن أهمها التزام العربية الفصحى وحدها .

خاتمة :

وخلاصة القول أن اللغة العربية بسعتها وشمولها ودقتها ، وروعة مفرداتها وجمال تراكيبها ومتانة بنائها أداة طيعة مرنة للإعلام تستوعب حاجته ولاتضيق بمطالبه ، وإذا أحسنا الأخذ بهذه الأداة فإن إعلامنا سيبلغ الأوج ، ويستولى على الأمر .

كما أن العربية يمكن أن تفيد بدورها من وسائل الإعلام انتشاراً وذيوعاً .

ولاشك أن من الواجب دائما مضاعفة العناية بتدريس اللغة العربية والتدقيق فى اختيار الإعلاميين من أبنائها من محاضرين إذاعيين وصحافيين وكتاب رواية وتمثيلية وقصة فما أضر قضايا اللغة العربية فى إعلامنا الحديث غير الاعتماد على قاصرى الأداة ومستصعبى السهل ، فهؤلاء من عوامل تعثر العربية ، وانحراف مسارها فى قنوات الإعلام الصحيح وهم بالتالى لن يفيدوا من خصوبة هذه اللغة ، ووفرة عطائها .

ومن المؤلم حقا أن يسيطر الكثيرون من هؤلاء المهازيل الكسالى على الأداء الإعلامى وتصبح أخطاؤهم وغلطاتهم مفردات وجملا سائدة مسيطرة على لغة الإعلام والمكتوب والمنطوق ، وبحكم التقادم فإنها تضحى أمثلة تحتذى بل إن بعضها قد أخذ طريقه إلى التداول والاستعمال ليس على مستوى الجماهير فحسب ولكن على مستوى بعض من يسمون بالخاصة .

إن من الضرورى انتقاء الأشخاص المشتغلين بالإعلام من العناصر الممتازة ذوى الكفاءة اللغوية وهم ولله الحمد كثر من متخرجى الكليات المتخصصة كما أن من الواجب متابعة الدرس والبحث فى جعل العربية أكثر مرونة وأيسر تلقيناً ، ولاشك أن علماء العربية المعاصرين مهتمون أوسع اهتمام بتذليل عقبات اللغة ، متفهمون روح هذا العصر العجلان الذى هو عصر (الشطيرة) كما هو عصر (الذرة) .

وأخيراً فإن الكسب المعنوى والمادى الذى تجنيه الأمة العربية داخلاً وخارجاً — من استعمال اللغة العربية فى وسائل الإعلام لا يقدر بثمن .

هذه خطرات بالغة الإيجاز ، مكتفية بالإشارة الخاطفة عن (اللغة العربية ووسائل الإعلام) والله أسأل أن يوفق شعوب هذه الأمة ، ودولها وحكوماتها إلى خير الطرق لخدمة لغتها ورصد كل غال فى سبيل رفعة شأنها وإعلاء مكانها .

حسن عبد الله القرشى
عضو المجمع المراسل من السعودية



قبل يكون ... وقبل أن يكون

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ألقت إلى المقادير يوما عبء الحديث عن الشاعر العربى المصرى تميم ابن المعز لدين الله الفاطمى فى معرض الحديث جملة عن مصر الشاعرة فى العصر الفاطمى. والأمير تميم هذا شاعر له وزنه ، ظلمته الأيام حينا ، ثم حاولت إنصافه بأخرة من الزمان ، فظهر ديوانه الضخم سنة ١٩٥٧ عن دار الكتب المصرية محققاً بجهود عالمين جليلين هما أستاذنا المرحوم أحمد يوسف نجاتى ، وزميلنا فى مجمع اللغة العربية المرحوم الأستاذ محمد على النجار :

وتميم هذا هو الذى يقول عنه ابن الأبار الأديب الشاعر المؤرخ الأندلسى المتوفى سنة ٦٥٨ هـ وصاحب « الحلة السيراء » : (شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس : غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن تشبيه ، وإبداع تخييل ، وكان يقتفى آثاره ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعاره) .

ولقد كان من حظى أن أقرأ ديوان تميم بن المعز كله من ألفه إلى يائه بيتاً بيتاً، فقادتنى الألفة إلى التعرف إلى ملامح مميزة يكاد يتفرد بها الأمير تميم من دون شعراء مصر فى العصر الفاطمى . وإن كان بعضهم حاول أن يشركه فيها . ووجدت لشاعرنا تعابير خاصة لعل فيها من مصر آثاراً عليه بعد أن قدم من المهدية والمنصورية فى تونس سنة ٣٦٢ هـ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره فى صحبة والده المعز لدين الله الفاطمى .

وما أكثر ما كان تميم يمد المقصور ويقصر الممدود فى شعره على هيئة تلفت نظر قارئ شعره ، وما أكثر ما كان يصل همزة القطع ويقطع همزة الوصل كقوله فى مدح والده :

أأحصى أياديه ومن بعضها أنا
أم انعت جدواه ومن بعضها قدرى

وما أكثر ما كان شاعرنا يحذف المشبه الموصوف مع ما يبدو فى ذلك من غرابة كقوله :

تفتر عن كالجمان منتظم
يصافح اللثم بارداً خصرا

ويريد أن يقول: تفتر عن ثغر كالجمان . وما أكثر ما كان يلجأ شاعرنا تميم إلى

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين(جلسة الأربعاء غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

لغة « أكلوني البراغيث » فيلحق علامة التثنية والجمع بعامل الفاعل ونائب الفاعل، كالذى صنعه عبد الله بن قيس الرقيات فى مرثيته لمصعب بن الزبير حيث يقول :

تولى قتال المارقين بنفسه
وقد أسلماه مبعد وحميم

كما أنشده ابن عقيل رقم ١٤٣، والأشمونى رقم ٣٥٦، وابن هشام الأنصارى المصرى فى أوضح المسالك رقم ٢٠٩ ، وفى شرحه لشذور الذهب رقم ٨١ . وكالذى صنعه الشاعر أبو فراس الحمدانى فى قوله :

نتج الربيع محاسنا
ألقحنها غرُّ السحائب

بدلا من قوله : ألقحها غر السحائب . وإن كان أبو فراس ممن لا يحتج بشعره على قواعد اللغة ومفرداتها لأنه مولد . وإن كانت هذه اللغة أعنى لغة أكلونى البراغيث هى لغة جماعة من العرب يلحقون علامات التثنية والجمع بالفعل المسند إلى المثنى والجمع كما يلحق جميع العرب علامة التأنيث .

وأظهر ما وجدته من غرائب التعبير عند شاعرنا تميم بن المعتز هو حذف (أن) المصدرية عقب الظرف (قبل) . كقوله من أبيات فى شعر الشكوى، وليس عجيبــاً أن يشكو الأمراء وأبناء الخلفاء من زمان لاتنقطع الشكاة منه لدى غنى أو فقير :

عدانى عن الشكوى إلى الناس أننى
عليل ، ومن أشكو إليه عليل
ويمنعنى الشكوى إلى الله علمه
بجملة ما ألقاه قبل أقول

ونستطرد هنا إلى إباء الأمير تميم وكبريائه وعزة نفسه ، فهو يجد أسباب الشكوى ولكن كبرياءه ، لاتسمح له بالإفصاح حتى إلى خالقه ، فالله عالم بكل ما يلقاه فلا حاجة به إلى القول ، والناس كلهم شركاء له فى آفة الضعف البشرى ، فما جدوى الشكوى من عليل إلى عليل ؟

ولقد ألفنا وألف الناس فيما يقرءون ويحفظون ويتحدثون أن يقول القائل (قبل أن أقول) : لا أن يقول : (قبل أقول) بحذف أن المصدرية التى يسبك منها ومن الفعل بعدها مصدر يقع مضافا إليه للظرف : قبل . ويقدر هكذا : قبل القول .

ولقد تكرر حذف أن المصدرية هذه بعد الظرف (قبل) عند شاعرنا تميم . فنجده مثلا فى قصيدة يمدح بها أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمى يقول :

ولست أرضى من الأمور بما
لا أجد المكرمات ترضاها

واسمع فعندى من كل صالحة
ألطف أسرارها وأخفاها
لأدعى الفضل قبل يشهد لى
به أدانى الدنى وأقصاها

فهو لا يقول كما يقول سائر الناس : لأدعى الفضل قبل أن يشهد لى ، بل يقول : قبل يشهد لى ، فيحذف أن المصدرية التى نألف ورودها فى كثير جداً من منظوم الكلام ومنثوره بعد الظرف الزمانى المكانى : (قبل) .

وإذا تتبعنا « قبل » فى القرآن الكريم وهو أعلى مثل فى الصحة اللغوية وعلو الاستعمال وجدناها إما مضافة أو مقطوعة عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أو مقطوعة عن الإضافة لفظا ومعنى .

والمضافة لها أحوال سنتحدث عنها عما قليل . أما المقطوعة عن الأضافة لفظا لامعنى فكقوله تعالى : (لله الأمر من قبل ومن بعد) آية رقم ٤ سورة الروم. وقد قرأها السبعة على الضم ، وقدره ابن يعيش على أن الأصل فى الكلام : من قبل كل شىء ومن بعده . ورأى ابن هشام الأنصارى أن الأنسب للمقام أن يقدر : من قبل الغلب ومن بعده ، تمشياً مع سياق الكلام فى قوله تعالى : «ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض» ، فحذف المضاف إليه لفظاً ونوى معناه فاستحق البناء على الضم :

أما المقطوعة عن الإضافة لفظاً ومعنى فاستشهدوا لها من القرآن بقراءة : (لله الأمر من قبل ومن بعد) بالجر والتنوين لقطع النظر عن المضاف إليه لفظا ومعنى . وشاهده من الشعر قول يزيد بن الصعق :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد أغص بالماء الحميم

وإن كان « العينى » قد نسبه خطأ لعبد الله بن يعرب . فالظرف هنا منون منصوب لأنه قطع عن الإضافة فى اللفظ ، ولم ينو المضاف إليه :

أما « قبل » المضافة فى القرآن الكريم فيدل التتبع على ما يأتى : (١) إما مضافة إلى اسم الإشارة «هذا» كقوله تعالى فى سورة هود : (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) . وقوله فى السورة نفسها : (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) . وقوله تعالى فى سورة مريم : (ياليتنى مت قبل هذا). وقوله فى سورة الواقعة : (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) . (٢) وإما مضافة إلى اسم ذات كقوله تعالى فى سورة الرعد : (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أو مصدر صريح أو مؤول ، فالصريح كقوله تعالى فى سورة النساء : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) . وقوله فى سورة مريم : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أى قبل أن تطلع الشمس وقبل أن تغرب . والمصدر المؤول

يكون من (أن) المصدرية المذكورة وفعلها الذى يلى (قبل) على أن يكون المصدر المؤول من أن والفعل مضافا إليه للظرف « قبل » . ولقد جاء هذا الاستعمال فى القرآن كله على تسعة وعشرين موضعاً . كقوله تعالى فى سورة النساء : (من قبل أن نطمس وجوها) ، وقوله فى سورة الأعراف : (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) ، وقوله فى سورة إبراهيم : (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) ، وقوله فى سورة المجادلة : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) وتأويل هذه المصادر هو على الولاء : من قبل طمس الوجوه ، آمنتم به قبل الأذن لكم ، من قبل إتيان يوم ، فصيام شهرين متتابعين من قبل التماس (٣) وإما أن تكون « قبل » مضافة إلى الضمائر الآتية : ضمير المفرد المخاطب كقوله تعالى: فى سورة البقرة (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) . ضمير المخاطبين كقوله تعالى فى سورة البقرة : (اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) . ضمير المتكلمين كقوله تعالى فى البقرة : (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) . ضمير الغائب المفرد ، كقوله فى سورة البقرة : (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) . ضمير الغائبة المفردة ، كقوله فى سورة الرعد : (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم) . ضمير الغائبين كقوله تعالى فى سورة يوسف : (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم). ضمير ياء المتكلم كقوله تعالى فى سورة آل عمران : (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات) .

ومن تتبعنا للمواضع التسعة والعشرين فى القرآن التى جاء فيها المصدر مؤولاً من أن المصدرية والفعل بعد الظرف (قبل) نرى أن القرآن جرى على ذكر أن لاحذفها أو إضمارها ، كما جاء فى شعر تميم بن المعز الفاطمى . فالقرآن جرى على عبارة (قبل أن يكون) لا عبارة : (قبل يكون) .

ومعلوم أن (أن) المصدرية كما جاء فى شرح شذور الذهب ، وفى المغنى لابن هشام، وفى حاشية الصبان ، وفى المقرب لابن عصفور تضمر وجوباً فى مواطن ، كما تضمر جوازاً فى مواطن أخرى نص عليها النحاة. فبعد اللام التعليلية، ولام العاقبة التى تسمى أيضاً لام الصيرورة أولام المآل ، واللام الزائدة الواقعة بعد فعل متعد يجوز إظهار أن المصدرية وإضمارها . وقد ورد الإضمار والإظهار فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقوله فى سورة الزمر . (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) . أما لام الجحود المسبوقة بكون منفى فيجب إضمار أن بعدها ، كقوله تعالى فى آل عمران : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) ، وكذلك تضمر أن المصدرية وجوباً

بعد : كى التعليلية التى بمنزلة اللام ، ولا يجوز التصريح بأن بعدها إلا فى الشعر لضرورة ، على حين يجيز الكوفيون إظهارها عموماً فى الشعر والنثر. أما حروف العطف الأربعة : أو ، الواو ، الفاء ، وثم ، فمنها مالا يجوز معه إظهار أن وهو الحرف : أو . ومنها ما لا يجب معه الإضمار وهو حرف : ثم ، والباقى وهو الفاء والواو يجوز معهما إظهار أن وإضمارها .

وإذا حذفت أن المصدرية فى غير المواضع المنصوص عليها فى كتب النحو بطل عملها فلا تنصب المضارع ، فإذا نصبته كان ذلك شاذاً ولا يقبل منه إلا مانقله العدول كما جاء فى حاشية الصبان على شرح الأشمونى . ومن ذلك قراءة بعضهم : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) سورة الأنبياء. بنصب الفعل يدمغ . ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فقد نصب الفعل : أحضر ، على الرغم من إضمار أن التى لا يُعملها الكثيرون لأن العامل الناصب ضعيف كالجار والجازم ، والعامل الضعيف لا يعمل إلا إذا كان مذكوراً فى اللفظ فإذا حذف لم يبق له عمل . ومن ذلك ماجاء فى المثل : (خذ اللص قبل يأخذك) بالنصب ، أو قبل يأخذك بالرفع على رأى البصريين

ويبدو أن الإمام الشافعى قد تأثر بلهجة بعض قبائل العرب من حيث حذف أن المصدرية قبل الفعل المضارع ، وبعد الظرف : (قبل) . فتصادفنا فى كتابه الرسالة وهو مشهور موثق أمثال هذه العبارات : عليه يتعلم الصلاة ، بدلا من أن عليه أن يتعلم الصلاة . وقبل تكمل الصلاة . بدلا من قبل أن تكمل ، قبل يحل عليك بدلا من : قبل أن يحل عليك. (انظر صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢ من الرسالة بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر) .

ويعد استعمال الإمام الشافعى لأمثال هذه اللهجات العربية توثيقاً لها ، ومساندة لصحتها. ومن هنا صح للشيخ أحمد محمد شاكر أن يقول فى هذا الصدد : (لغته — يعنى الإمام الشافعى — حجة ، لفصاحته وعلمه بالعربية .. وأصل الربيع من كتاب الرسالة أصل صحيح ثابت غاية فى الدقة والصحة . فما وجدناه مما شذ عن القواعد المعروفة أو كان على لغة من لغات العرب لم نحمله على الخطأ ، بل جعلناه شاهداً لما استعمل فيه) .

ومن هنا أيضاً نرى الأستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة يتحدث فى كتابه عن (الإمام الشافعى) قائلا : (ولقد كان مع استحفاظه لأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه لكتاب الله تعالى قد اتجه إلى التفصح فى العربية ، ليبعد كل البعد عن العجمة وعدواها

التى أخذت تغزو اللسان العربى بسبب الاختلاط بالأعاجم فى المدائن والأمصار . وقد خرج فى سبيل هذا إلى البادية ولزم هذيلا) .

ويقول الإمام الشافعى نفسه عن نفسه كما جاء فى (مناقب الشافعى) للفخر الرازى : (إنى خرجت من مكة فلازمت هذيلا بالبادية ، أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ؛ فلما رحلت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار) . وإذا ما احتجنا إلى شاهد آخر غير الشافعى على الشافعى ، فإنا نرى الأصمعى اللغوى الراوية المعروف يقول : (صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس) يعنى الإمام الشافعى . وقد التقط المرحوم الأستاذ مصطفى منير أدهم — والد الزميل د . إبراهيم الدمرداش — هذه الشهادة فرواها فى محاضرته عن (رحلة الإمام الشافعى إلى مصر) التى ألقاها فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ بدار الجمعية الجغرافية بشارع قصر العينى ، وطبعها فى مطبعة المقتطف والمقطم سنة ١٩٣٠ وأسعدنى بأنه أهداها إلى يومئذ ، كما أسعدنى نجله الزميل الدكتور إبراهيم بإهدائى — من أشهر — نسخة أخرى من طبعة جديدة لها ؛

ومن الأمثلة على حذف أن المصدرية التى استشهد بها ابن هشام فى مغنى اللبيب ، والصبان فى الحاشية ، وابن عقيل فى الشرح ، والإمام أحمد بن عبد النور المالقى المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ، وابن عصفور فى المقرب قول بعضهم : (مره يحفرها) أى أن يحفرها ، وقول بعضهم : (لابد من يتتبعها) . وإن كان صاحب المقرب قد عد هذا من نادر الكلام .

فالإمام الشافعى قد أفاد من أمثال هذه اللهجات واستعملها فى كتاباته وأدارها على ما كان يحرره بمصر ، وخاصة أنه دخل مصر سنة ١٩٩ هـ . ومات ودفن بها سنة ٢٠٤هـ . وقد كان رضى الله عنه قد كتب كتابه (الرسالة) لعبد الرحمن بن مهدى قبل أن يجيء إلى مصر ، ولكنه أعاد كتابتها بهذا البلد الطيب من جديد .

ويبدو أن هذه اللهجات التى ارتضاها الإمام الشافعى وأكثر استعمالها فى كتبه ورسائله قد لقيت من علماء مصر وأدبائها ومؤرخيها وشعرائها ترحيباً وقبولا . فنجد الحسن بن زولاق مؤرخ مصر فى القرن الرابع الهجرى يلجأ فى كتابه المشهور : (أخبار سيبويه المصرى) — وهو غير سيبويه النحوى — إلى حذف أن المصدرية فى المواضع التى لم ينص فيها النحاة واللغويون على حذف . كقوله : (فما قدرنا نقابله) أى أن نقابله . وقوله (فعقد على أبيه لا يعمل الصرف) أى أن لا يعمل الصرف . وقوله : (فقال : اذهب عافاك الله لا أراك ، على تأتى بعدها) يريد : على أن تأتى بعدها . وقوله : (لاشتهيت تصفع نفسك) يريد : لاشتهيت

أن تصفع . . . وقوله : (احتاج أحفظ) يريد أحتاج أن أحفظ . وقوله : (فمنها أنه طلب منى حماراً يركبه فتهاربت منه خوف يطوف عليه) يريد خوف أن يطوف عليه . وقوله : (على شريطة تعطيني من ديني خمسمائة دينار) يريد : على شريطة أن تعطيني . وقوله : (ياسيدى : أخاف لايقبل منى) بدلا من : أخاف أن لا يقبل منى . (انظر صفحات ١٦ — ٢٥ — ٢٩ — ٣٩ — ٤٨ — ٥٠ — ٥٥ — ٥٦) من كتاب أخبار سيبويه المصرى . ونجد الكاتب المؤرخ أبامحمد عبد الله البلوى — وهو مصرى يرجع بنسبه إلى قبيلة بلى بالحجاز وكان معاصراً للدولة الطولونية . . نجده فى كتابه (سيرة أحمد بن طولون) الذى حققه المرحوم محمد كرد على . يميل إلى حذف أن المصدرية فيقول : (أريد أخاطب الأمير) بدلا من : أريد أن أخاطب الأمير .

ونجد الشاعر الشامى المشهور ابن حيوس من رجال القرن الخامس الهجرى يحذف أن المصدرية بعد الفعل : أراد . كقوله من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش :

أراد يرينا الله جاهلك عنـــده
ومن منك أولى بالمحبة والزلفى

ويبدو أن العوام فى مصر والشام والعراق وجدوا فى حذف أن المصدرية استئناساً بمجيزى الحذف فى اللغة المكتوبة ، فنرى عند شاعر زجال عراقى اسمه ابن جابر البغدادى من رجال القرن السابع الهجرى استعماله لأن المضمرة بعد (لابد) فى قوله نقلا عن الجزء الثانى من فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى :

لابد تظهر بين الناس
قلندرى محلوق الرأس
تلبس عوض دا الــكتان
وحلتك من صوف خرفان
أو دلق أو تصـــبح عريان

وتدل وثائق البردى المكتشفة فى مصر والتى نشرها العلامة أدولف جروهمان فى مصر سنة ١٩٣٤ ، سنة ١٩٥٢ — على أن حذف أن المصدرية قبل المضارع فى غير مواطن الحذف المعروفة كان ظاهرة سائدة فى الكتابات العربية على أوراق البردى ، سواء أكانت تلك الكتابات مدونة بالحروف العربية أم بحروف قبطية ، وسواء أكانت مكتوبة بعبارة عامية فيها بعض الفصيح ، أوبعبارة فصيحة مشوبة بالعامية . ومن ذلك ماجاء فى وثيقة كتبت فى القرن الرابع الهجرى وفيها هذه العبارة : (فكيف تسمح نفوسهم يسلفـــوا شىء ويأخذوه وقت الغلة) . بدلا من : (فكيف تسمح نفوسهم أن يسلفوا) .

ويظهر أن هذا الحذف وجد قبولا عند العامة لسهولته ولإيجاز الكلام فيه :

وليس عجيباً أن يهتم العامة فى مصر بحذف أن المصدرية قبل مضارعها وأن يرتضوها

لهم لغة سهلة فى الكتابة وفى الخطاب ، ولكن العجيب أن يهتم الشعراء بهذه اللهجة أو اللغة التى اختارها الإمام الشافعى وآثرها على اللغة العالية فى إثبات أن . وقد رأينا الشاعر تميم ابن المعز فى القرن الرابع الهجرى يرضى عن هذه اللهجةويكررها فىمواطنمن شعره حيث كان له عنها مندوحة . ونجد شاعراً مصريا آخر من الأشراف الطالبيين هو الشريف العقيلى الذى اختلف فى وجوده بين القرنين الرابع والخامس قد ارتضى هذه اللهجة كما ارتضاها تميم بن المعز من قبل ، فنجد فى ديوانه الذى نشره زميلنا المرحوم الدكتور زكى المحاسنى فى مصر قوله :

فكن لداعى التــقى مجيبــا
من قبــل تدعى فلا تجيب

بدلا من قوله : من قبل أن تدعى .

ونجده فى موطن آخر يقول فى خمرية له :

فاسبق الشمس قبل تبدو بشمس
سرها فى غمامة الكأس جهر

بدلا من قوله : فاسبق الشمس قبل أن تبدو . ونجده فى موطن ثالث يقول فى إحدى خمرياته النيلية :

فاشرب على مذهب أزهــاره
من ذهب فى فضة يجرى
قبــل يريك الصبح بلــوره
يلمع فى فيروزج الفجر

بدلا من قوله : قبل أن يريك الصبح بلوره .

ولا يقف حذف أن المصدرية فى مصرقبل الفعل أوقبل الفعل وبعدالظرف (قبل) عند شعراء القرن الخامس الهجرى : فنجدالظاهرة تمتد عند شاعر مصرى يمنى من رجال القرن السادس هو ظافر الحداد الأسكندرى المتوفى سنة ٥٢٩ هـ كما جاء فى أكثر المصادر ، وسنة ٥٦٣ هـ كما ذكر ابن تغرى بردى الأتابكى فى وفيات سنة ٥٦٣ .فنجد له من قصيدة فى حالة النسيان التى كانت تعترى أبا عامر قوله : من قبل يبسم أوتهل عيناه . . بدلا من أن يقول : من قبل أن يبسم أو تهل عيناه .

على أن بعض شعراء الشام قد حلا لهم أن يجاروا بعض شعراء مصر فى هذه الظاهرة التى أشاعها الإمام الشافعى باستعمالها فى نثره منذ أواخر القرن الثانى الهجرى ، فجاء الشعراء بعد ذلك وارتضوا استعمالها فى غير ضرورة على توالى العصور . ويصادفنا من هؤلاء الشعراء الشاعر ابن حيوس الدمشقى المتوفى سنة ٤٧٣ هـ والذى نشر ديوانه المغفور له الأستاذ خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٧١ هـ (سنة ١٩٥١م) . فنرى هذا الشاعر يقول من قصيدة فى مدح أمير الجيوش :

لازلت تحكم فى الأنــام مخولا
ملكاً يزول الدهر قبــل يزول

بدلا من أن يقول : يزول الدهر قبل أن يزول . وليس معنى اختيار ابن حيوس لهذه اللغة أنه غضّ نظره عن إثبات (أن) بعد الظرف (قبل) ، فإنه كان يراوح بين الاستعمالين ، كقوله من قصيدة عينية يمدح بها أمير الجيوش :

ربعت له الأملاك قبل رضاعه
وتزعزعت من قبل أن يترعرعا

ولعل زملاءنا الأفاضل هنا من أهل المغرب الكرام يسرهم أن يعلموا أن هناك شاعرين يتصحف اسمهما على الناس باسم(ابن حيوس) الدمشقي من أهل المشرق العربي . أحدهما مغربي من فاس ، والآخر أندلسي من أشبيلية . أما الأول فهو : عبد الله بن محمد ابن حبوس بالباء التحتية الموحدة المخففة ، وقد نبه إلى التصحيف فيه ابن خلكان . والناس يصحفونه إلى ابن حيّوس بالمثناة المشددة . وهو غلط كما نبه عليه صاحب الوفيات (انظر وفيات الأعيان ج٢) .

أما الثانى الأندلسى فقد ورد اسمه فى معاهد التنصيص لعبدالرحيم العباسى بعد ترجمته لابن حيوس الدمشقى . وهو من غرائب التصحيفات ، وصوابه : ابن حنون بنونين ، أولاهما مخففة كما جاء فى « المغرب» لابن سعيد المغربى ، وقد تنبه إلى ذلك الدكتور عبد العزيز الإهوانى ، ونبه عليه المرحوم خليل مردم بك .

ولقد وجدنا الشعراء فى العصور المتأخرة يتخففون كثيراً من حذف (أن) المصدرية بعد الظرف (قبل) . ولعلهم وجدوا فى الحذف شيئاً لم يألفوه فى الاستعمال الغالب ، فآثروا أن يجروا على اللغة الشائعة الغالبة . ولكنا نصادف عند الشاعر المهجرى الكبير (إيليا أبو ماضى) – وهو يمثل تيارات الشعر الجديدة فى المهجر الأمريكى الشمالى – نزوعه بعض الحين إلى اللغة التى ارتضاها الإمام الشافعى فى حذف (أن) بعد الظرف (قبل) ، كقوله من قصيدة رائعة فى أثر الغربة فى بلاد المهجر الشمالى :

قالت : أينسى النازحون بلادهم
ماهاج حزن القلب غير سؤالها
الأرض سوريّا أحب ربوعها
عندى ولبنان أعز جبالها
والناس أكرمهم على عشيرها
روحى الفداء لرهطها ولآلها
تشتاق عينى قبل يغمضها الردى
لو أنها اكتحلت ولو برمالها ؟

كما أن الشاعر المهجرى الصديق زكى قنصل من شعراء العروبة فى المهجر الجنوبى بالأرجنتين ينفرد من بين الشعراء العرب فى أمريكا اللاتينية بحذف (أن) المصدرية

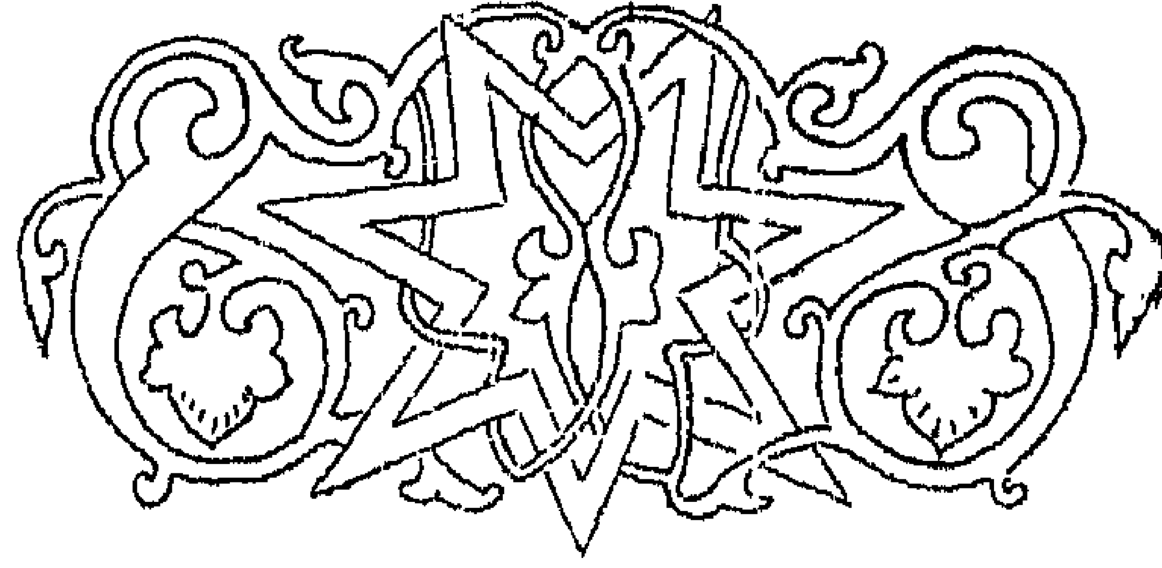
عقب الظرف (قبل) . كقوله من قصيدة عنوانها : ليلة حب

ماكنت أعلم قبل يجمعنا الهوى
أن النعيم على مدى خطوات

ولعله متأثر هنا بإيليا أبي ماضي الذي يعجب به : ومتأثر كذلك بالنماذج المعدودة لهذا الاستعمال الذي لايعدمه المطالع على ندرة نادرة فى دواوين الشعر العربى على مسيرة القرون :

وبعد : فهذه متابعة لاستعمال التعبير : (قبل يكون) بدلا من (قبل أن يكون) وهى ظاهرة كان يألفها الكتاب والشعراء والمتحدثون حتى القرن السادس الهجرى ، ولكن لم يكن لها ظهور ولا رواج بعد ذلك حتى عصرنا الحديث .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



من كُنَاشَة النَّوَادر

للأستاذ عبد السلام هارون

تراثنا العربي زاخر بأنواع شتى من المعارف بها جلاء لكثير من غوامض العلم، كما أنه مشحون بالطرائف وغذاء الذهن والروح واللسان أيضاً.(*)

وقد كان من سوالف الأقضية أن أقيد تلك الشوارد ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، فإن الحكيم العربي كان يقول وقوله حق : « العلم صيد والكتابة قيد» وإذا ضاع القيد ذهب الصيد .

وكثيراً مايقرأ الإنسان شيئا فيعجبه ، ويظن أنه قد علق بذاكرته ، فإذا هو في الغد قد ضاع منه العلم ، وضاع معه مفتاحه ، فانتهى إلى حيرة في استعادته واسترجاعه .

والباحثون ، ولا سيما في أيامنا هذه ، يقيدون هذه المعارف في جذاذات يرجعون إليها عند الحاجة ، ولكني سلكت طريقا أوثق من طريق الجذاذات ، هو دفتر الفهرس ، وهو الذي سميته « كناشة النوادر» ، أقيد فيها رءوس المسائل مرتبة على حروف الهجاء ، مقرونة بمراجعها

وقد وجدت أن هذه التسمية ، أبعد مافيها من التوليد أو التعريب ، أقرب في الدلالة وأدق في التعبير .

ففي القاموس «الكناشات بالضم والشد: الأصول التي تتشعب منها الفروع » وعلق عليه صاحب تاج العروس بقوله : «نقله الصاغاني عن ابن عباد» وإذن فهنا أصل عربي يولد منه كناشة الأوراق .

ويعقب عليه صاحب التاج أيضاً بقوله: « قلت ومنه الكناشة : الأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط . هكذا يستعمله المغاربة . واستعمله شيخنا — يعني ابن الطيب الفاسي اللغوي — في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً » ، يعني حواشي ابن الطيب على القاموس .

أما الخفاجي في شفاء الغليل فيضبطه بلفظ كناش بضم الكاف وتخفيف النون بزنة غراب ، ويقول : إنه لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة . وقد وقع هذا اللفظ كثيرا في كلام الحكماء ، وسموا به بعض كتبهم .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الخميس ٩ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

وبيحثى فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى المتوفى سنة ٦٤٦ وجدته يذكر الطبيب « يوسف الساهر » ويقول : «كان طبيبا فى أيام المكتفى الخليفة العباسى المتوفى سنة ٢٩٥» ثم يسرد من تصانيف يوسف الساهر هذا : «كتاب الكناش» . وقال : إنما سمى الساهر لأن سرطاناً كان فى مقدم رأسه ، فكان يمنعه النوم ،فلقب الساهر من أجل ذلك. ويقول القفطى : وإذا تأمل متأمل كناشه رأى فيه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض .

فهذا من أقدم التسميات . كما أن من أقدمها ماعثرت عليه فى كشف الظنون ، من (الكناش المنصورى) للطبيب المعروف محمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ صاحب الحاوى والطب الملوكى . ألف هذا الكناش للأمير منصور ابن إسحاق بن أحمد السامانى المتوفى سنة ٣٠٢ .

وكذلك كناش أعين بن أعين الطبيب المصرى المتوفى سنة ٣٨٥ .

وأعتقد أنى بذلك قد أطلت واستطردت فى تعليل تسمية مذكراتى هذه باسم «كناشة النوادر» . ولكنى بذلك لم أخرج عن موضوع محاضرتى هذه .

وقد قيدت فى هذه الكناشة على مدى اشتغالى بالبحث والتحقيق زهاءنصف قرن نحو ثلاثة آلاف مذكرة هى رءوس مسائل، أرجو إن مد لى فى أجل الحياة أن أنشرها مفصلة على هذا النحو الذى أشرف بتقديمه.

فمن طريف ماقيدته فى هذه الكناشة تفكير أسلافنا القدماء فى أمورحضاريةيزهو بها عصرنا الحاضر ويعدها من مفاخره .

جراحة التجميل :

جاء فى ترجمة الصحابى الجليل المقداد بن الأسود الكندى أنه كان عظيم البطن ، وكان له غلام رومى فقال له : أشق بطنك ، فأخرج شيئا من شحمه حتى تلطف أى تصير رشيقاً — فشق بطنه ثم خاطه . فمات المقداد وهرب الغلام .

ولعل هذا أول تفكير فى جراحة البطن للتجميل ، نسمع به فى عالمنا العربى القديم، القديم ، الذى سبق العالم الغربى فى كثير من أمهات الحضارة . الإصابة ٨١٧٩

محو الامية :

كان العرب حراصاً على إدماج أبنائهم فى التعليم ، ولاسيما حفظ القرآن الكريم ، بل على إجبارهم عليه ، استجابة لأمر الكتاب . فاذا أفلت أحدهم من قيد التعليم صغيراً رد إليه كبيراً .

جاء فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٨٣ فى ذكر خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قوله : « وهو الذى أمر به يزيد بن عبد الملك أن يحمل إلى الكتاب حتى يتعلم القرآن مع الصبيان . فمات كمدا » .

فبهذا سبق عربى فى الحرص على استدراك تعليم من فاته التعليم ، وفى حرص الولاة على تعميم التعليم .

تنظيم خدمة العملاء :

يزدحم الناس على العامل أو التاجر ، فيحدث ذلك اضطراباً أو تذمراً أو صراعاً ، لايعالجه إلا تنظيم العملاء ، وهو الذى انتهى الأمر فيه فى مدينتنا الحديثة بنظام الصفوف ، كما هو واقع الآن فى التموين والمصارف ، ودور اللهو ونحوها .

فلننظر إلى هذا النص من كتاب الحيوان للجاحظ ٧ : ٢٦٢

وكان أهل المربد يقولون : لانرى الإنصاف إلا فى حانوت فرج الحجام ، لأنه كان لايلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل ، ويقدم الأول ثم الثانى ثم الثالث أبداً حتى يأتى على آخرهم . على ذلك يأتيه من يأتيه . فكان المؤخر لايغضب ولايشكو .

خيال الظـل :

وهو الأصل الأول للسينما المعاصرة ، إذ تتحرك الأشخاص والأشكال خلف ستر وقد سلط عليها الضوء ، فتبدو صورها متحركة من خلف الستر .

ومن أقدم النصوص التى سجلت فيها هذه الظاهرة . قول ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ أى منذ ثمانية قرون :

رأينا خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان فى أوج الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى
وتفنى جميعا والمحرك باقى

النجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ .

رايات العرب :

قد نظن أن رايات العرب كانت ساذجة تتميز باختلاف ألوانها فحسب . والواقع أنه كان لمختلف القبائل فى أعلامها رموز وإشارات خاصة . قال المرزوقى فى شرح المفضليات : «كانت راية تميم على صورة العقاب ، وراية بنى أسد على صورة الأسد » . شرح المفضليات ٣٤٧ دار المعارف .

أعياد الميـلاد :

وجدت الاحتفال بها قديماً قبل سنة ٢٠٩ وعلى صورة رائعة غير مانشهده اليوم .

قال المبرد : كان سعيد بن سلم إذا استقبل السنة التى يستقبل فيها عدد سنيه أعتق نسمة ، وتصدق بعشرة آلاف درهم : فقيل للمدينى : إن سعيد بن سلم يشترى نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم . فقال المدينى : إذن لايبيعه . كامل المبرد ٤٣٣ ليبسك .

وكانت وفاة سعيد بن سلم بن قتيبه الباهلى سنة ٢٠٩ كما فى النجوم الزاهرة .

وقد تظن أن الاحتفال بعيد ميلاد المسيح بدعة حديثة ، وفى الحق أنه بدعة قديمة جدا . ففى كتاب التحف والهدايا للخالديين ص ٩٧ :

كتب الحسين الضحاك إلى أحمد بن يوسف الكاتب ليلة عيد الميلاد يستهديه شمعا :

وليلة ميلاد عيسى المسيـ
ـح قد طالبتنى بميثاقها
فهذى قدورى على نارها
وفاكهتى ملء أطباقها
وبنت الدنان فقد أبرزت
من الخدر تجلى لعشاقها
فكن مهديا لى فدتك النفوس
فجودك ممسك أرماقها
نظائر صفراً غدت فتنة
بلطف أنامل حذاقها
ومثل الأفاعى إذا ألهبت
وللروم زرقة أحداقها
ولم أر من قبلها أنفساً
تذيب الجسوم بإحراقها
وإن مرضت لم يكن برؤها
بشىء سوى ضرب أعناقها

وكانت وفاة أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون سنة ٢١٣ هـ

المرآة :

من أعجب ماوجدته فى النصوص القديمة ماذكره صاحب القاموس فى مادة (حسن) أنه كان لعبد الملك بن مروان وهو من هو ، مرجلة تتعهد شعره وترجله . ولايقف عند ذلك بل يعين اسمها فيقول : « واسمها حسينة » .

وهذا مظهر حضارى ليس من السهل أن يدور بخلد أحد من الباحثين .

و « حسينة » أيضاً : علم نادر من أعلام النساء ، لم أجد نظيره إلا فى « حسينة اليسارية » صاحبة ابن ميادة الشاعر . وكانت جميلة ، منسوبة إلى آل يسار من موالى عثمان رضى الله عنه . وكانت حسينة هذه عند رجل من قومها يقال له عيسى بن إبراهيم ابن يسار . وكان ابن ميادة يزورها . وفيها يقول :

ستأتينا حسينة حيث شئنا
وإن رغمت أنوف بنى يسار

ودخل عليها زوجها عيسى يوما فوجد ابن ميادة عندها ، فهم به هو وأهلها ، فقاتلهم ابن ميادة ، وعاونته عليهم حسينة صاحبته حتى أفلت ، وقال فى ذلك :

لقد ظلت تعاوننى عليهم
صموت الحجل كاظمة السوار
وقد غادرت عيسى وهوكاب
يقطع سلحه خاف الجدار

الأغانى ٢ : ١١٠

أضخم مسيرة للنساء :

كانت وفاة الإمام العظيم أحمد بن حنبل فى بغداد سنة ٢٤١ مثار حزن وأسى فى ربوع بغداد . ووقع المأتم والنوح فى أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود والنصارى ، والمجوس ، كما يقول البغدادى فى تاريخ بغداد .

ويروى بسنده إلى بنان بن أحمد القصبانى أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل مع من حضر . قال : فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة ربع القطيعة ، وحرر من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستين ألف امرأة . فأى ضخامة هذه ، وأى حضارة تلك وأى تنسيق ونظام ؟ ؟ تاريخ بغداد ٤ : ٤٢٢

نص نادر فى النساء :

أورد البخارى فى كتاب المغازى ٥ : ١٥٦ فى غزوة الطائف أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على النبى – صلى الله عليه وسلم – وعندى مخنث ، فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : ياعبد الله ، أرأيت أن فتح الله عليكم الطائف ، فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لايدخلن هؤلاء عليكم » .

والذى يعنينا فى هذا النص هو تفسير تقبل بأربع وتدبر بثمان . ما الأربع وما الثمانى ؟ وكثيراً ما سئلت عن هذا التأويل . وقد أورده ابن حجر فى فتح البارى ٨ : ٢٥ و ١٠ : ٢٨٠ وقال : معناه أنها تقبل بأربع من العكن . والعكنة ، بضم العين : ماانطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . وأما إدبارها بالثمانى فلأن أطراف العكن الأربع التى فى بطنها تظهر ثمانية فى جنبيها ، أربعة عن يمين ، وأربعة عن شمال .

وقد عثرت على رواية أخرى فى اللسان (ستت) : « فإنها تمشى على ست إذا أقبلت ، وعلى أربع إذا أدبرت » . يعنى بالست يديها وثدييها ورجليها . أى إنها لعظم ثدييها ويديها كأنها تمشى مكبة . والأربع رجلاها وأليتاها ، وأنهما كادتا تمسان الأرض لعظمهما .

تأصيل بعض الكلمات :

١ – البلاط بمعنى قصر الملك أو الخليفة . كثيراً ما نقرأ : تشريفات البلاط ، أخبار البلاط ، البلاط الملكى . والمعروف فى اللغة أن البلاط كسحاب : الأرض المستوية الملساء . وهو أيضا : الحجارة التى تفرش فى الدار .

وهو كذلك كل أرض فرشت بالحجارة أو بالآجر . وفى اللغة أيضاً أن البلاط اسم لعدة مواضع وقرى ، منها بلاط مدينة الرسول الكريم بين المسجد والسوق وهو موضع مبلط . فالكلمة عربية قديمة كما أن استعمالها بمعنى القصر قديم جداً كذلك . وجدته عند المسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ عند الكلام على انتزاع نقفور للملك من رينى امرأة اليون بن قسطنطين فى سنه ١٨٧ ، وهى فى بلاط بلتة بالقسطنطينية . يقول المسعودى :

المسعودى : «والبلاط : القصر . وفى هذا البلاط ميناء عليه سلسلة ، فيه ينزل رسل العرب إذا قدموا للفداء . التنبيه والإشراف ١٤٢.

وجاء فى المعجم الوسيط أن البلاط قصر الحاكم وحاشيته وذكر أن الكلمة معربة والقول بأنها معربة مع أنها عربية اللفظ وعربية الاستعمال أمر يحتاج إلى تصحيح .

فقد ورد فى تسمية المواضع العربية بيت البلاط ؛ من قرى دمشق بالغوطة. وكذلك البلاط قرية بحلب يقول فيها الشاعر :

لولا رجاؤك مازرنا البلاط ولا
كان البلاط لنا أهلا ولا سكنا

ودار البلاط : موضع بالقسطنطينية كان سيف الدولة يحبس فيه الأسراء، وقد ذكره المتنبى فى شعره كما ذكره أبو العباس الصفرى شاعر سيف الدولة وكان محبوساً فضربه مثلا وقال :

أرانى فى حبسى مقيما كأننى
ولم أغز فى دار البلاط مقيم

وما بالنا نذهب بعيداً وشاعرنا الجاهلى أبو دُاود الإيادى يذكر البلاط بمعنى القصر المشيد فى قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر
على رب أهله الساطرون
صرعته الأيام من بعد ملك
ونعيم وجوهر مكنون

ولقد كان فى كتائب خضر
وبلاط يشاد بالآجرون

ديوانه ٣٤٧ والتاج واللسان (بلط) والمعرب للجواليقى ٢١

البورى ضرب من السمك :

وهى تسمية لنوع من السمك شائعة فى مصر ، وقد يظن بعضهم أنها تسمية حديثة ، حتى ذهب كثير إلى أنها نسبة إلى بورسعيد . وإنما هى تسمية قديمة جداً ، يرجع العهد بها إلى ما قبل زمن ياقوت ابن عبد الله الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ قال فى معجم البلدان : « بورة : مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط ، تنسب إليها العمائم البورية والسمك البورى، ومنها محمد ابن عمر من حفص البورى » .

الشوربة والشوربجى :

الشوربة هى بالعربية الحساء أو المرق ولاعلاقة لها بمادة (شرب) العربية .

جاء فى الفتح الوهبى ٢:١٢٨ وهو شرح لتاريخ أبى نصر العتبى عند ذكر مجاعة وقعت بنيسابور سنة ٤٠١ : « الشورباجه فارسى معرب بمعنى المرق » . وأنشد قول أبى محمد الزوزنى :

والباب أغلقه عليك
موثقا منه رتاجه
لا يقتضيك الجائعون
فيطبخونك شورباجه

وفى معجم استينجاس ٧٦٥ أن شورباج تعريب للفارسية القديمة « شوربا » . ومن طرق التعريب عند العرب زيادة الجيم فى نهاية الكلمات المعربة كما قالوا فى موزه بمعنى الخف موزج ، وفى نشاسته بمعنى النشا : نشاستج ، وفى بنفشه لتلك الزهرة بنفسج ، وفى نبهره بمعنى الباطل بهرج ، وفى ديبا لضرب من الحرير : ديباج.

أما الشوربجى فهى نسبة تركية إلى «شوربا» لصانعها أو القيم عليها .

والمعجم الوسيط يجعل الشربة عربية مولدة إذ قال : « الشربة : الحمرة فى الوجه ، ومقدار ما يروى من الماء ، والحساء . مولد» .

والحق أنها فى استعمالها بمعنى الحساء معربة تعريبا حديثا مأخوذة من التركية الآخذة من الفارسية . وعربيتها : المرق والحساء .

الفذلكة :

فى القاموس : « فَذْلَكَ حسابه : أنهاه وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا » وهذا إشارة إلى أن الكلمة منحوتة .

ومرجع صاحب القاموس هو نص الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠ فى التكملة : ٢٢٧٥ وبعده فى التكملة : « وهذه الكلمة مثل فهرس الأبواب فهرسة ، إلا أن فذلك ضارب بعرق فى العربية » .

وصاحب القاموس والصاغانى كلاهما لم ينص على الفذلكة وإن كان مفهوماً أنها جملة الحساب والعدد .

وذكر المعجم الوسيط « الفذلكة » ، وفسرها بأنها مجمل ما فصل وخلاصته » وقرنها بعبارة « محدثة » مع أن الكلمة مولدة توليدا قديما جدا . فقد وجدتها فى الفهرست لابن النديم ص ١١٣ بمعنى نهاية التأليف وحصيلته . قال فى ترجمة أبى عمر الزاهد المتوفى سنة ٣٤٥ : « ثم جمع الناس على قراءة أبى إسحاق الطبرى ، وسمى هذه القراءة الفذلكة » .

وكانت وفاة ابن النديم أيضا سنة ٣٨٥ه فالكلمة عمرها أكثر من ألف سنة . وليست محدثة كما ذكر المعجم الوسيط .

كلمة الصابون :

فى المعجم الوسيط أن الصابون الذى تغسل به الثياب والأبدان ونحوها كلمة دخيلة . وفى القول بأنها دخيلة نظر . فصنيع صاحب القاموس يفهم منه أن الكلمة عربية ، إذ يقول : و« الصابون معروف حار يابس مفرح للجسد » .

وصاحب شفاء الغليل لم يذكره فى قليل أو كثير . وهو إيحاء بأنه عربى .

أما الجواليقى (٥٤٠) فى المعرب فقال إنه أعجمى ، يعنى أنه معرب وهو فى ذلك موافق لابن دريد (٣٢١) الذى قال فى الجمهرة ٣ : ٣٩٠ : « فأما طالوت

وجالوت وصابون فليس بكلام عربى فلا تلتفت إليه . وإن كان طالوت وجالوت فى التنزيل ، فهما اسمان أعجميان . وكذلك داود » .

وقال صاحب اللسان « : والصابون الذى تغسل به الثياب معروف . قال ابن دريد : ليس من كلام العرب » .

وجاء الأزهرى بعد ابن دريد بنحو نصف قرن فذكر أنه معرب.

وكان الصابون معروفا زمان ابن قتيبة المولود سنة ٢١٣ يقول فى كتابه المعارف ٢٤١ : « وأول من عمل الصابون سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام » .

فكيف يقال فى كلمة مثل هذه إنها دخيلة ؟! لعل أقل ماتوصف به أنها معربة ، ومعربة تعريبا قديما أصيلا .

ولقد أنصفها العلامة ابن الطيب الفاسى شيخ صاحب تاج العروس إنصافا بينا ، قال صاحب تاج العروس : « قال شيخنا — يعنى ابن الطيب — : هو مما توافقت فيه جميع الألسنة العربية والفارسية والتركية وغيرها» .

ولقد ذهب استينجاس فى معجمه ٧٧٧ إلى أن الكلمة فى الفارسية مأخوذة من العربية ورمزلها بالرمز A .

فى مجال التعبير :

كثيرا مايحار المرء فى اختيار اللفظ او العبارة ليعرب عما فى نفسه .

١ — مثال ذلك أن يريد البكاء على عزيز عليه فلا تجيبه عينه ولا دمعته ، وقد وجدت فى اللسان « الليث : التغبيض : أن يريد الإنسان البكاء فلا تجيبه العين » قال أبو منصور : وهذا حرف لم أجده لغيره» ونحوه فى القاموس .

٢ — ويريد أن يعبر عمن يسخر بغيره فيستعمل حركة معينة كأن يحرك له أنفه ويقبضها.

وقد وجدت العرب قد عبروا عن هذا المعنى الدقيق المشاهد فى كل يوم ففى اللسان : « ابن الأعرابى : كنّص إذا حرك أنفه استهزاء. ويقال كنّص وجه فلان ، إذا استهزأ به » ونحوه فى القاموس .

٣ — ويريد أن يعبر عن الواحدة من العظم بلفظ العظمة ، فيزجره علماء اللغة المعاصرون ، ويأخذونه بأن يقول عظم للجمع وللواحد أيضاً إن أراد .

وقد وجدت فى تهذيب الأزهرى فى مادة (سهم) نقلا عن النضر بن شميل تلميذ الخليل ، وكان ممن أقام بالبادية دهراً طويلا مقداره أربعون سنة « وجدت هذا النص فى مجال الكلام على سهام العرب : « والمريخ : الذى على رأسه العُظيمة ، يرمى بها أهل البصرة بين الهدفين » .

ونقل هذا النص عنه صاحب اللسان .

ولا ريب أن لفظ « العظمة مع غر عن مؤنث هو العظمة ، فتكون العظمة واحدة للعظم ».

٤ ــ ويتردد فى ذكر أيام العرب ومغازيها فى التعبير عن قلة القوم بأنهم «أكلة جزور» . وقد حدث هذا فى غزوة بدر الكبرى ، حين قال أبو جهل لجماعة قريش : «إن محمداً وأصحابه أكلة جزور » .

وهى عبارة تحتاج إلى تفسير لم تذكره المعاجم . وليس أعلى وأوثق من تفسير الرسول الكريم لها حين سأل الغلامين اللذين وجدا على الماء ، قال لهما : كم القوم ؟ قالا : لا ندرى . قال . كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القوم فيما بين التسعمائة والألف » .

وتفسيره أن أكلة الجزور يكونون مائة عداً .

٥ ــ وكثيرا ما نسمع هذا القول فى التعبير عن هوان الرجل الكريم فى بلدة : «ليس لنبى كرامة فى وطنه » .

ونظنه حكمة حديثة ، أو نرجعه إلى عصور الإسلام الأولى على أكثر تقدير . والحق أنه أقدم من ذلك بكثير . عثرت عليه فى إنجيل يوحنا ٤ : ٤٤ . ونصه : «وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أنه ليس لنبى كرامة فى وطنه » .

وفى ظل هذا المعنى يقول المتنبى فيما قال فى صباه :

أنا فى أمة تداركها الله
غريب كصالح فى ثمود

وهو مسبوق فى هذا بقول أبى تمام :

كان الخليفة يوم ذلك صالحا
فيهم وكان المشركون ثمودا

من نوادر التسمية

لأهل المغرب والأندلس بعض تسميات لاتجرى على المألوف . فنجد من أسمائهم : حمود . ومنهم بنوحمود الأندلسيون المنتمون إلى حمود بن ميمون بن أحمد بن على . وكان جدهم أحمد بن على هذا يسمى حموداً أيضاً كما فى جمهرة ابن حزم .

ومن أسمائهم أيضا « عبود » . وحمود وعبود تسميتان عربيتان فصيحتان . ومن ضرب المثل به من العرب « عبود » قالوا فيه : « أنوم من عبود » . وكان عبداً حطابا أسود ، فغبر فى محتطبه أسبوعاً لم ينم ، ثم انصرف فبقى أسبوعا نائما . فضرب المثل به لمن ثقل نومه .

وإذن فليس الأمر غرابة التسمية فحسب . ولكنى وجدت نصا لأبى حيان الأندلسى فى كتابه « النضار » الذى ذكر فيه أول حاله

واشتغاله ، ورحلته وشيوخه ، يقول فيه : « وهم يسمون عبد الله عبودا ، ومحمداحمودا» ذكر هذا النص السيوطى فى البغية ٦١

ونستطيع من نص ابن حزم السابق أن نقول إنهم يسمون محمدا أيضا حمودا ، كما سموا أحمد حمودا . فكأن هذه الصيغة عندهم تسمية تدليل ، كما هو الشائع فى التسمية فى وقتنا هذا .

وأهل المغرب والأندلس يتسمون بزيدون وحمدون وفتحون ورحمون ، وحسون وحفصون وسمحون .

وتعليل هذه التسمية قد يرجع إلى إرادة التفخيم بصيغة كصيغة الجمع . أو هو مطل ، أى فى الإعراب، مع التنوين .وتعرب هذه الأسماء إعراب الممنوع من الصرف . وفى الأشمونى ٣ : ٢٦٣ أن أبا على يمنع صرفها للعلمية والعجمة ، ويرى أن حمدون وشبهه من الأعلام المزيد فى آخرها واو بعد ضمة ، ونون لغير جمعية ، لا يوجد فى استعمال عربى مجبول على العربية ، بل فى استعمال عجمى حقيقة أو حكما ، فألحق بما منع صرفه للتعريف والعجمة المحضة .

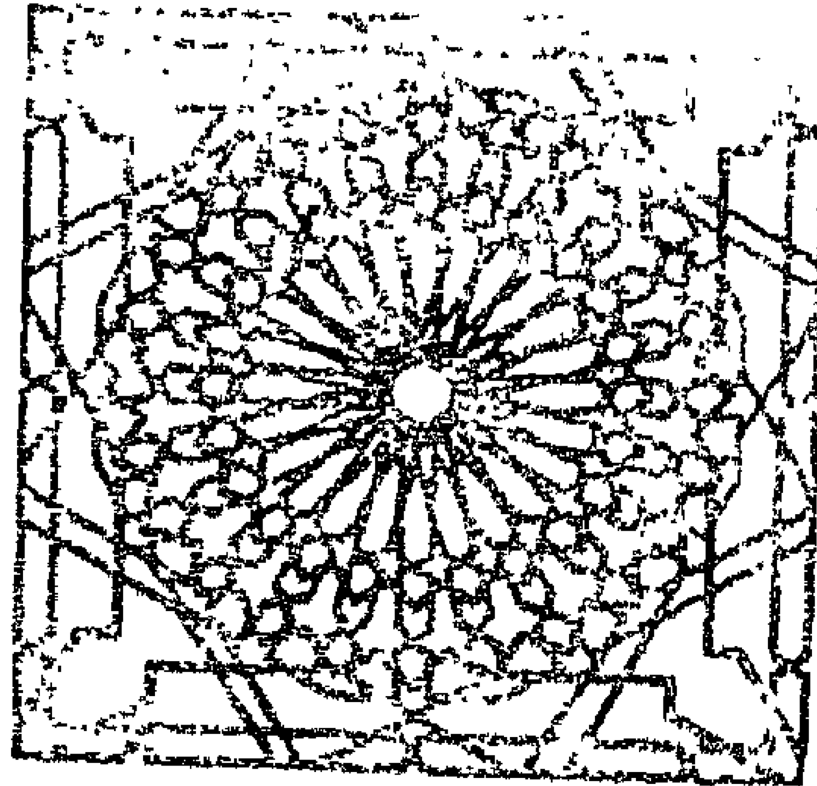
وهذا أيضا من النصوص النحوية النادرة .

وفيما يتعلق بالكنى والألقاب ، قال أبوحيان فى تفسيره ، عند قوله تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » . قال : « وفى الحديث : كنوا أولادكم . قال عطاء فى تعليل ذلك : مخافة الألقاب . وعن عمر : أشيعوا الكنى فإنها سنة » .

ثم يقول أبو حيان : « ولاسيما إذا كانت الكنية غريبة لايكاد يشترك فيها أحد مع من تكنى بها فى عصره ، فإنه يطير بها ذكره فى الآفاق ، وتتهادى أخباره الرفاق » .

ويستدل أبو حيان على أثر الكنية من واقعه الشخصى بقوله : « كما جرى فى كنيتى بأبى حيان ، واسمى محمد ، فلو كانت كنيتى : أبا عبد الله ، أو أبا بكر ، مما يقع فيه الاشتراك لم أشتهر تلك الشهرة . تفسير أبى حيان ٨ : ١١٣ .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع



لغة
تجمع القلوب على الحب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

قمت فيكم أختال فى المهرجان تحت عطفىّ حاليات الأمانى
يتمشى الشباب فى مفرق الطلق ويبدو الربيع فى أفنانى
فكأنى فيكم رددتُ شبابى وأعدتُ الذى مضى من زمانى
وعلى مَنكِبىَّ أثقالُ عمرى أصبحتْ كالهباء فى الميزان . .
كلُّ لُقيا بكم تُجدُّ جديدًا وتُدِبُّ الحياة فى شريانى
يأرجَ الطيِّب منكمُ فى ثيابى ويضوعُ العبير فى أردانى . .
إنكم للعروبة اليوم حصن مستطيلُ الذرا ، رفيعُ المكان
عزَّ من صارَ لائذا بحماكم يا بقايا الفصاح من عدنان !
نَسَبٌ كالضحى تألَّقَ ضوءٍ وكوجه الرَّبيع طيبَ مغانى
أنا بالخالدين أطْولُ عُمرًا لىَ طولُ المدى ، وعرض الجنان
كيف يخشى الفناءُ بين يديكم والذى تصنعونه غيرُ فانى ؟ ؟

* * *

التقينا مِن مُنْذُ عام وعُدنا بعدَ عام إلى لقاءٍ ثانى
دورةٌ من مراحل العمر ولّت بالذى حُمِّلَتْهُ من حدثان
نُثِرَ العِقدُ من يدينا ، فصرنا وقد انقض بيننا نجمان

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى الدورة الخامسة والأربعين بجلسة السبت ٤ من ربيع الآخر ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٧٩ م .

فخسرنا (الخفيف) فى ساحة الفقـ ـه وزادَ الخسار فى (عثمان)
كان (عثمانُ) لى رفيقاً رقيقاً وصديقاً كما أراه يرانى
إنَّ خطباً فَردا يكون جُساماً كيف لو حلَّ بيننا خطبان ؟

ذَهَبت كلُّ ليلةٍ بمعان وأتت كلُّ ليلةٍ بمعانى
ليتَ شعرى ! ماذا وراء الليالى مِن فراقِ الأحباب والأظعان ؟
وهَلْ الضاربان فى مشْرِق الأر ض وفى غَربها سيلتقيان ؟
أذِنَ اللهُ أننا نتلاقى بعد طُول المسير والدوران . . .

* * *

جمَع اللهُ شملنا بعد عام حافل بالأفراح والأشجان
شغلتْنا الجِراحُ فى قلبِ (صنعا ء) ودامى الجراحِ فى (لبنان)
أىُّ خَطب دهى العروبةَ حتى أصبحت لوحةً بلا ألوان ؟
نَصلَ اللونُ فى الورود . . . وغابت رَقْرَقاتُ العبير فى البستان
ذَهَبت كلُّ روعةِ للموازين وأ ضحت شِعرًا بلا أوزان . . .
لا تقولوا : أوهامُ شيخ يؤوس قد أقامَ الدعوى بلا بُرهان !

* * *

ما بلغنا يأساً ولكن نَفَثْنا رُبَّ نَفْث أراح صَدرَ العانى !

* * *

لستُ أخشى على العروبة صَدعاً فهى صَرحٌ موطَّد البنيان
كلُّ خُلف سينتهى لِوفاق كلُّ خوف سينتهى لأمان
لا يَضيرُ النفوسَ – إن هى شفَّت – كلُّ ما ثار بينها من دُخان . . .

أملى في العروبة اليوم قد زاد ويزداد عندهـا إيمانى
كيف نخشى تفريقَ ما جمَّعتْه محكمَاتُ التنزيل فى القرآن ؟
(بنتُ عدنانَ) ألِّفت من قديم بين أهـلِ الهضاب والكثبان
لغة تجمعُ القلوبَ على الحب فتمضى سويّةً فى العنان
رُزِقت دقة الأداء ، فأدّت كلَّ ما فى الضمير والوجدان
دَخَلَتْ كلَّ مسرَبٍ للمعانى سلكت كلَّ مسلكٍ للبيان
فهى سيانِ إن تَمثَّلَ فيهـا آبدُ الوحشِ أو (صريعُ الغوانى)
وإذا شئتَ فهى طَرقُ قُيونٍ وإذا شئت فهى عزف قيان . .
كلُّ معنًى له على القدِّ لفظٌ فهما فى السواء يلتقيانِ
كلُّ حرفٍ يلتفُّ حـول أخيه مثلما التفَّ فى الهوى عاشقان !

* * *

لغةٌ يلتقى بها الهمسُ بالجهـ ـر ولُطفُ الإسرار بالإعلان
ولكلٍّ مواطنٌ . . لم تجاوزْ ما يُريدُ المكانُ من إمكان
حَسبُها أنها تُبينُ . . . وتجلو مـا تريدُ الحيـاةُ من تبيان
تَنقُلُ الفكرَ فى بيان دقيق رُبَّ فكر يضيقُ بالكتمان . . .

* * *

لغةُ الجَمع . . . لا تفرِّقُ إلا بين أعلى شأنٍ وأصغر شان
رَقَّ فيها الشفيف من كل لفظ دَقَّ فيهـا العنيفُ فى الآذان
وسِعَت كلَّ ما حـوى الكونُ حتى لم تضق بالمحـار والمرجـان
تضعُ اللفظَ للوطىءِ من الأر ض وللشـامخ البعيـد الرِّعان

ثم تُضْفِي على المعانى ظلالاً   لم تدُر فى الظنونِ والحسبــان
فهى ، فيها مافى الطبيعة من سحـ   ـرٍ وما فى الصنيع من إحســان . . .

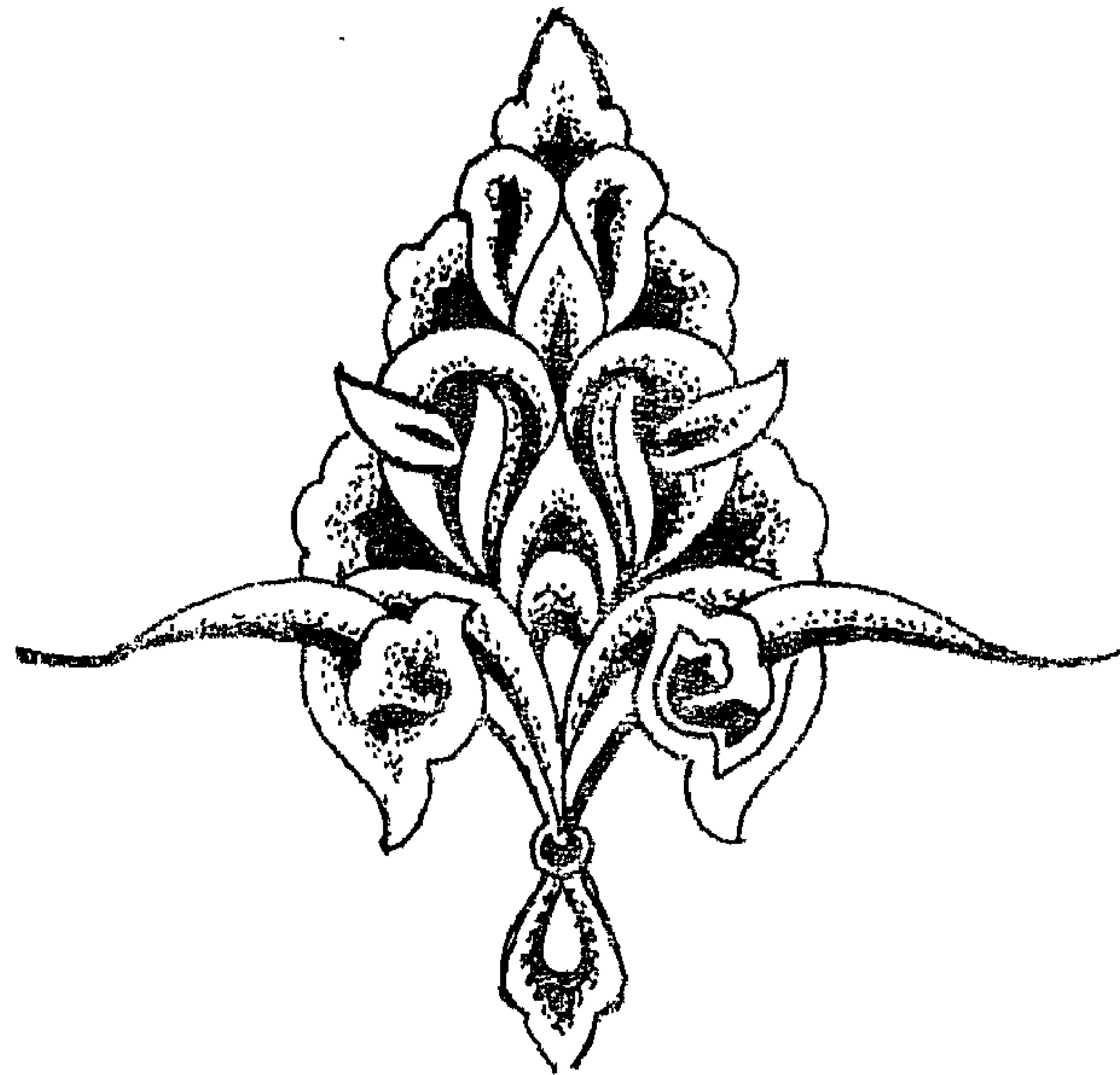
* * *

لغة تسبق النسيم إلى القلـ   ـب وبَـردَ الـزُّلالِ المظمــآن
هــان أنَّا نــرى المنيَّــة فيها   لو أُصبنــا فيها ببعض الهوان ..
ضمن اللهُ حفظَهَــا بكتاب   فهى تحظى منه بأوفى ضمان . .

* * *

إنَّ من فَرَّق العُــروبةَ أرضاً   لم يُفَرقْ منــا سوى الأبدان
نحن إن نجتمع على اللغة الفصـ   ـحى سنَبقَى فى وحــدة وكيــان
نحنُ بالفكر نلتقى . . . والبيان   وهى لقيا تطوى حــدودَ الزمان.

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



من تصريف الضمير في القرآن الكريم

للأستاذ علي النجدي ناصف

لم تعرف الدنيا فيما طوت من دهرها الأطول ، ولا تعرف فيما تشهد من حاضرها الماثل ، ولن تعرف فيما تستشرف من أبدها القابل – كتابا نزل من السماء ، أو خرج من الأرض ، فصنع للبشرية مثل ما صنع القرآن الكريم

لقد جاءها بدستور إلهى ، ينظم حياتها ، ويقيم الأمر فيها على قواعد راسيات من التراحم والتواد ، ومن العدل والحرية ، ومن الإخاء والمساواة ، وهو بعد معجزة البيان الخالدة ، براعة نظم ، وإشراق بيان ، وشرف رسالة ، وبلاغة حكمة ، واستقامة هدى ورشاد .

فلم يكن عجيبا ولا مستغربا أن يؤخذ الناس به ، وينشطوا إقبالا عليه عصرا بعد عصر ، يدرسونه ، ويتدبرون آياته ، فكان من ذلك ، وبتوفيق من الله وعون – أن اشتقت منه علوم ، ووضعت له علوم ، ودارت حوله دراسات وبحوث ، لا ينفرد بذلك أهل لغته والمؤمنون به ، ولكن – يشاركهم فيه جمهرة عظيمة من أولى العلم وأصحاب المزية هنا وهناك وسيظل ينبوع معارف ومصدر وحى وإلهام على تعاقب العصور والأجيال . وبكل لغة ذات حياة .

ومن عادة القرآن ألا يلتزم فى التعبير نهجا واحدا ، ولكنه يفتن فيه ما شاء ، فهو حينا يأخذ على مقتضى الظاهر ، فإذا بيان أبلج ، كأنه فلق الصبح وضوحا وإشراقا ، وحينا يذهب مع المعنى ، ويؤثره على النظم فى نمطه المعتاد ، لناشئة من إشارة لطيفة ، أو لمحة دقيقة ، فيكون من ذلك – فيما يكون تخالف بين الضمير ومرجعه ، إفرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرا وتأنيثا ، إلى ضروب أخرى من التخالف تنطوى على أسرار مكنونة ، وحكم مصونة .

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

ولعمرى ما هذه وتلك إلا معالم يقيمها التنزيل الحكيم مواقف تدبر وإمعان لا يملك القارئ المستبصر إلا أن يقف عليها . وينظر فيها لعله ظافر منها بنفحة من غيبه أو ومضة من نوره ، تطيب بها نفسه ويخشع لها قلبه ، ويزيد بها إيمانه قوة ورسوخا .

ولقد نالت هذه المتشابهات حقها المقسوم من عناية أسلافنا المكرمين . عكفوا عليها لا يألونها درسا وبحثا ، غير أنهم كانوا فى جملة الأمر يعولون فى أمرها على علوم اللغة ، يستفتونها ، ويحتجون بشواهدها ولا يكادون يعداون بها بدلًا ، أو يلتمسون من سواها عونا .

ولعلوم اللغة فى هذا المقام شأن مذكور ، لا مراء ولا خلاف ، لأنها قوانين العربية والعيار عليها .

والعربية هى اللسان الذى اختاره الله – تعالت حكمته – لكتابه الكريم لكن علومها ليست هى المرجع الوحيد فى كل مقام ، فهناك أولًا القرآن نفسه ، ليس كمثله شيء تأويلًا لمتشابهه ، وتفصيلًا لمجمله ، وكشفًا لأسراره ، فى مواطن مختلفات .

وإذن يكون التعويل على علوم اللغة وحدها قصورًا ، لا يؤمن معه التكلف والاعتساف فإذا التأويل بعيد ، والمعنى معه هزيل ، وإذا الذوق والإحساس بمضيعة من القضية ، كأن ليس لهما فيها عمل أصيل ، ولا رأى رشيد ، وإنهما لمناط المتعة والاقتناع ، وعدة التأثر والانفعال .

ثم هناك مع القرآن الكريم فى هذا المقام واقع الحياة ، وسنة الله فى الوجود . وإنى مورد هنا ثلاثة أمثلة من الآيات جرى فيها تصريف الضمير على خلاف مقتضى الظاهر ، ثم أحاول أن أكشف سر هذا الخلاف على ما يبدو لى أنه الرأى والله وحده هو العليم بما يريد .

أول هذه الأمثلة عن المنافقين ، وثانيها عن وأد البنات ، وثالثها عن الأنعام .

والمنافقون الذين نعنيهم هم الذين قال الله فيهم : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينهم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئون)[1] .

إنهم – كما تصفهم الآيتان – قوم آمنوا بألسنتهم ، وكفروا بقلوبهم . ويشبههم الله تعالى بما يزيد حالهم وضوحًا ، فيقول : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُون)[2]

ونلاحظ أن مستوقد النار فى الآية مفرد ، وقد وصف بلفظ « الذى » وهو الاسم الموصول الذى يوصف به المفرد ، وأسند إليه الفعل « استوقد » كما يسند إلى المفرد ، وعاد عليه الضمير المتصل بكلمة « حوله » ، وهو ضمير المفرد أيضًا ، لكن الضمير « هم » فى كل من « نورهم » « وتركهم ، ولا يبصرون » ضمير الجمع المذكر العاقل . فقد اختلفت هنا الضمائر وما تعود عليه . هو مفرد وهى لجمع .

ولقد نظر العلماء فى هذا الخلاف ، ولكنهم لم ينتهوا فيه إلى رأى جميع فقال الفراء ، « ضرب المثل – والله أعلم – للفعل : لا لأعيان الرجال وإنما هو مثل للنفاق . وعلى هذا يكون التأويل : مثل فعلهم كمثل فعل الذى استوقد نارًا . فلما أضاءت ما حول الفعل ذهب الله بنورهم . وهو تأويل غير مقبول ، لأن لفظ الفعل ليس مذكورًا وليس فى الآية ما يشير إليه ، فكيف يعود الضمير عليه ، ثم إن الأشبه بالمنطق أن تضىء النار ما حول المستوقد ، لا ما حول فعله . ويمضى الفراء فيقول ، « وإنما قال الله – عز وجل – ، (ذهب الله بنورهم) لأن المعنى ذهب إلى المنافقين[3] ، يريد أن المعنىّ فى الآية هم المنافقون ، ولهذا كان استعمال ضمير الجمع . ولا أدرى أهذا الذى يقوله الفراء شىء خصت به الآية ، أم هو الجائز فى كل كلام ؟ وإذن تكون الفوضى والتخليط » .

ورأى ثان أن (الذى) مفرد لفظًا ، لكنه فى المعنى نعت لما له أفراد ، والتأويل

(١) سورة البقرة : ١٣ ، ١٤
(٢) سورة البقرة : ١٨
(٣) معانى القرآن : ١٥

على هذا مثلهم كمثل الجمع الذى استوقد نارًا . ولا أدرى هل اشترك الجمع فى إيقاد النار أو عهدوا به إلى أحدهم ، فناب عنهم فى التعبير كما ناب عنهم فى الإيقاد . ورأى ثالث يشبه هذا فى دلالته ، وإن خالفه فى صياغته [1] .

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآية ، ونعيد النظر فيها ، لعلنا نهتدى إلى رأى نرتضيه ، فماذا هناك ؟ هناك ضمير حوله يطابق مرجعه وضمير كل من نورهم — وتركهم ولا يبصرون لا يطابقه ، وليس لها مرجع مذكور فهل ، علينا إذا ادعينا أن مستوقد النار ليس وحيدًا ، ولكن له أصحابًا يشاركونه فى الصورة ، رمزت إليهم الآية بضمائرهم وغنيت بذكرها عن ذكرهم ، فالضمير يشير إلى صاحبه ، ويكنى عنه .

فأين نجد هؤلاء الأصحاب ؟ نجدهم فى القرآن نفسه ، إذا التمسناهم حيثما تذكر نار الدنيا نعمة للناس ومتاعًا ، كما ذكرت هنا فى هذه الآية ، هم إذن فى قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُون أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ المنشئون ، نَحْنُ جَعَلْنَاها تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلمُقْوِينَ) [2] أى النازلين فى القواء ، أى القفر .

والقرآن كل متآلف ، وصرح متماسك ، فإذا نحن وصلنا هذه الآيات بآية البقرة ، وقرنا مستوقد النار هنا إلى أصحاب النار هناك جاز لنا أن نقول : إن مثل المنافقين عند الله كمثل جماعة من سراة الليل ، وجدوا فى أنفسهم حاجة إلى التعريس ، لعلهم يصيبون شيئًا من راحة ومتاع وها هم أولاء قد عن لهم منزل صالح — لما يبتغون ، فأتوه ، وألقوا رحالهم وتقدم أحدهم فأوقد نارًا وفاء لمطلب يراد ، فاشتعلت النار ، وأضاء نورها ، ثم لم تلبث أن طفئت ، فإذا هم جميعًا مظلمون .

فأما سرى الليل فيحكى هنا رحلة الحياة الضالة التى يحياها هؤلاء المنافقون ، وأما الإحساس بالحاجة إلى التعريس — فيحكى إحساسهم بالحاجة إلى ثقة المؤمنين بهم واطمئنانهم ليتقوا سخطهم وما قد تجلبه عليهم المناقضة والخلاف ، وما لهم فى ذلك حيلة إلا أن يتملقوهم ويقولوا لهم بألسنتهم مثل ما يقولون .

---

(١) البحر المحيط : ١ : ٧٤ — ٧٦ ، وروح المعانى : ١ : ١٥١ ، ١٥٢

(٢) سورة الواقعة : ٧١ — ٧٣

وأما النار التى استوقدها صاحبهم فهى الكلمات المؤمنة يقولها كل قائل منهم لمن يلقاه من المؤمنين ، فتخرج من بين شفتيه ولها وميض وإشراق ، وإن كانت لتخفى تحتها ظلاما حالكا ، كالنار الموقدة ، تضىء ما حولها ، وإن من تحتها لرمادا هامدًا . وإذا ما انقلب إلى شياطينه ، وخلا إليهم لبس لبوسهم ، وكان واحدا منهم فى سره وجهره ، فإذا هم جميعا من الضالين المكذبين .

أما وأد البنات ، فإثم كبير ، لم يكن يتعاطاه إلا قلة من عرب الجاهلية ، أما الكثرة الغالبة فكانت تكرم الأنثى ، ولا تبخسها حقها ، على قدر ما تأذن به حياة البادية ، وتقاليدها الموروثة . فهذا مرة بن محكان ينزل به أضياف له ، فيدعو زوجه فى رقة بالغة وعذوبة فائقة أن تنهض إلى رحالهم ، فتضمها إليها إذ يقول :

ياربة البيت قومى غير صاغرة ضمن
إليك رحال القوم والقُرُبا[1] .

وهذا معن بن أوس ينكر على من يبغض بناته بغضهن ، ويشيد بما آتاهن الله تعالى من حنو ووفاء ، فيقول :

رأيت رجالا يكـــرهون بناتهـــم
وفيهن لا تُكذبْ نساءٌ صوالـــح
وفيهن — والأيام يعثرن بالفتى
نوادب لا يمللنه ونوائـــــح[2]

وهذا أب كان يطمع أن يرزق مولودا ذكرا ، فجاءته زوجه بأنثى ، فغضب وهجر بيته ، ونزل على جار له ، فقالت زوجه تعاتبه فى وداعة ورفق ، وتحاول أن ترد عليه ماعزب من صوابه فتقول :

ما لأبى حمـــزة لا يأتينــــا
يظل فى البيت الـذى يلينـــا
غضبـــان ألاّ نلـــد البنينـــا
ليس لنا من أمـــرنا ما شيا
وإنمـــا نأخـــذ مـــا أعطينـــا

ويسمع الأب الغاضب الرجز ، فيهرع إلى بيته آسفا ، فإذا الأم تناغى صغيرتها فى حنان وحب أصيل ، فيثب

---

(١) ديوان الحماسة : ٢ : ٢٤٢
(٢) الامالى : ٢ : ١٩٠
(٣) الكشاف ٢ ؟ : ٣٤٨

إليها، ويلتقط الطفلة من بين يديها يضمها إلى صدره مشوقا نادما، ومن سادة العرب من كان يفتدى الموءودة من حرّما له، رحمة بها وإبقاء عليها.

وهناك الشعراء العرلون، كانوا يلهجون بالأنثى، ويتزلفون إليها رغبة وشوقا أو حنينا وإكبارا.

أما أصحاب الوأد فجماعة من قساة القلوب، أضلهم الله وأعمى أبصارهم فبدت لهم الأنثى كلا ثقيلا، وخلقا عاجزا، لا تكسب رزقا، ولا تحمل رمحا، وقد تساق سبية فى غارة من متغلب ذى بأس شديد، فتجلب عليهم الخزى والعار فهانت عليهم، وأنكروا عليها حق الحياة، ورأو أن بطن الأرض خير لها من ظهرها.

وقد نهى الله عن الوأد وأكبر إثمه، وتوعد عليه، ووعد مقترفيه أن يرزق أولادهم ويرزقهم معهم قال: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا) (١).

ويصف الله تعالى حال الأب من هؤلاء حين تجيئه البشرى بمولد أنثى، فيقول: (وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُونٍ أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (٢)!

ويلاحظ أن البشرى كانت بأنثى، وأن الضمير فى كل من «يمسكه» و«يدسه» لذكر وإذن لم يطابق الضميران مرجعهما ونحن إذ ننظر فى الاية لعلنا نهتدى إلى توجيه نرتضيه لهذا التخالف لا نجد فيها مما قبل الضميرين مايصلح أن يكون مرجعا لهما إلا لفظ «ما» فى قوله تعالى: (مابشر به)، فهو اسم موصول مشترك، يستعمل للمؤنث كما يستعمل للمذكر فهو إذن واقع فى معناه موقع الأنثى، وهو فى لفظه مذكر، فيصلح أن يكون مرجعا للضميرين.

(١) سورة الاسراء: ٣١

(٢) سورة النحل: ٥٨، ٥٩

توجيه – لعمرى سليم فى شرعة النحو، لكنه مشوب فى شرعة الذوق والطبع، لأن «ما» الموصولة موضوعة أصلا لما لا يعقل ولا تستعمل للعاقل إلا قليلا، وبعَوْنٍ من التأويل، ثم إن إحلالها محل الأنثى هنا يجعل تأويل الآية: يتوارى من القوم من سوء الأنثى وهو لا يتوارى من سوئها نفسها بل من سوء البشرى بها كما يصرح به ظاهر الآية، وكما فى قوله تعالى فى الآية الأخرى: (وإذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهُه مسوّدا وهو كظيم).

فلندع إذن هذا التوجيه جانبا، ولنلتمس سر التخالف الذى ذكرنا عند الأب وما يجيش فى نفسه من مشاعر ويدور فى خلده من خواطر، حين جاءته البشرى، سنراه – كما تصفه الآية ظاهرا وباطنا – أبا قاسيا حقودا، لا تعطفه على أنثاه عاطفة من أبوة، ولا تأخذه بها نسمة من رحمة، يبغضها أشد البغض، حتى ليستحل أن يسلبها حق الحياة بغيا وعدوا.

وهو أولى أن يسلبها حقها فى اللغة أيضا، فلا يذكرها بضميرها الذى وضع لها، حين يسائل نفسه عما يصنع بها، نفورا منها، وضنا به عليها كما يفعل المغيظ المحنق إذا أسفل عمق وليس أقرب منه، ولا أسرع إليه من ضمير المذكر فالذكر – لا الأنثى – هو الذى يتراءى فى خياله وهو الذى يغلبه على وعيه وانتباهه إنه حلم اليقظة، ومنية النفس، وقرة العين، فالتخالف بين الضميرين ومرجعهما ينطوى إذن على لطيفة بارعة من لطائف الإعجاز الذى اختص الله به القرآن الكريم. إذ يصور حقد الأب رمزا وإيماء بعد ما صوره تصريحا وتقريرا وهى الإيماءة الدقيقة إلى خواطر السوء ومشاعر الحقد التى تضطرب فى نفس الأب الكنود.

وأما الأنعام فقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم ثمانية وعشرين مرة،

عوملت فيها على ما يقتضيه ظاهر اللغة فى ضميرها والإشارة إليها ، وفى الإسناد أيضا ، فقال سبحانه : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ، ومنافع ، ومنها تأكلون) [1] وقال : (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) [2] .

وذكرت مرتين لمقصد واحد ، لكن عاد عليها فى إحداها ضمير المؤنث ، وعاد عليها فى الأخرى ضمير المذكر أما الأولى ففى قوله تعالى : (وإنّ لكم فى الأنعام لعبرةً نُسقيكم مما فى بطونها ، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون [3] .

وأما الأخرى فقوله سبحانه : (وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) [4] .

فالآيتان تذكران أن فى خلق الأنعام عبرة ، وفى لبنها نعمة ، وتوشك العبارة فيهما أن تكون واحدة وكل ما بينهما من فرق أن الأولى تذكر أن لنا منها سقيا ، ثم إنها تعيد ضميرها المطابق لها كما تصنع سائر الآيات . أما الأخرى فتسمى الشراب الذى يخرج منها وتصفه ، وتحدد مسيله ، ثم تعيد عليها ضمير المفرد المذكر ، دون سائر الآيات

وقد نظر علماؤنا السابقون فى هذا التخالف بين الضمير ومرجعه ، فتفرقت بهم السبل فيه ، فقال سيبويه فى باب ما لا ينصرف : « وأما أفعال فقد يقع للواحد ، ومن العرب من يقول : هو الأنعام . وقال الله عز وجل : (نسقيكم مما فى بطونه) [5] وقال فى باب ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل : وليس فى الكلام . . . أفعال إلا أن تكسر عليه اسما للجمع [6] وفحوى هذين النصين أن سيبويه يرى أن صيغة أفعال جمع لكنه مصروف ، وأن الإفراد لغة فيه . وإذن يكون تذكير ضمير الأنعام عنده آخذ على هذه اللغة فلا تخالف إذن فى الآية بين الضمير ومرجعه .

---

(١) سورة النحل : ٥

(٢) سورة الأنعام : ١٣٨

(٣) سورة المؤمنون : ٢١

(٤) سورة النحل ٦٦

(٥) الكتاب : ٢ : ١٧ ، ٣ : ٢٣٠

(٦) المصدر السابق ٢ : ٣١٦ ، ٣ : ٢٤٧

وقال الفراءُ :وأما قوله : (مما فى بطونه) ولم يقل فى بطونها – فإنه قيل والله أعلم إن النعم والأنعام شىءٌ واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى النعم إذ كان يؤدى عن الأنعام ، ثم قال : وقال الكسائى : (نسقيكم مما فى بطونه) بطون ما ذكرنا ،وهو صواب [1] .

وقال الزمخشرى : يجوز أن يقال فى الأنعام وجهان : أحدهما أن يكون تكسير نعم . . . ، وأن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع ، فإذا ذكر فكما ذكر نعم فى قوله :

أكل عام نعم تحوونه

يلقحه قوم وتنتجونه

وإذا أنث ففيه وجهان أنه تكسير نعم ، وأنه فى معنى الجمع [2] :

وأكتفى بهذا القدر من آراء علمائنا الأولين ، وهى آراءٌ لها فى المباحث اللغوية وزن كبير لكنهما – والأمر لله – لا تجيب عن سؤال لا يزال يحوك فى الصدر ، وهو : لماذا جاء ضمير الأنعام مفردا مذكرا فى آية النحل دون سائر الآيات التى لها ذكر فيها ، حتى آية المؤمنون عى ما بينهما من تشابه كبير فى المعنى والعبارة .

لم يبق إذن إلا أن نرجع إلى الآيات لعلنا واجدون عندها الجواب ، ونحن إذ نفعل نجد آية المؤمنون لم تذكر من الأشربة التى تخرج من حيوان أو حشرة إلا لبن الأنعام – هو إذن فى موطنه وحيد لا يقابله من نوعه مقابل أما آية النحل فتذكر عسل النحل مع لبن الأنعام ، حيث يقول الله سبحانه : (وأوحى ربُّك إلى النحلِ أن اتخذى من الجبالِ بيوتا ومن الشجر ومما يَعرشون ثم كلى من كلِّ الثمراتِ فاسلُكى سبلَ ربِّك ذُلُلا ، يَخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه ، فيه شفاءٌ للناسِ ، إن فى ذلك لآيةً لقومٍ يتفكرون) [3] .

---

(١) معانى القرآن : ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) الكشاف : ١ : ٥٢٨

(٣) سورة النحل : ٦٩

فالأنعام ولبنها يقابلان هنا النحل وعسلها ، لكن الأنعام تخرج لبنا ، لا يختلف لونا ولا طعما ولا رائحة ، أو يكاد . وهى إذن جمع عددا ومفرد أو فى حكم المفرد لبنا ، ولا كذلك النحل ، فهى تخرج شرابا مختلفا ألوانه ، فأبيض ، وأصفر وأحمر ، وأدكن . وهو مع ذلك – مختلف رائحة وطعما بحسب ما ارتشفه النحل من رحيق الثمرات وهى إذن جمع عددا وعسلا وإذن يناسب الأنعام هنا ضمير المفرد المذكر ، ويناسب النحل ضمير الجمع لغير العاقل وفى ضمير كل إشارة دقيقة إلى خصائص ما يخرج منه من شراب .

ويصطنع القرآن الكريم هذا النوع من الرمز بالضمير فى مواطن أخرى ، منها ، قوله تعالى : (يَحلفون باللهِ لكم ليرضوكم ، والله ورسولُه أحقُّ أن يُرضوه إن كانوا مؤمنين)[1] فضمير (يرضوه) مفرد ، والله ورسوله اثنان فى العدد لكنهما واحد فى حق الاختصاص بالإرضاء لذلك جاء التعبير هنا رمزا بالضمير ، وترك التعبير عنها تصريحا لقوله تعالى فى موطن آخر : مَن يُطع الرسول فقد أطاع اللهَ)[2] ومن مواطن هذا الرمز أيضا قوله سبحانه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما[3]) فهاتان الطائفتان تظلان على حالهما طائفتين ما أمسكتا عن القتال ، أما إذا اقتتلتا فقد انفرط العقد وانتشر الجمع ، وإذاهما فرد لفرد لا طائفة ، لطائفة وصح حينئذ أن يرمز لهذا التفرق بضمير (اقتتلوا) حتى إذا ثابتا إلى الرشد وجنحتا للسلم ، فقد رجعتا إلى التماسك والتضام ، لأن الصلح لا يكون بين آحادهما ولكن بين جمعيهما بالإنابة والتوكيل .

أقول قولى هذا وأضرع إلى ربنا جل وعلا أن يتقبل ما عسى أن يكون فيه من صواب ، وأن يعفو عما عسى أن يكون فيه من خطل ، ما كان إلا من أخذ بسبب من أسباب حكمة إنزال القرآن الكريم كما فى قوله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدَّبَّروا آياتِه ، وليتذكرَ أُولو الألباب)[4] .

على النجدى ناصف
عضو المجمع

---

(١) سورة التوبة : ٦٢ (٢) سورة النساء : ٨٠ (٣) سورة الحجرات : ٥ (٤) سورة ص : ٥٨

اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء

للدكتور محمود حافظ

منذ أكثر من ألف عام تألقت في سماء الأمة العربية نهضة علمية إسلامية بلغت أوجها في عصر الخليفة المأمون (٧٨٦–٨٣٣م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم، ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التي امتدت بعد ذلك بضعة قرون عدد من العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم مما جعل بعض المنصفين من المؤرخين يعترفون بأنه لولا أعمال هؤلاء العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية طويلا .

كان ذلك العصر عصراً ذهبياً بالنسبه للغة العربية لغةً للعلم زخرت بآلاف المقابلات والمصطلحات والمأثورات في مختلف فروع العلم التي تناولها العلماء العرب بالدراسة، وبرزوا فيها، وعلموا غيرهم، وأخذ عنهم علماء عصر النهضة الأوربية ما شاء لهم أن يأخذوا من هذا المعين الزاخر بالمعارف العلمية والإنسانية ولو أنهم كثيرا ماتناسوا فضلهم ؟

وكانت علوم الأحياء من بين هذه العلوم التي أولاها هؤلاء العلماء اهتمامهم دراسة وبحثاً وتأليفاً باللغة العربية مما كان له أبعد الأثر على الأجيال المتعاقبة التي جاءت من بعدهم عبر عدة قرون، ولازلنا نحن المشتغلين بعلوم الأحياء حتى اليوم نترع من نبعهم الفياض وأسفارهم الجزلة المعطاءة كئوس العلم واللغة والمعرفة، تبهرنا فيها تلك الثروة اللغوية الهائلة في علوم النبات والزراعة والحيوان والحشرات .

في كتاب الشفاء لابن سينا (ولد في ٣٧١ ه / ٩٨٠ م) الذى يقع في أكثر من عشرين مجلدا، وكتب في فترة تعتبر من أزهى عصور الحضارة العلمية الإسلامية وترجم إلى اللاتينية واللغات الأوربية . تناول الشيخ الرئيس في بعض فصوله دراسة النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والفطرية والطحلبية . وذكر الأجناس المختلفة من النبات والأنواع المختلفة من الجنس الواحد، وكذلك

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ ه الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٧٩ م) .

الآراء والنظريات حول تولد النبات والأنوثة والذكورة فيه، كما تكلم عن الثمار فى النباتات المختلفة وعن التطعيم وعن ظاهرة المسانهة فى الأشجار والنخيل، وذلك بأن تحمل الشجرة سنة حملا ثقيلا وسنة حملا خفيفا أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

وفى الجزء الخاص بالحيوان وصف رائع لمختلف أنواع الحيوان والطير، وعن الحيوانات المائية يقول ابن سينا: إن منها ذات ملاصق تلزمها كأنواع من الأصداف، ومنها متبرئة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع واللاصقة منها التى لاتبرح كالإسفنج، كما تكلم عن العظام والغضاريف والشرايين والأوردة والأغشية والأعصاب، وتناول بإسهاب التشريح المقارن والأجهزة الداخلية فى الحيوانات المختلفة ومنها الطيور والأسماك .

وفى كتاب الحيوان للجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر ٧٧٥ – ٨٦٨ م) وهو سفر ضخم فى سبعة أجزاء دراسة موسوعية قل أن يكون لها ضريب فى ذلك الزمان، اتسمت بالسعة والشمول والدراسة الجادة الدقيقة، وقد طوع الشيخ اللغة المنثورة لمقتضيات الوصف العلمى على أروع صورة، وعنى باختيار اللفظ ليعبر عن سلوك الحيوان أدق تعبير كما ظهرت فى كتابته القدرة على التمييز والبراعة فى الوصف، فنراه فى مقدمة الكتاب يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم : فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان .

ثم يستطرد ويقول: من الحيوان الأعجم مايرغو وينغو وينهق ويصهل ويشمخ ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويوصوص ويوقوق وينعب ويزأر ويبح ويكش .

والكتاب فى فصوله المختلفة ملىء بمباحث عدة عن تقسيم الحيوان ومميزات كل قسم وعن تكوين البيضة من الفروج وعن بيض الطيور وعن بناء العش ورعاية الأبوين للصغار وعن الطيور وأنواعها كما تناول بالدراسة الكثير من الحشرات كالذباب والنحل والزنابير والفراش والخنافس والجراد، كما تحدث عن سمك القرش والقرد والخفاش والأفاعى وحيوانات أخرى كثيرة ووصف حياتها وطبائعها. وكان يسجل مشاهداته على سلوك الحيوانات من واقع التجارب التى يجريها عليها حيث كان يضعها تحت ناقوس زجاجى ويرقب حركتها وسلوكها كما كان يقوم بتشريح الحيوان ليستجلى أجهزته الداخلية، وكان الجاحظ بذلك العلم الموسوعى والتجريبى رائداً له مكانته فى هذا المجال .

ومن أروع ما كتب فى علم النبات باللغة العربية منذ أكثر من ألف سنة كتاب النبات للدينورى (أحمد بن داود أبى حنيفة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ، ٨٩٥ م) والملقب بشيخ النباتيين العرب الذى أخذ عنه علماء النبات الذين جاءوا من بعده، وكان مرجعاً لكثير من دراساتهم وبحوثهم فقد وصف مئات النباتات

وصفاً دقيقاً مشيراً إلى استعمالاته ومواطن نموه وحماته ، وكما يقول الدكتور منتصر : لعل كتاب النبات للدينوري ويعنينا منه الجزء الخامس لم يصنف مثله فى اللغة العربية حتى عصره وفيه أسماء النباتات مصنفة على حروف المعجم وقد اعتمد فى روايته على المصادر العربية الأصيلة. وكتاب آخر فى علم النبات يثير الإعجاب حقا هو «الجامع لصفات أشتات النبات للإدريسى» (محمد بن محمد عبد الله الأندلسى الحسينى الشهير بالإدريسى) الذى ولد عام ١٠٩٩م فى أواخر القرن الخامس الهجرى وعاش ثمانين عاماً . ويقع الكتاب فى جزءين ضمن الجزء الأول ٣٦٠ ثلاثمائة وستين نباتاً ، كما اشتمل الجزء الثانى على ما يقرب من ٣٠٠ ثلاثمائة نبات تنتهى بانتهاء حروف المعجم ، وقد وصفها وصفا رائعاً ووصف منافعها وخواصها وحقق أسماءها بلغات مختلفة وأورد هذه الأسماء باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينية وذكر أنه أضاف إلى قائمته النباتية أنواعاً أغفلها من سبقوه مثل التمرهندى والقرنفل والمحلب وغيرها .

وفى كتاب المخصص لابن سيده (أبى الحسن على بن إسماعيل النحوى المتوفى عام ٤٥٨ هـ وعمره ستون سنة) ذلك الكتاب الموسوعى الذى يقع فى سبعة عشر جزءا والذى كتبه إبان القرن الخامس الهجرى بلغة عربية أصيلة يعنينا ما جاء به فى بعض أجزائه خاصا بالحيوان والنبات ، ففى الجزء السادس تكلم عن الخيل وصفاتها وفى الجزءين السابع والثامن تناول بالوصف والدراسة الإبل والغنم والماعز والطيور والنحل والنمل والعناكب والسباع وغيرها من أنواع الحيوان وأشار ، إلى حياتها وعاداتها وألوانها وأمراضها ثم تكلم فى الجزء العاشر والجزء الثانى عشر عن الكلأ والشجر والعشب والحنظل والبصل ونبات القطن وبعض العقاقير وغيرها . وقد عنى بالأوصاف الدقيقة للأعضاء فى الكائنات من حيوانية أو نباتية ، والكتاب ذو قيمة علمية ولغوية للدارسين لعلم الشكل أو الهيئة فى مجال علوم الأحياء .

وإبان القرن السادس الهجرى كتب البغدادى (موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف ٥٥٧ هـ - ٦٢٩هـ) كتابه المعروف « الإفادة والاعتبار » فى الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة فى أرض مصر وقد وصف فيه الكثير من حيوانات مصر ونباتاتها ، وكان وصفه دقيقا فى بعض الأحيان مع قدرة فائقة على المقارنة والاستنتاج .

وفى القرن السابع الهجرى ألف ابن البيطار (أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسى الملقى ٥٧٥ هـ - ٦٤١ هـ) إمام النباتيين والعشابين كتابه الأشهر من بين مؤلفاته الكثيرة « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ثمرة من ثمرات دراساته الواعية العلمية والعملية فى أربعة أجزاء ، وقد جمع فيه من مؤلفات العرب والأغارقة ومن تجاربه الخاصة كل ما يتعلق

بالنباتات الطبية وبعض الحيوانات التى تتخذ منها عقاقير لعلاج الأمراض، وكانت طريقته فى الدراسة والإعداد لهذا العمل الكبير أن يذكر اسم النبات أو الحيوان باللغات المختلفة ثم يصف أجزاءه وصفاً علمياً دقيقاً مستعيناً بما سبق أن قاله علماء الإغريق (أمثال جالينوس أو ديموقراطيس أو ديسقوريدوس) أو العلماء العرب (أمثال ابن سينا أو ابن رضوان) عن منافعه وطريقة تحضير الدواء ثم طريقة الاستعمال، وقد ذكر كل ذلك مرتباً ترتيباً هجائياً، وبهذه الطريقة سرد البيطار المئات من النباتات والكثير من الحيوانات، واعتمد فى حالات عدة على المشاهدة والتجربة، كما أنه كان صادقاً ودقيقاً فى النقل عن غيره من ذوى العلم والخبرة.

وفى هذا المجال أيضاً ألف القرطبى (أبو عمران موسى بن عبدالله) كتابه «شرح أسماء العقّار» وقد كتب المخطوط بخط ابن البيطار وبلغ عدد العقاقير التى شرحها القرطبى نحو ٤٠٠ أربعمائة عقار وجُلّها من النباتات وبعضها من الحيوانات التى تتخذ منها العقاقير وقد رتب الأسماء على حروف المعجم بادئاً بالأترج (التفاح المائى) والأقحوان ومنتهيا باليتوع (كل نبات له لبن يسيل إذا قطع) Euphorbia والياسمين.

وفى كتاب داود بن عمر الأنطاكى (توفى عام ١٦٠٠م) المعروف باسم «تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب» والذى اختص أساساً بدراسة الطب العلاجى وتحضير الأدوية والوصفات فى إسهاب استغرق سبعمائة صفحة، يعنينا منه فى المقام الأول الباب الثالث الذى تضمن المفردات والأقرباذينيات مرتبة على حروف المعجم إذ أورد عدة مئات من أسماء النبات وعشرات من أسماء الحيوان مع وصف شامل دقيق لها والعقاقير المتخذة منها وقد ذكر هذه الأسماء باللغات المختلفة.

ويزخر كتاب القزوينى (أبو عبدالله بن زكريا ابن محمد بن محمود ٦٠٥–٦٨٢هـ) «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» الذى كتبه إبان حياته التى امتدت سبعة وسبعين عاماً فى القرن السابع الهجرى بالكثير من المعارف عن الحيوان والنبات ووصف أنواعاً منها تعد بالمئات وخاصة ما تتخذ منها عقاقير تستعمل فى الطب، وشملت دراساته الطيور والحشرات والأسماك والحيوانات المائية الأخرى كما تحدث عن سلوك الحيوان وحياته وطبائعه وكيف يجمع غذاءه ويدخر قوته ويصنع بيوته وقد طبع هذا الكتاب على هامش كتاب الحيوان للدميرى وأعيد طبعه عدة مرات وترجم إلى عدة لغات.

وحياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميرى (٧٤٢هـ–٨٠٨هـ) كتاب فى جزءين كتبه فى القرن الثامن الهجرى زاخر بالمعلومات عن الحيوان، يقول الدميرى إنه جمعها من ستين

وخمسمائة كتاب وتسعة وتسعين ديواناً من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى، فى كبراه زيادةالتاريخ وتعبير الرؤيا ورتبه على حروف المعجم متبعاً الطريقة التى جرى عليها أسلافه من العلماء العرب .

فبدأ بالكلام عن الأسد ذاكراً أسماءه التى جرت على ألسنة العرب وشكله وعاداته وطبائعه مستشهدا بأبيات من الشعر ونوادر وطرائف تتعلق بهذا الحيوان، ثم يذكر أمثلة أخرى كالأربد (ضرب من الحيات) والأرضة، والأرقم (حية فيها بياض وسواد كأنه رقم أى نقش) ثم يمضى إلى الحروف التالية معالجاً المئات من أنواع الحيوان، وقد بلغ عدد الحيوانات التى تناولها بالدراسة والاستشهاد نحو ٨٦٠ ثمانمائة وستين نوعاً ضم الجزء الأول من كتابه منها نحو ٣٨٠ ثلاثمائة وثمانين نوعاً وضم الجزء الثانى الأنواع الباقية .

وبالإضافة إلى ما حوى الكتاب من وصف للحيوان وحياته وسلوكه وموطنه، فقد وصف الكتاب بأنه جمع ما بين أحكام شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة وبه تراجم نخبة من الشعراء والعلماء والفلاسفة وقد طبعت عدة مختصرات لهذا الكتاب وترجم أكثره إلى اللغة الإنجليزية، وطبع فى لندن وبمباى فى عامى ١٩٠٦، ١٩٠٨ كما عنى بنشره المحققون وطبع كاملا منقحاً عدة مرات فى العصر الحديث.

هذه لمحة سريعة لمنجزات رائدة خالدة فى علوم الأحياء جاءت بلسان عربى مبين، وقام بها أسلافنا من الناطقين بالضاد وجادت بها قرائحهم الوقادة وعقولهم النيّرة وظلت مشعلا وضاء وبحراً زاخراً بالمعرفة عبر عدة قرون إبان العصور العلمية الإسلامية الزاهرة وما بعدها لغيرهم إبان عصر النهضة الأوربية .

ودار الزمن دورته وخيم على الأمة العربية طوال القرون الثلاثة التى سبقت القرن التاسع عشر تخلف رهيب نتيجة لاستعمار متحكم جثم على صدورها وقطع أوصالها وانعكست آثاره على اللغة والعلوم والمعارف الإنسانية كلها وفى القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها، وبدأت فى مصر وكذلك فى شقيقاتها العربيات حركة فى هذا السبيل على يد عدد من المصلحين والمجددين ومع بداية القرن العشرين نشطت حركة التعريب وجمع المصطلحات العلمية وتحقيقها وإصدار بعض المعاجم المتخصصة.

ووجدنا فى مجال علوم الأحياء عدداً من الرواد قاموا بجهود ضخمة يطيب لى أن أذكر منها «معجم أسماء النبات» للدكتور أحمد عيسى الذى صدر فى شهر يناير من عام ١٩٢٦، ولاشك أنه أنفق فيه سنين عدداً فى إعداده قبل ذلك ويقول إن مما عنى به عناية خاصة وبذل الجهد فى جمعه وتحقيقه أسماء النبات ومرادفاتها فى جميع العصور ومن مختلف البلدان العربية اللغة كمصر والسودان .

وبلاد العرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين وبلاد المغرب ..وذكر الدكتور عيسى فى مقدمة معجمه أن لغويى العرب قد عنوا بالنبات وأسمائه ولهم فى ذلك التصانيف الممتعة التى زادوا عليها ما اقتبسوه من نبات الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان فامتلأت أسفارهم بالعربى الفصيح والمعرب والمولّد وقد جمع ذلك كله فى معجمه وقد أراد بذلك أن يكون المعجم شاملا كل ما عرف من أسماء النبات فى المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة ، وأن يكون المعجم مرجعاً لتحقيق الكلمات التى أتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل مقتصراً على معرفة أسماء النبات — ولاشك أن معجم أسماء النبات لأحمد عيسى إنجاز علمى ولغوى ضخم لاغنى عنه للمشتغلين بعلم النبات أو العاملين فى مجال التعريب ونقل هذا العلم إلى اللغة العربية .

وفى العام نفسه أى عام ١٩٢٦ صدر قامـــوس الدكتور محمد شرف فى العلوم الطبية والطبيعية ومن بينها علوم الحيوان والنبات وقد شمل المصطلحات باللغة الإنجليزية ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية ، وقد عنى هو كذلك أشد العناية بالرجوع إلى ما كتبه الأسلاف من العرب فى هذا الشأن وما كتبه المستشرقون ثم يقول إنه لم يثبت اصطلاحا أومفرداً بالعربية قبل أن يتثبت من صحته وموافقته . فإن لم يعثر له على نظير بالعربية جعل له اسما مناسباً على نسق أسلوب العرب فى الأندلس أوعرب اسمه حسب الأصول اللغوية المتبعة ،ويقع هذا القاموس فى ما يقرب من ألف صفحة ويضم أكثر من أربعين ألف مصطلح بينها عدد لايستهان به من علوم الأحياء،وهو عمل علمى ولغوى من الطراز الأول يعتبر قمة فى الأداء والاستقصاء .

ويجدر بى فى هذا المقام أيضا أن أشير إلى عملين جليلين آخرين أسهمت اللغة العربية بهما كذلك فى خدمة علوم الأحياء وهما معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى ، والأول صدر عام ١٩٣٢ ولو أنه يقول إنه بدأ فى جمع مادته ونشرها منذ عام ١٩٠٨ فى مجلة المقتطف وقد تناول وصف ما يقرب من ١٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات وصفاً علمياً أوجز فيه أو أسهب حسب مقتضى الحال مشيراً إلى اسم الحيوان فى البلاد الغربية المختلفة وفى بلاد الهند وفارس وأوضح الأسانيد التى أخذ عنها وقد توخى الأمانة فى النقل كما يقول وإيراد أفصح الألفاظ أولا ثم الفصيح ثم ماعربته العرب ثم المولد ثم ماعربه المولدون واسم الحيوان موضحاً باللغتين الإنجليزية واللاتينية .

أما « معجم الألفاظ الزراعية » للأمير مصطفى الشهابى فقد صدر عام ١٩٤٣ ، ولكنه ظل يجمع ويحقق مادته طوال عشرين سنة قبل ذلك التاريخ ويشتمل المعجم على تسعة آلاف لفظ فرنسى أو علمى وضع أمامها

ما يقابلها بالعربية، ويقول إن من الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هى من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية، وهذا المعجم غنى بألفاظ العلوم الزراعية على اختلافها كزراعة الحبوب وأبحاث التربة وزراعة البساتين وتربية الخيل والأنعام والنحل والطيور، وماله صلة بالزراعة كالحشرات والحيوانات كمايتناول أهم الفصائل النباتية وأسماء التصنيف فى علم الحيوان والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات الزراعية مع ذكر فصائلها بالعربية وقد عمد فى إيجاد أصلح الألفاظ العربية إلى كتب اللغة وأخرج منها ماله علاقة بالعلوم الزراعية من الكلم، وكذلك فعل بكتب الفلاحة العربية واليونانية، كما راجع مفردات ابن البيطار ورسائل الأصمعى فى الخيل والنبات والشجر ، وألفاظاً محققة ومصطلحات من معاجم ومصادر أخرى عدة .

هذه أمثلة فقط لجهود رائدة لنفر من العلماء فى الوطن العربى فى مجال علوم الأحياء سبقتها وتلتها جهود أخرى قيمة فى هذا المجال.

ولكن لعل أعظم إنجاز قومى وعربى أخذ بيد اللغة العربية وخطا بها خطوات فسيحة إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور هو إنشاء المجامع اللغوية بالوطن العربى . ففى مصر وفى بداية الثلاثينات عام ١٩٣٢ أنشىء مجمع اللغة العربية ؛ ولو أن محاولات أخرى جادة فى هذا السبيل قد سبقت إنشاءه فى مطلع هذا القرن، وسبقت هذه المحاولات دعوة إلى ذلك أيضا فى أخريات القرن التاسع عشر، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب فى مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة للحياة العصرية المتطورة ، ودراسة المصطلحات ، وغير ذلك من المهام فى مختلف المجالات .

وقد اهتم العلميون بصفة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسى الذى يمكن أن يقوم به فى مصر بل فى الوطن العربى فى تعريب العلم وكذلك ، للعون الكبير الذى يمكن أن يقدمه لهم فى مجال المصطلحات العلمية السليمة . وقد سار المجمع فى هذين الاتجاهين شوطاً بعيداً بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة فى المؤلفات العلمية فى مجال علوم الأحياء وغيرها .

ومن بين لجان المجمع الثلاثين التى تضطلع بمختلف أنواع النشاط العلمى واللغوى والأدبى لجنة علوم الأحياء والزراعة التى امتد نشاطها الملحوظ قرابة ثلاثين عاما حتى اليوم، توفرت خلالها على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة

وعلوم البحار والزراعة ووضعت بحوثاً قيمة فى بعض هذه المجالات . وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية فى علوم الأحياء التى درستها اللجنة ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية وشرحت معانيها نحو عشرة آلاف مصطلح علمى ،وقد نشر نحو أربعة آلاف منها ظهرت فى مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى يصدرها المجمع كل عام .

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لجان المعجمات اللغوية بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات فى العلم الحديث، كما وضعت بحوثا قيمة فى أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل ،ونشرت كلها فى مجلة المجمع ، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهرى (الميكروتكنيك) وكذلك نظرت فى المصطلحات التى أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمى ،وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية ،هذا بالإضافة إلى ماتقوم به اللجنة من البحث المستمر فى أمهات الكتب القديمة التى كتبها أسلافنا العرب فى علوم الأحياء ومختلف المعاجم والمراجع مما يساعدها فى عملها وييسر لها إنجازاتها .وأمام اللجنة حالياً مشروع لوضع معجم وسيط فى علم الأحياء على غرار معاجم « بنجوين» ،وقد اتخذ المجمع الخطوات اللازمة للسير فيه بعد أن ناقش الدوافع لهذه الفكرة التى كان قد أبداها المغفور له الدكتور محمود توفيق حفناوى عضو المجمع ،وهى أن طلابنا فى المعاهد والجامعات فى حاجة ماسة إلى معجم وجيز فى علوم الأحياء والزراعة يتداولونه ويستعملون منه مصطلحات صحيحة أقرها المجمع ،والأمل معقود أن يتم تنفيذ هذا المشروع فى زمن ليس ببعيد .

ومن أهم إسهامات اللغة العربية فى خدمة علوم الأحياء من خلال المجمع ودراساته هو وضع قاعدة موحدة للتصنيف البيولوجى ، ووضع أسماء مقابلة لحلقات التصنيف المختلفة فى عالمى النبات والحيوان، وقد كان لإقرار هذه الأسماء من قبل مجمعنا أكبر الأثر فى القضاء على حيرة كانت شائعة لدى المؤلفين والدارسين وأصبح اليوم كل اسم عربى يدل اصطلاحيا على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف على غرار الأسماء الأجنبية المقابلة لها .

وقد أقر المجمع كذلك القواعد الآتية فى ترجمته أسماء المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها وهو من بحث للأمير مصطفى الشهابى عضو المجمع وهو ماتأخذ به لجنة علوم الأحياء والزراعة فى عملها ما أمكن :

الأولى : ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع فى حلقات التصنيف العليا ،وهى الشعب والطوائف والرتب فنقول : المفصليات أو مفصلية الأرجل لشعبة Arthropoda

الثانية : أسماء القبائل والفصائل النباتية أو الحيوانية تكون عربية أو معربة على حسب اسم النبات أو الحيوان الذى تنسب إليه فنقول الخبازية لفصيلة Malvaceae .

الثالثة : أجناس المواليد التى ليس لها أسماء عربية تعرب أسماؤها العلمية إذا كانت منسوبة إلى الأعلام مثل زهرة دهلية Dahlia من الفصيلة المركبة ، وهى باسم عالم نباتى سويدى ، وتترجم بمعانيها إذا أمكن ترجمتها فى كلمة عربية سائغة مثل جنس Formica وترجمته نمل ، وإذا لم يكن ذلك ممكنا رجح تعريبها .

الرابعة : لامجال للتعريب فى الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات لأن جميع الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات تترجم ترجمة فى جميع اللغات الحية فنقول مثلا خبازة مجعدة لكلمتى Malva crispa .

الخامسة : يوجد مجال فى الترجمة أو التعريب جميعاً فى الألفاظ الدالة على السلالات والأصناف أو الضروب ، وقد أشار المجمع بضرورة الازدواج أى ذكر الأسماء العلمية اللاتينية فى الدراسات العليا وفى حالة احتمال أى لبس .

وحيث توجد ترجمات معقولة مستساغة لأسماء المجموعات التصنيفية الحيوانية النباتية فلا مجال للتعريب ، ومن أمثلة ذلك الفقاريات والأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور فى طوائف الحيوان ، كذلك لامجال للتعريب فى غشائية الأجنحة وحرشفيات الأجنحة وذوات الجناحين من رتب الحشرات وكذلك الزهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة وما إليها فى النبات .

وعلى أى حال فإن لجنة علوم الأحياء والزراعة فى أعمالها التصنيفية وغير التصنيفية أخذت على نفسها أن تقصر التعريب على مقتضيات الضرورة وأجازته عندما يتناول المصطلح اسما شاع استعماله بين اللغات العالمية ، وهناك بعض التوصيات حول أسلوب اختيار المصطلحات العلمية ستعرض على المؤتمر الموقر تستهدى بها اللجنة فى عملها ، ومع ذلك فإن اللجنة حين تتصدى لترجمة مصطلح فى علوم الأحياء أو الزراعة أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى ، وتبحث عن أفضل المقابلات له ، وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة ، وقد تجد مقابلا أو مأثوراً دقيقاً غير مطروق فى الكتب القديمة فتأخذ به ليشيع استعماله ، ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى ، وقد أقر المجمع من هذه المصطلحات نحو عشرة آلاف مصطلح باللغة العربية الفصحى أدت إلى علوم الأحياء خدمات جليلة حقاً .

ويجدر بى فى هذا المقام أن أشير إلى الجهود الرائدة البناءة التى قامت بها

المجامع العربية فى دمشق وبغداد فى سنوات حياتها الطويلة لاسيما فى مجال المصطلحات . وكذلك إلى جهود مكتب التعريب بالرباط والهيئات العلمية واللغوية الأخرى المعنية بموضوع المصطلحات العلمية ، وأملنا كبير إن شاء الله فى المجمع الأردنى الوليد .

ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات العلمية هو توحيدها فى الوطن العربى وهو أمل طالما تطلع إليه المشتغلون بعلوم الأحياء والعلوم الأخرى للقضاء على بلبلة قائمة فى استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة فى البلاد العربية ، ونحن على يقين بأن اتحاد المجامع اللغوية ، وهو يحمل على كتفيه هذه المهمة الجليلة سيوليها عنايته البالغة .

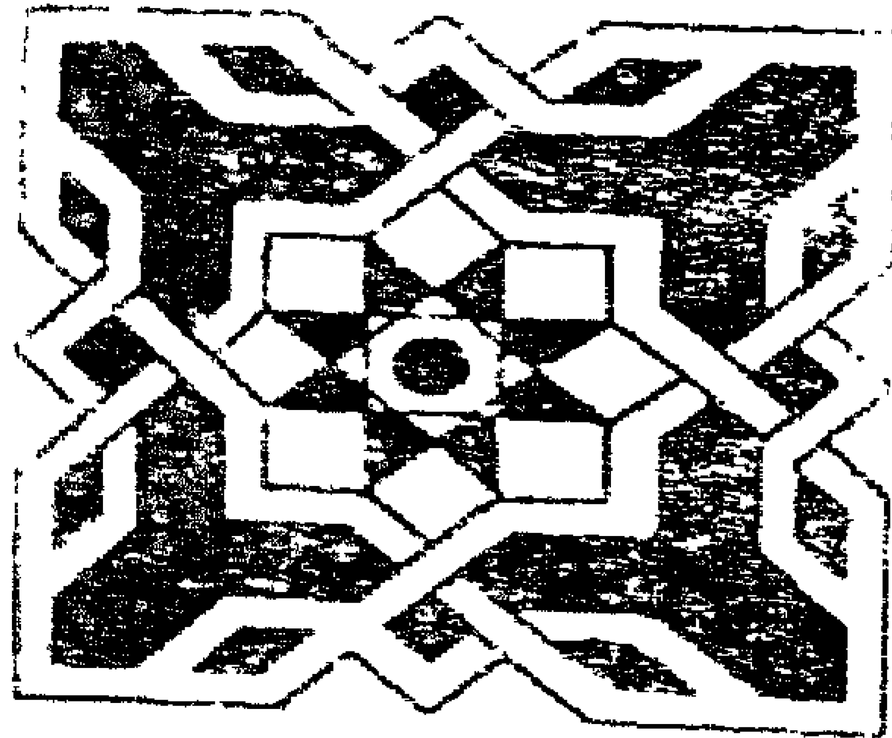
ولست فى حاجة إلى القول : إنه إذا كانت حركة التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية فى علوم الأحياء والزراعة قد خطت خطوات فسيحة إلى الأمام فى ربع القرن الأخير ، مع ظهور المئات من الكتب والمؤلفات العربية فى هذا المجال فى الوطن العربى فإن اللغة العربية كانت ولا شك معين الذى لا ينضب وبحر الذى اغترف منه المؤلفون والدارسون آلاف المصطلحات والمقابلات التى زخرت بها كتبهم وأسفارهم . مما ينهض دليلا ساطعاً على قوة هذه اللغة وثرائها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور المتلاحق فى شتى قطاعات العلم والمعرفة . ودحضا للفرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين من أن اللغة العربية تقصر أحياناً عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى .

تحية إلى مجامعنا اللغوية فى الوطن العربى فى بغداد ودمشق وعمان والقاهرة. هيئات مباركة قوامة على اللغة. وتحية إلى علمائها الأعلام الذين يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمود حافظ

عضو المجمع



المراجـع

١ – أحاديث مجمعية (الحلقة الإذاعية الخاصة عن مجمع اللغة العربية)

٢ – أسماء النبات... ... ... للدكتور أحمد عيسى

٣ – الإفادة والاعتبار ... ... للبغدادى

٤ – الجامع لصفات أشتات النبات ... ... للإدريسى

٥ – الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ... ... لابن البيطار

٦ – الحيوان ... ... للجاحظ

٧ – الشفاء ... ... لابن سينا

٨ – المخصص ... ... لابن سيده

٩ – النبات ... ... للدينورى

١٠ – بحوث مجمع اللغة العربية :

١١ – تاريخ العلم ... ... للدكتور عبد الحليم منتصر

١٢ – تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب والعجاب... ... داود بن عمر الأنطاكى

١٣ – حياة الحيوان الكبرى ... ... للدميرى

١٤ – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ... ... للقزوينى

١٥ – قاموس فى العلوم الطبية والطبيعية ... ... للدكتور محمد شرف

١٦ – مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاماً... ... ... للدكتور إبراهيم مدكور

١٧ – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها مجمع اللغة العربية :

١٨ – معجم الألفاظ الزراعية ... ... للأمير مصطفى الشهابى

١٩ – معجم الحيوان ... ... للفريق أمين المعلوف

٢٠ – معجم النبات ... ... المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط

آخر ساجع في الشام

للأستاذ سعيد الأفغاني

لم أعرف ما السجع في دراستي الابتدائية بدمشق. لكني كنت أسمعه في خطب الجمعة التي يتلوها بعض الخطباء في رسالة قديمة مطبوعة، فلا أعي منها غير التسبيح والصلاة على النبي؛ إذ كان تنغيم الخطيب لها يأتي على ما بقي فيها من وضوح. ثم صرت أسمعه شائعا في أسماء الكتب ومقدماتها.(1) فعقلت المراد من السجع قبل أن ندرس البديع في الصفوف الثانوية، إلا أن الذي أذكره أني كنت في مطالعتي الكتاب أتجاوز المقدمات المسجوعات بعد ما عانيت في كثير منها الغموض والجفاف، ثم هجر كثير من المؤلفين في الشام سجع العناوين بعد الحرب الأولى إلا في ردود أو رسائل تتعلق بالموضوعات التقليدية وما إليها.

وعندي منها رسالة في الرد على مؤلف طعن في بعض الصحابة طبعت (بدمشق سنة ١٩٣٦م) لم يكتف صاحبها الشيخ محمد التونسي الكافي رحمه الله بعنوان واحد مسجوع، بل ثلث فسماها:

السيف اليماني المسلول في عنق من طعن في أصحاب الرسول

أو

سم ساعة في كبد من فارق الجماعة

أو

الرماح والأسنة في فؤاد من لمز أهل السنة

أما في الكتابة والتأليف فقد نحي السجع تنحية تامة إلا في نهاية بعض المقدمات أو افتتاحيتها، حيث نجد سجعتين تقليديتين أو أكثر في حمد الله أو سؤاله التوفيق.

وشاع ذم السجع بين المتعلمين والعصريين عامة، وبقي محنطا في القسم الأخير من خطب الجمع المخصص للدعاء، فغاب من حياة

(*) انظر التعقيبات على البحث بمحاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الأحد ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ، الموافق ١١ من مارس سنة ١٩٧٩ م).

(١) كان السجع لعناوين الكتب تقليدا متبعا في المئة السادسة فما بعد، فلابن مالك مثلا: شواهد التصريح والتوضيح لمشكلات الجامع الصحيح، ولابن هشام الأنصاري: قطر الندى وبل الصدى، وكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وآخر من حبب إليه سجع العناوين صديقنا المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فقد سمى تعليقاته على شرح ابن عقيل: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل.

وحواشيه على طبعاته لكتب ابن هشام: (هداية السالك إلى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) و(سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى وبل الصدى، ومنتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب).. الخ.

الناس غيبة كاملة حتى كان عام ١٩٣٥ وخرج من السرداب ، حين تجاذب موضوع السجع مدحا وقدحا علمان شاميان كبيران فرقا الناس فريقين :

تحيز الفريق الأكبر منهما للأول لمكانته فى العالمين العربى والإسلامى ، ونصر الفريق الأقل الثانى منهما لأن الحق معه .

كتب الأستاذ محمد كرد على رحمه الله فصلاً فى مجلة «الرسالة »[١] ناقدا كتابا اسمه (قواعد التحديث) للمرحـــوم الشيخ جمال الدين القاسمى ، ولم يكن فى نظر الأستاذ الناقد تأليفا ، فكان مما قاله :

«حدثت فى التأليف طريقة جديدة هى أن المؤلف فى فن يقتصر على لباب ما قرأ فيه ، ويدعم أقواله بشواهد من كتب القدماء أو المحدثين بأسلوب خال من الخطابيات والسجع . . . » بهذا القول بدأت المعركة ، وكان هذا الكتاب قد استكتب له ثلاث مقدمات غير مقدمة المؤلف ، إحداهن للأمير شكيب أرسلان رحمه الله ، فطلعت مجلة الرسالة بعد خمسة أسابيع على العالم العربى برد مستفيض للأمير شكيب جاء فيه :

«. . . ثم إن هناك غمزاً بالسجع ، وليس الأخ كرد على الذى بدأ بهذا الغمز بل كان أحد الأصحاب أطلعنى على كتاب للدكتور زكى مبارك لحت فيه كلاما يشبه أن يكون استصغاراً للسجع واستكباراً لإتيانه ، وهذا باب جديد عجيب ، إذا أردنا أن ندخل فيه يطول الأمر ، فنكتفى بالقول إن السجع وجد فى الجاهلية والإسلام ، وجاءت منه أمثلة لأفصح فصحائها . . . ».

وأفاض الأمير رحمه الله يجادل مسهبا فى شأن السجع إلى أن قال :

« . . . ولا يقدر أحد أن يقول إننى مفرط فى هذا المذهب ، لأنه ليس لأحد من الكلام المرسل أكثر مما لى[٢] ،ولكنى لا أزال أرى السجع حلية الكلام العربى عندما يكون فى محله ،وذلك مثل مقدمات الكتب[٣] ومثل الخطب التى تلقى على الجماهير . . .» أهكذا قال .

تخاطف الناس أعداد الرسالة هذه انتصارا للأمير المناضل عن العرب والإسلام والمسلمين

---

(١) العدد ١٠٤ (السنة الثالثة ١ - ٧ - ١٩٣٥ م) ص ١٠٨٠

(٢) صدق الأمير والله ، فقد « جاء فى رسالة بعث بها إلى صديقه السيد هاشم الأتاسى رئيس الجمهورية السورية غير مرة عام (١٩٣٥ م) أنه أحصى ماكتبه فى ذلك العام فكان : ١٧٨١ رسالة خاصة و ١٧٦ مقالة فى الجرائد و ١١٠٠ صفحة كتب طبعت ثم قال : « هذا محصول قلمى فى كل سنة » وعرفه خليل مطران بـ (إمام المترسلين)من ترجمته فى (الأعلام) للزركلى رحمه الله .

(٣) العدد ١٠٩ فى (١٢ / ٨ / ١٩٣٥ م) ص ١٢٨٠

من مقره فى جنيف ، وشماتة بوزير سابق فى وزارة تخضع للأجنبى المحتل ، وقلة منهم فهمت الموضوع وتذوقته واستمتعت بمحاورة الرائدين الكبيرين .

الظاهر أن الأستاذ كرد على أراد أن يربح الصفقة بحجج لا ترد ، حتى من الأمير نفسه ، فعمد إلى جمل من سجع الأمير فى مقدمته للكتاب موضوع النقاش واحتكم إلى القراء ، حين قايس بينها وبين كلام الأمير المرسل فى تقريظ كتاب آخر فقدم المثال الآتى مخاطبا الأمير[1] : «بالأمس كتبت مقدمة (النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى ») للأستاذ محمد أحمد الغمراوى ، فمن منا لم يعجب بما كتبت وحبرت ، وإن كنت قد أطلت وتوسعت ، واليوم تكتب ما تكتب لـ (قواعد التحديث) فى فن لست منه ولا أنا لا فى العير ولا فى النفير ، وجئت تغالى بكتاب ليس فيه من حديث ولا أسلوبه أسلوب المؤلفين ولا يستحق هذه العناية والرعاية وهذه الضجة ، ولكل رأيه واجتهاده . وأكتفى الآن بجملة من مقدمتك وقد بدأتها بقولك :

لا يخفى على أهل الأدب أن الجمال[2] والقسام فى العربى واحد ، وأن معنى القاسم هو الجميل ، فلا يوجد إذاً لتأدية هذا المعنى أحسن من قولنا « الجمال القاسمى » الذى جاء اسما على مسمى ، مع العلم أن الجمال الحقيقى هو الجمال المعنوى لا الجمال الصورى الذى هو جمال زائل ، فالجمال المعنوى هو الذى ورد فيه الحديث الشريف (إن الله جميل يحب الجمال) ، وعلى هذا يمكن أن أقول : إنه لم يعط أحد شطر الجمال بدرجة المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى . . . بحيث أن كل من كان يدخل دمشق ويتعرف إلى ذاك الحبر الفاضل والجهبذ الكامل ، كان يرى أنه لو لم يكن فيها إلا تلك الذات البهية المتحلية بتلك الشمائل السرية والعلوم العبقرية ، لكان ذلك كافيا فى إظهار مزيتها على سائر البلاد وإثبات أن أحاديث مجدها موصولة الإسناد »

ويعقب الأستاذ على هذا النص بقوله : « بأبى أنت وأمى ياشكيب ! أهذا بيانك الذى عرفته وعرفه فيك قومك ؟أنا لا أطلب غير حكمك فلا أحتكم إلا إليك ، أهذا كلام ترضاه لنفسك فى كتاب يبقى ، وماهذا الفاق فى المعانى والمبانى ؟ ربما اغتفر صدور مثل هذا من فتى يشدو فى الأدب ولكن من شيخ كتاب العرب ، لا ثم لا » .

---

(١) العدد ١١١ فى (١٩ - ٨ - ١٩٣٥ م) ص ١٣٥٩

(٢) لاتنس أن اسم المؤلف جمال الدين القاسمى .

وينتقل الأستاذ كرد على إلى السجع وإلى كتابين للأمير بعنوانين مسجوعين يقول : « وحديث السجع أنت عرفت رأيي فيه ، ولعلك تذكر أني كنت لفت نظرك إلى ماأسميت به كتاب رحلتك إلى الحجاز وهو« الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أسمى مطاف ». وقلت لك يومئذ : إن القارىء مهما يبلغ من ثقوب ذهني لايدرك لأول وهلة معنى هذا العنوان المسجوع إلا بكثير من إجهاد الفكر ، وهكذا كدت باستحسانك السجع في بعض المقامات والغلو في تقريظ من ترى تقريظه أن تنسينا حسناتك علينا في كلامك المرسل الكثير » .

ويضرب الأستاذ كرد على الأمثال بالبلغاء المحسنين ولا ينسى أن يقف عند الإمام محمد عبده الذى كما يقول : « قضى بقوة حكومته على استعمال السجع في الصحف والرسائل الرسمية فَعُدَّ عمله هذا أكبر حسنة من حسناته ، ولولا عمله مادخلت اللغة في هذا الأسلوب الممتع الذى نقرؤه اليوم للمنشئين والمؤلفين » .

وكما احتج الأستاذ بمثال واضح من سجع الأمير في تقريظه جعل القراء يقتنعون بسلامة دعواه ، احتج أيضاعلى الأمير في تقديمه ديوان أخيه إذ جعل عنوانه : (روض الشقيق في الجزل الرقيق) . ماقلته في فاتحته :

« . . . الذى لاأجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ، ولالديوانه حلية أجمل من نشرها في الأقطار ، وخير وصف الحسناء جلاؤها والجواد عينه تغنى عن الفرار . ولعمرى لو وصفته بأزهار الربيع وأنواع البديع ، وشققت في تحليته أصناف الأساجيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتيلا ولارفعته عن دوحته كثيراً ولاقليلا ، كما أنى لو قدمته للقراء فريدة معطالا لايرن له حجل ولاسوار ، ولا يتلألأ عليه ياقوت ولا نضار وكان هو في نفسه درا نظيما وأمراً عظيما وديواناً تتأرج أرجاؤه نداً ولطيما ، لما خفى أمره على ذوى الوجدان ، ولاتعامى عن سبقه أحد ممن له عينان . . » .

يقول الأستاذ : لوكنت مكانك لقلت ومابااليت :

« الذى لا أجد لشعره وصفا أوفى من عرضه على الأنظار ولو وصفته بأزهار الربيع وكان هو في الواقع دون ماأصف لما أغنيته فتيلا ، ولو قدمته للقراء فريدة معطالا وكان هو في نفسه درا نظيما لما خفى أمره . .

«أليس هذا الإيجاز أوقع في النفس وأجمل في أداء المعنى ، وأدعى إلى الإفهام من أسجاع تثقل على الطباع ،ونحن إنما نكتب لنفهم لالنعجم ونبهم » .

وختم كلامه بالدعوة إلى أساليب البلغاء يوم لاهذا الترصيع والتسجيع ، ولاذلك الضرب المستكره من أنواع البديع .

لم يصنع الأمير شيئا حين عاد بعد خمسة أسابيع يدافع - باختصار - عن ثنائه على مؤلف (قواعد التحديث) ويعرف المسجوع ، محتجا أن (نهج البلاغة) وكثير من كلام أفصح العرب من النوع المسجوع ، لكنه خرج عن الصدد فى قوله آخر رده :

« . . فإن كانت اللغات الأوروبية ليس فيها سجع إلا ماندر فليس هذا بحجة على اللغة العربية ، فلكل لغة خواص تمتاز بها وقد خلق الله الناس أذواقاً مختلفة ، وجعل لكل أناس مشربهم ، والعرب غير العجم ، والشرق غير الغرب [1] » .

إذ لم يجر للغات الأوربية ذكر فى كل مادار فى هذا الموضوع .

كان الولوع بالسجع التعويذة الوحيدة من العين فى تراث أمير البيان الحافل بصولات وجولات ما أروعها وما أبرعها .

وليست حملة الأستاذ كرد على على السجع من حيث هو سجع ، والدليل على ذلك أنه نفسه كثيرا ماتتفق له السجعتان والثلاث من حيث لايشعر هو ولاقراؤه أنه يسجع ، بل سجع هنا وهو يحمل على السجع حين قال آنفا « يوم لاهذا الترصيع والتسجيع ولاذاك الضرب المستكره من أنواع البديع » وقال : (ونحن إنما نكتب لنفهم لالنعجم ونبهم) : بل إن السجع ليجرى أحيانا فى حديثه العادى ، زاره فى مجمعه مرة مستشار معروف فى العالم العربى بأسره ، ليقترح عليه أمورا فى شئون المجمع ، فتأخر عن موعد بيننا ، واعتذر بتلك الزيارة عن غير موعد ، وكنت أعرف أنه يثقل على قلبه فسألته كيف وجدته ؟ فقال نبرا : أعجم طمطم ، ولايفهم ولاتفهم ؟

إن السجع كبقية أقسام الكلام ، إذا أصدر عفوا من بليغ مطبوع فى مقام يقتضيه فهو حسن وإلا فلا ، وقد نص الأستاذ على أن «الكراهية آتية من التزيد والتكلف» .

وبعد فلا يغنى مااقتطفت من كلامهما عن الرجوع إليه كاملا حيث أشرت إلى مظانه من مجلة الرسالة ، ففيه دلالة على أدب جم واطلاع مستفيض وطبع قوى ، وملكة متمكنة رحمهما الله .

* * *

ظننا بعد هذه المعركة اللطيفة فى الشام على الأقل أن أمر السجع مضى ولاعودة ، لكن حدثا مباركاً أظل الناس فى الشام سنة ١٩٥٨م ، وقضوا فى فرحته سنتين ، وكان أثرها عند العرب المغتربين فى الأمريكتين بليغا عارما ، فما أبهجنا حينئذ شىء كاعتزام أجلاء من شيوخ الأدب هناك الرجوع

---

(١) مجلة الرسالة ، العدد ١١٦ فى (٢٣ / ٩ / ١٩٣٥) ص ١٥٥٥

إلى الوطن وقد تجلت لأبصارهم بشائر وحدة عربية طالما حلموا بها وغنوا لها ، بدأ تحققها بوحدة مصر والشام ، فسعدنا برؤية أعلام كنا نعمنا بأدبهم ونضالهم للغتهم وبلادهم ، واليوم نراهم بيننا يغنوننا فى فرحتنا أعذب الألحان : الشاعر القروى ، والشاعر المدنى ، والياس فرحات ، وإيليا أبو ماضى وجورج صيدح و . . . الخ .

ويعنينا منهم فى موضوعنا هذا الأستاذ نظير زيتون حامل لواء السجع المطبوع الجميل ، ولو كان بدا للحاملين على السجع لنكسوا أعلام الحملة ، وتركوا لهذا الأسلوب ميادينه يعمرها فرسانه الأصلاء المطبوعون .

كان السجع على لسان نظير زيتون ينثال سهلا سائغا عذبا يطرب رنينه ويبهر تدفقه ، ولو شاء جعل كلامه كله سجعاً ، فهو فيه قريع أبى العتاهية فى شعره سلاسة وطبعا .

إن ما خلفه نظير زيتون هو أدب قبل أن يكون سجعا أو غير سجع ، وكان كما وصفه صديقه الشاعر جورج صيدح فى تقديم قصته (من وراء القبر أو انهيار أمبراطورية وولادة أمة) : سبقته إلى الشام «شهرة طيرها المهاجرة وتصيدها الوطن» لقد عاد من البرازيل بثروة من الآثار القلمية تغنيه عن الناس أثر جديد ، لكنه ظل مهاجرى الروح مهاجرى[1] الطابع ، وظلت الرسالة المهاجرية أمانة فى عنقه سواء (توطن) فى الغربة أم (تغرب) فى الوطن ، وتعود أن يعيش بقلبه وقلمه كل محنة تنزل بأمته كما يعيشها خدينه الشاعر القروى بروحه وبشعره ، وزميله فرحات بثورته[2] «حسبى هذا تعريفا بأدبه من زميل له عايشه فى الغربة العمر الطويل ، لأبادر بالكلام على سجعه :

فى صيف عام ١٩٦٤ لفت نظرى فى مجلة تصدر فى دمشق تعليق سلبى على مقال عنوانه (نجوى وذكريات من نظير زيتون إلى شفيق معلوف) كان للتعليق ردفعل فى نفسى حملنى على الإمعان فى المقـــال فطربت لفقرته الأولى وقد قطعت جملا صغيرة مسجوعة ذات رنين جميل وتصوير أجمل ، فتأنيت فى القراءة استلذاذاً بأصالة البيان ، فلم أرفع نظرى إلا آتيا على خاتمته ، لم أدر كم استغرق من وقت لكنه إحدى عشرة صفحة . بالحرف الدقيق ، والرسالة رحلة فى الذكريات ، والآمال ، والآلام ، أجاب الكاتب بها صديقه الشاعر شفيق المعلوف[3] . سطراها الأولان :

(١) فى الأصل (المهجر) وهو خطأ شائع هناك ثم هنا .

(٢) (من قصة وراء القبر) ص ١٦

(٣) مجلة المعرفة – دمشق ، العدد ٢٧ مايو ١٩٦٤ م ، والتعليق للفقيد الأستاذ فؤاد الشايب وكان ملما بالآداب . ولم يكن من العرف يومئذ أن يعهد برياسة تحرير لمن لا إلمام له بأدب ولا معرفة له بأدباء .

«حبذا الكتاب ونجواه ، والحرف وشذاه والقلم فى مجراه ومداه ونهاه، والبحر ودره الزهراه (الصافى) والولاء متجليا فى سناه، والخلق المعطاء صداحة موسيقاه ، خصبا مجناه ، هطالا جناه » .

ثم يعرج على ذكرياته فى الأمريكتين مع رجال (العصبة الأندلسية) وغيرهم ، ويحن إلى أولئك الأيام « بين رفاق تألفت قلوبهم ، وتجندت أرواحهم للمروءات والمكرمات، والذودعن أم اللغات فى دنيا غريبة اللغات والعادات، فكانوا أحنى ضلوعا على الحرف العربى من المرضعات ، وأوفى بالضاد من شيوخها السادات، وأكلف بالفصحى من صوفى بالعبادات ، وأغضب للغة القرآن من مضرى فى حومة المساجلات وعكاظ المفاخرات » .

وتمضى الرحلة فى بلدان أمريكا الشمالية والجنوبية حيث العرب المغتربون قد أقاموا للفصحى فى كل بلدة ناديا وسوقا وجريدة ومجلة ، فيستعيد ذكرى المجالس الحافلات بالأدباء والشعراء ، ومهرجانا أقاموه للمتنبى فيقول :

« ولنعرج على شيخنا المتنبى فى ذكراه الألفية ، ولنشنف آذاننا بسماع شعراء العصبة الأندلسية ،ولقد أصغينا إليهم فرأيناهم أمراء ينشدون فى حضرة المتنبى صاحب الجلالة الملكية ، كما كان أبو الطيب ينثر درره فى ديوان سيف الدولة الحمدانية ،ويقهر خصومه وحساده بالأبيات الحلية العصبية ويؤجج فى صدورهم نيرانا جهنمية » .

ولم تكن ذكرى المتنبى فى ســان باولو حفلة ولامهرجانا ، بل رواقا باذخا رتلنا فيه صلاة وقدمناه قربا ، وقرآنا ، وركعنا خشعا فى محراب الفصحى شيوخا وشبانا، وبزغت العربية فى صدورنا نوراً وإيمانا وحبا وإحسانا ، وفصاحة وبيانا . .

ويختم رحلته قائلا لمخاطبه : « واكم لعبقر شاعرا ولآى البيان ناثرا ، وللإخوان صدرا عامرا ، وللفضل بحرا زاخر » .

شعرت أن الكاتب يغرف من قلبه الطافح بأنبل العواطف ، وأن لغته الساجعة طاوعته بل سابقته إلى هذا الغرف ، وأنت حين تكون حيال أدب مطبوع لا تسأل عن شكله ، فليكن شعرا أو سجعا أو مرسلا ، حسبك من قوة الطبع وعدوى الانفعال والتأثر .

ثم عدت إلى نفسى أتساءل : (ألا يمكن أن يكون الأستاذ نظير قد احتفل فى هذه الرسالة بأناقة الأسلوب لأنه قدر أنها للنشر ، ولولا ذلك لكان تعبيرها عن طبعه فى الصدق

والبعد عن التكلف ، . . ولم يطل بى الفكر إذ ذكرت أن عندى رسالة شخصية منه كتبها إلى فى ٢٠ / ٧ / ١٩٦٣ فاستخرجتها أقرؤها ، فإذا هى وما تقدم من ينبوع واحد ، وهذه فقرة منها لا أحتشم من ذكرها :

«ورحم الله الأفغانى جمال الدين ، الرئيس الإمام ، وقد كان فى الشرق قطب الإصلاح وعلمه المصباح ، وبابه والمفتاح ، فكم نادى فى القوم وصاح ، ودعا إلى الفلاح ، وكم شنها غضبة مضرية على السلطان السفاح ، وكم ندد بالجهل والجمود والتخبط والفساد وسائر ما ينتاب العقل من كساح ، وكم أهاب بالعرب ودعا إلى السبيل الوضاح ، والسنن الصحاح ، إلى أن أدركته المنية عملاقا فى الكفاح ، عبقريا فى عظاته الفصاح ، أو ليس بين هذين من قربى الأرواح موصولة بصداقات فكر أصيل ماح ، وقلب خيِّر سماح » .[١]

وعلينا أن نراعى ما بين طبيعتى الموضوعين من تفاوت ، فهذه رسالة شخصية ، وتلك رسالة أدبية تزخر بالمواقف والعواطف ولكنهما سقيتا بماء واحد .

قلت إن تعليق رئيس التحرير كان سلبيا ، ولكل عصر شعارات خرافية تشيع حتى ليتعبد بها كثير من الناس ، ومن هذه الخرافات تعابير : القديم والحديث ، والسجع الثقيل والشعر الحر وغيره ، والعمودى والخليلى ، والرؤى الرمزية ، ومن ذلك قولهم : أسلوب عفى عليه الزمان ، وتصاوير الجيل الصاعد والمتحرر . . . إنها شعارات العبودية والانجرار على الذيول يلوكها الخليون من العلم والأناة والتفكير ، وربما تجرف أحياناً من تخطى المراهقة فى الأدب أو السياسة أو الغوغائية ، وقد جرفت فيمن جرفت صاحب التعليق حين قال :

«لولا أنه نظير زيتون ، ولولا حبه العظيم لعربيته وعروبته لقلنا إنه أسلوب عفى عليه الزمان وخلفته وراءها الركبان » .

كان منتظرا بعد هذا التعليق أن يثور جدال كالذى ثار بين الأمير شكيب ، والأستاذ «محمد كرد على» رحمهما الله ، ولا شك فى أنه من آثار حملات «كرد على» على السجع فى نفوس الشباب حينئذ وصاحب التعليق منهم . ولعله طمع فى شىء من مثل ذلك الجدال لحلته ، لكن شيئا لم يقع ، إذ فات المعلق أن الأمر مختلف من وجهين :

---

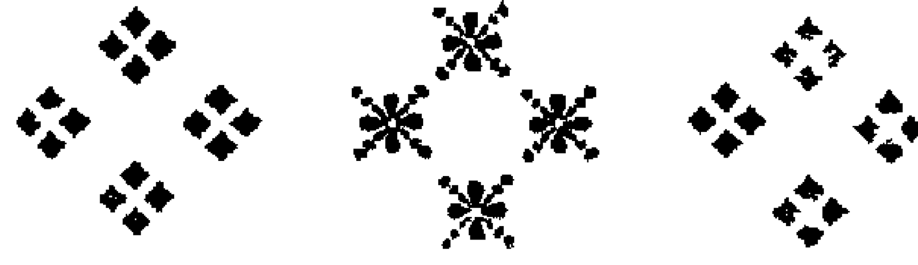
(١) العدد السابق .

الأول أن الأستاذ نظير مطمئن إلى أدبه الشهير المكين فلم يعبأ بالتعايق ، والثانى أن القراء سحرهم البيان الجميل المطبوع فنسوا ما كان قال رئيس التحرير .

كان آخر ساجع فى الشام ظاهرة أدبية فذة فى الربع الثالث من هذا القرن .

سعيد الأفغانى

عضو المجمع المراسل من سورية



(١) ولد الفقيد الأستاذ نظير زيتون فى حمص (الشام) سنة ١٨٩٦ م ، وفيها تلقى علومه الأولية ، وفى سنة ١٩١٤ م أول الحرب العالمية الأولى رحل إلى(سان باولو)فى البرازيل مهاجراً يطلب العمل والعيش فيها ، فعالج أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعدل عنها إلى ميوله الأدبية واللغوية ،وقد وجد فى مقاومة الحديدحافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، فانصرف إلى دراسة اللغتين البرتغالية والأسبانية عاملا على التبحر فى آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضع سنوات حتى أصبح واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية فى أمريكا الجنوبية . واشترك مع غيره منأدباء المهاجر فى حمل رسالة الفكر العربىإليه ،كما اشترك معهم بنثره البليغ وبيانه المشرق فى قيام (الحركة الأدبية فى المهاجر)،وقد أسندت إليه سنة١٩٢٦ رياسة تحرير جريدة (فتى لبنان)،وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ . كان الفقيد خطيب (النادى الحمصى) فى (سان باولو) وركناً من أركان (العصبة الأندلسية) ، وقد أسهم فى تحرير مجلتها الرفيعة ، فلمع اسمه فى مختلف جاليات المهاجر وأرجاء البلاد العربية.نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعية فى مختلف المجلات والصحف العربية، وقد جمع بعضها فى كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتعم فائدتها . ثم حمله الحنين إلى الوطن إلى سورية (فى عهد وحدتها مع مصر) ، فلقى من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة فى خدمة القضية العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السورى . أقام فى بلدته (حمص) إلى أن وافته المنية صباح السبت فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٧ م .

[عن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مع بعض التشذيب ٤٣ ـ ٢٠٧]

اللغة العربية ووسائل الإعلام

أترجمة أم عدوى لغوية ؟

للدكتور إبراهيم السامرائى

لعل القارىء ستأخذه طيرة من العجب أن أستعير كلمة «العدوى» من بيئة الأعراض والأدواء فأجتلبها اجتلاباً إلى حيز واضح فى علم «اللسانيات» . غير أنى قد استجزت لنفسى هذه الكلمة فتوسعت فى دلالتها توسعاً لا يحمل الضيم عليها ولا يفسدها على نحو ما يعرض للكثير من الكلم فى هذه الأيام بحجة التطور وبذريعة أن العصر يفرض علينا من الجديد أفانين شتى .

أريد بـ « العدوى » ما ألحقته الترجمة بالعربية من « ضير » ، فقد حفلت العربية المعاصرة بأنماط كثيرة من « الصياغة » « Tournure » ومن غيرها مما يدخل فى أساليب التعبير[1] . ولقد كنت قد أشرت إلى ذلك فى موضوع أعددته لمؤتمر المستشرقين العالمى الذى انعقد فى باريس (تموز ١٩٧٣) .

والموضوع مهم يتصل بالعربية وسلامتها كما يتصل بعلم « اللسانيات » من حيث أن أنماطاً لغوية خاصة بلغة غربية فرنسية ثم إنكليزية قد وجدت السبيل إلى هذه العربية فبدت عربية جديدة وسمت بسمات من «التغريب »

---

(١) قد يخطر فى أذهان الدارسين مايقابل هذه المواد المستعارة فى اللغات الغربية (أخص منها الفرنسية والانكليزية) وهو ماتفرضه العربية هذه اللغات من الكلم والمصطلح والأساليب . وهذا موضوع تاريخى كتب فيه الغربيون فأشاروا إلى الدخيل العربى فى الفرنسية والانجليزية والأسبانية وغيرها من اللغات وصنفت فى ذلك مصنفات معروفة . وقد تجاوز الأمر هذا الدخيل فكان نمطا جديدا من الفرنسية التى يحررها العرب من التونسيين والجزائريين والمغاربة . وهذه من الأنماط الظاهرة التى وقف عليها علماء اللغة واللسانيات من الفرنسيين .

انظر مقال الآنسة زهرة رباحى بالفرنسية والمرسوم به اللغة الفرنسية كما تتكلمها « الإطارات التونسية » (فى المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد ١٣ مارس ١٩٦٨ ص ١ — ٢٤) . وقد آثرت أن أثبت كلمة « الإطارات » لأشير إلى أن التوانسة وغيرهم من الإفريقيين قد استعاروا كلمة (cadre) : الفرنسية واستعملوها مجازاً استعمال الفرنسية لها على غير الحقيقة .

ومن غير شك أن الإنكليزية المستعملة لدى غير الإنجليز قد عرض لها من الجديد والدخيل ما أحالها إلى إنكليزية أخرى .

(بالغين المعجمة) ولا أقول « التعريب » فقد اتجه هذا المصطلح الأخير وجهة جديدة تختلف كل الاختلاف عن « التعريب » الذى عرفته العربية فى عصور سلفت . إن «التعريب» فى اصطلاح أهل عصرنا هذا يعنى الترجمة والنقل من لغة إلى أخرى .

وإذا كنا نترجم عن اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية والفرنسية فمن المعلوم أن طائفة كبيرة من هؤلاء المترجمين النقلة يحدثون جديداً غريباً يضاف إلى العربية الجديدة . وليس من حرج على أن أستعير عبارة أهل العلوم فى عصرنا فأقول : إن كيان العربية لايقبل فى أغلب الأحايين هذا الجسم الغريب الذى أريد له أن يزرع فيه فيجد له مكاناً . لقد شاه هذا الجسم وساء مغرساً ولكننا قد ألفنا هذه اللغة بِعُجَرِها وبُجَرِها كما قيل :

لا أريد أن أحجر على المعربين فأذهب إلى شيء من « قل ولا تقل » وذلك لأنى موقن أن العربية واسعة وأن كثيراً مما أشير إليه أنه ليس من كلام العرب كان من كلامهم بل من كلام الصفوة أهل الفصاحة واللسن . وهل فى طوقنا أن نذهب إلى القول إن العرب لم تقل كذا وكذا ونحن لم نملك الكثير من كلام العرب ؟ وأن القليل الذى بين أيدينا لم نحط به علماً ؟ وإنى لأذكر أحداً من هؤلاء الذين ذهبوا هذا المذهب من إخواننا المصريين قال : إن كلمة « بعض » تدل على الجماعة وليس على « الواحد » وهو يرد بذلك على الأستاذ الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — ، أقول : لقد فات هذا الأستاذ الفاضل أن كلمة « بعض » تدل على الجماعة وعلى الواحد وهى كذلك فى لغة التنزيل فى آيات عدة . فإذا كنا لم نحط إحاطة كافية بأشهر كتاب من كتب العربية الجليلة وهو كتاب الله — جل وعلا — فكيف يتأتى لنا أن نقول هذه المقولة : فنذهب إلى أن العرب لم تقل كذا وكذا ؟

أعود فأثبت أنى لا أومن بهذا المنهج ، وأن هذه « المعيارية » شيء عرفه المتقدمون وقالوا به ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه ؛ فقد تجاوزتهم اللغة إلى أشياء كثيرة .

ألم يكن الكثير من مسألة « عمود الشعر » والخروج عليه شيئاً يقدح بهذه المعيارية الخيالية ؟

ولابد من عودة إلى « الترجمة وآفاتها » لأشير إلى أن المتقدمين أحسوا بعسرها ، وأنها مشكلة ليس لنا أن نصل فيها إلى سمت المحجة وقصد السبيل كما يقول الجاحظ . لقد فطن الجاحظ إلى أن الترجمة مطلب عسير وأن ليس فى طوق المترجم أن يأتى بالعلم لما يمكن أن تنال لغة من لغة أخرى ، فقال فى صفة هذا المترجم :

« ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ

منها ، وتعترض عليها ، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة وإنما له قوة واحدة ، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما »(١) .

وهذا يعنى أن الترجمة عمل صعب ، وأن صاحب الترجمة لابد أن يكون ذا علم واف باللغتين وإلى هذا أشار الجاحظ فقال فى صفة المترجم : « أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية »(٢) .

وهذا النمط من التراجمة فريد لا نعرفه إلا فى فئة قليلة من أهل العلم . ولعل الجاحظ كان يقصد إلى هؤلاء فى كلامه على القصاص حين قال :

« ومن القصاص موسى بن سيّار الأسوارى ، وكان من أعاجيب الزمان ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلايدرى بأى لسان هو أبين . واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها إلا ماذكرنا(٣)» .

ولقد أشار ابن خلدون فى «المقدمة»(٤) إلى معايب الترجمة وماتؤول إليه ، وإنها تؤدى إلى شيء غير مقبول فى اللغة فقال : « لأن البعد عن اللسان إنما هو مخالطة العنجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلى أبعد » .

وامتحن المحدثون بأمر الترجمة امتحاناً شاقاً حتى ذهب أهل العلم والنصفة من الإيطاليين إلى القول : « إن المترجم خائن » (Traduttor traditore) . وما أظن هؤلاء ذهبوا إلى هذا التماساً للسجع والمشاكلة على نحو ماقيل عن الصاحب بن عباد أنه خاطب قاضياً بمدينة « قم » فبدأ الكلام بقوله : « أيها القاضى بقم فلم يجد مايتم به هـذا الخطاب إلا بقـوله : « قد عزلناك فقم » .

أقول : لم يكن شيء من هذا دفع أهل الفصاحة من الإيطاليين أن يذهبوا إلى أن « المترجم خائن » والترجمة خيانـة ؛ ولكنهم خبروا من أمرها عسراً أدركوا أن النقل يجور على اللغتين أيما جور .

---

(١) الجاحظ : الحيوان ١ — ٧٦
(٢) المصدر السابق .
(٣) الجاحظ : البيان ١ — ٣٦٨
(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨

ومن المفيد أن أشير إلى شيء مما نال العربية من هذه الأساليب المترجمة التي تفتقر إلى الفصاحة . لقد أخذ الناس يقرؤون في المجلات والصحف مثلا : « إن الشاذلي أحد أكبر العسكريين العرب[1] . . . . »

ألا ترى أن هذا الأسلوب في إضافة « أحد » إلى « أكبر العسكريين » أسلوب لاتعرفه العربية؟ وهو من باب إضافة «الواحد» إلى « الواحد »وذلك لأن « أكبر العسكريين» واحد في الأصل إلا أن يكون في التعبير مايشير إلى غلبة المضاف إليه وهو « العسكريين ». إن هذا لتأثر بأسلوب مترجم هو : ... one of the bigger

ولو أدرك الكاتب أن في العربية مايغنيه عن هذه الرطانة لاهتدى إلى أن الأداة «من» الجارة تفيد التبعيض فكان عليه أن يقول :

« إن العقيد الشاذلي من أكبر العسكريين »

وأعيد لأذكّر أن هذا ليس من باب « قل ولاتقل » ولا من باب « التحجير » فاللغة واسعة ولكن ذلك يشير إلى التداخل اللغوي الذي جاءت به الترجمة فأساءت إلى بناء اللغة وكيانها ثم إني لأذهب إلى أن التصحيح تفرضه علينا معايير جمالية مما ندعوه بالمصطلح المعرّب « الاستطيقا » الذي أشار إليهالنقدة والفلاسفة المتقدمون[2]

ألا ترى أن استعمال «من» الجارة هو أرشق عبارة وأخف لفظاً وأهدى سبيلاً ؟

وإذا جئنا إلى اللفظ الجديد في دلالته لرأينا نماذج جاء بها المترجم جاهلا لمعنى الكلمة الأجنبية أم غيرجاهل . ومن هذه قولهم : « المعطيات »[3] .

ولعلي بحاجة أن أتوسع في الكلام على هذا الجديد الذي لم يستقر المعربون على دلالته استقراراً يوحي أنه مادة عربية . إن « المعطيات » جمع مؤنث للمفرد « معطى » وهو اسم المفعول من « أعطى » الرباعي . وقد جمعه المترجم الناقل لأنه قد خُيِّل إليه أنه يؤدي الكلمة الفرنسية (Les données) وصيغة الكلمة الفرنسية اسم مفعول مؤنث مجموع ، فكان المترجم على حق في أخذ المقابل العربي اسما مفعولا مؤنثا مجموعاً . وهكذا نشأت كلمة جديدة شاعت شيوعاً عجيبا في كتابات أهل هذا العصر من يعرف منهم اللغة الفرنسية ومن يجهلها .

قد تقول : وهل من بأس أو ضير في هذا الجديد الوافد ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن الكلمة الجديدة يستعملها جمهرة من الناس ولايدركون دلالتها وقد تسأل أحدهم عنها فيجيب «إنها أفكار »، وهل تكون

---

(١) مجلة الوطن العربي (السنة الثانية ، العدد ١٠٠ ص ١٣)
(٢) انظر كتاب الألفاظ للفارابي (ط . الكاثوليكية) .
(٣) فقه اللغة المقارن إبراهيم السامرائي (بحث تعابير أوربية في العربية) .

«الأفكار » فى عموميتها « معطيات » ؟ ويجيب آخر فيذهب إلى أنها « إيحاءات » أو « مقترحات » أو أشياء أخرى .

والكلمة الفرنسية فى « المعجم الفرنسى » وفى استعمال الكتاب من أهل الاختصاصات وغيرهم تعنى « النقاط التى لاتناقش ولايتنازع فيها » فهل ترانا بلغنا المراد فى « المعطيات » ؟ .

وقد أدرك اللغويون المحدثون هذه الناحية فكتبوا فيها مصنفات أشاروا فيها إلى الصعاب التى تعترض سبيل المترجم وماينتج عن هذه المهمة من الدخيل والمسخ والنسخ والتحريف والترجمة الحرفية وآفات أخرى .

ومن هؤلاء اللغويين الذين شغلوا بمسألة « تداخل اللغات » العالم اللغوى « يورييل فاينرايش » (Uriel Weinreich) ، فقد صنف كتاباً فى الموضوع نفسه وسيم بـ« اتصال اللغات » (Languages in Contact) (١) وقد نبه هذا العالم إلى ملاحظة مايعرض لأية لغة من معايب حين ينقل إليها شىء من لغة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن من يضطر إلى أن يعرب بلغة غير لغته الأصيلة وهو لايجيد اللغة الأخرى إجادته للغته ، أو قل إنه لايعرب باللغة المكتسبة إعرابه بلغته الأولى إن هذا النفر من غير شك ليضيف إلى اللغة الأجنبية التى يحمل عليها إضافات غير محمودة تنال من جوهرها فضلا عن بهائها وجمالها . ومن هنا نشأت إنكليزية المستعمرات أو ماوراء البحار كما نشأت فرنسية إفريقية أو فرنسية أخرى . ومثل هذا يعرض للغات كافة فليس بدعاً أن تكون لناعربية جديدة فيها مما يتصل بالنحو وبناء الجملة وما يتصل بالصرف والأبنية ثم مايتصل بالأصوات والدلالة شىء جديد قد يكون عجبا فى بعض الأحايين .

ولقد أشار إلى التحريف والعيوب التى تلحق أسلوب المترجم وهو ينقل إلى لغة أخرى المسيو « جان بول ڤينى » (Jean Paul Vinay) فى بحث له ضمه كتاب يشتمل على بحوث أخرى (٢) . وقد جاء بشواهد عدة تشير إلى ما عرض للمترجم من صعاب جنبته سواء السبيل .

ومن المفيد أن أشير إلى شاهد اقتطعته من دراسة فى الترجمة (٣) للسيد صالح الفرماوى التونسى وهو يشير إلى الفرنسية التونسية وتأثرها فى العربية نقلا وترجمة .

---

(١) من منشورات الحلقة اللغوية لمدينة نيويورك (Languistic circle of New york) (وطبع طبعة زيد فيها فى مدينة لاهاى سنة ١٩٦٢

(٢) ورسم الكتاب بـ (Le Langage) فى سلسلة دائرة معارف بلياد (Encyclopédie de Pléide)

(٣) من بحث للأستاذ صالح الفرماوى موسوم بـ « الترجمة من حيث عامل هام من عوامل العدوى اللغوية»

يقول الفرنسي : (Je n'ai plus faim) يعرفها العربي في الشمالي الإفريقي والعربي في المشرق فيتأثر بها وهو يدرج في كلامه الشفوي أو قل : وهو يكتب فيقول :

« لم يعد عندي جوع » .

وهذه ترجمة حرفية ، ولو قال : شبعت لكان أوفى لعربيته . ومن المعلوم أن للشعوب طرائق خاصة في الإعراب عن المعاني والأعراض فقد يكتفي الشرقي المسلم في هذه الحالة بقوله : الحمد لله، بعد الانتهاء من تناول الطعام ، كناية عن اكتفائه وشبعه .

غير أن قول القائل : لم يعد عندي جوع تشبه . ما نسمعه في ديار المشرق العربي من قولهم : « عندي جوع » ، وهذا نظير قول التونسي : لم يعد عندي جوع وهو فرق مابين الإثبات والنفي . ولا أشك في أن تكون هذه العبارة المشرقية قد جاءتنا ترجمة حرفية لاستعمال إنكليزي ثم فرنسي .

ومن المفيد أن آخذ شيئاً من تجربة تونسية أشار إليها الأستاذ صالح القرمادي في البحث الذي نوهنا به قبل قليل .

جاء في البحث المشار إليه : « ومثل ذلك يقال في المثالين التاليين وقد اخترناهما من نصوص قمنا بترجمتها شخصياً :

١ ـ النص الفرنسي :
(Je Préfère la montagne à la mer).

الترجمات العربية :

١ ـ أفضل الجبل على البحر . وهي ترجمة حرفية .

٢ ـ الجبل عندي أفضل من البحر . وهو تحوير أو تكييف .

٣ ـ وللجبل خير لي من البحر وأبقى . وهو تعديل منسوج على منوال الأسلوب القرآني .

٢ ـ النص الفرنسي[1] :
(Le gros rouge qui détache).

الترجمات العربية :

١ ـ الأحمر الغليظ الذي يفصل . وهو ترجمة حرفية سمجة .

٢ ـ الخمر الحمراء المبتذلة التي لاتبقّع الثياب بل يبقع رأس صاحبها إلى حيث

---

(١) قارن بين مختلف كيفيات أداء نفس المعنى وهو الصداع في اللغات الآتية :
مثلا في العربية الفصيحة : برأسي ألم . وفي العربية التونسية : رأسي يوجع في .
وفي الفرنسية : (J'ai mal à la tête) . وفي الانكليزية : (Ihave a headache)
وفي الأسبانية : (me duele la Cabeza) . وفي الروسية : (Golova mnie bobit)

لاندرى وهذه ترجمة فيها شيء من التكلف والإفراط فى التحليل لا محالة . إلا أنها تدل على توفق المترجم مبدئياً إلى العثور على مرادف غربى للتورية الفرنسية الموحى بها فى عبارة (detache) المقلوب عن (tache) ، وهذا المرادف هو بقّع وأبقّع .

ولئن كانت هذه الإمكانيات المتعددة فى نوع درجات الترجمة من لغة إلى أخرى ناتجة عن اختلاف الثقافات فى العالم فإن مردّها الأساسى من حيث علم الألسنة إلى أن كل لغة يصنف أصحابها التجربة البشرية تصنيفاً خاصاً ، كما ذهب إلى ذلك العالم الألسنى الفرنسى « اندرى مارتينى » (André Martinet).(١)

وقد تأثرت اللغة الإعلامية الممثلة بالإعلان المذاع ، ومايكتب فى اللوحات أو قطع القماش أو فى الجدران مما يراد به الإعلان والدعوة لشيء من الأشياء .

ومن هذا ماسمعت من إحدى الإذاعات العربية أن المذيع يتلو جملة هى :

« آخر صيحة فى عالم الساعات » وهو يقابل فى عبارته ما تذيعه الإذاعة نفسها فى اللغة الفرنسية وهى :

(Dernier cri dans le mondé des montres)

وإذا عرفنا أن هذه اللغة الجديدة تجاوزت حدودها فليست هى مقصورة على اللغة السائرة الدارجة مما يدخل فى الإعلان والتجارة والخبر السياسى والفائدة الاقتصادية ، إنما وجدت سبيلها إلى لغة الجد فى المادة الأدبية وسائر ألوان النشاط الفكرى . وحسبك أن تعلم أن عبارة :

الأكثرية الساحقة :

La majorité écrasante

قد وردت فى فتوى دينية لأحد العلماء والأعلام من المراجع الدينية . وهذا يعنى أن اللغة المترجمة مما ندعوه بـ « المولد الجديد » قد شاع شيوعاً تاماً حتى خيل لكثير من الناس أنه مادة عربية . ومن أجل ذلك استعمله هؤلاء المفكرون الكبار من غير أن يشعروا أنه مولد جديد لا تعرفه العربية الفصيحة . ولم يتساءل هؤلاء كيف توصف « الأكثرية » بـ « الساحقة » ؟ ومن أولئك الذين تسحقهم الأكثرية ؟ وأكبر الظن أن هؤلاء لم يخطر فى أذهانهم أن العبارة اجتلبت من بلد يحكمه نظام يقوم على المجلس النيابى الذى تكون فيه « أكثرية » « وأقلية » .

ومن المفيد أن أقف على هذه الأبنية المختومة بياء النسبة مع تاء التأنيث . لقد وجدوا أن الكلمة الأجنبية مؤنثة (Majorité) فكيف يكون المقابل العربى مساوياً فى التأنيث للكلمة الأعجمية ، فلم يكن منهم إلا أن يفزعوا إلى هذه الصيغة المنسوبة المؤنثة .

---

(١) بحث الاستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه . وهو غير منشور ولكنه أعد ليلقى بندوة علمية .

وقد شاعت فى الحقبة الأخيرة ألفاظ منسوبة ثقيلة مثل المدة « الأصغرية » والاتفاقيـة « التصفوية » و « البرامج التنموية » والاتفاقية « النووية » .

وشيوع هذه الألفاظ المنسوبة دليل على غياب الشعور بالفصاحة والقرب من العجمة ذلك أن هؤلاء المعربين لم يشعروا أن أسلوب الإضافة يؤدى ما تؤديه هذه النعوت المنسوبة الثقيلة . ألا ترى أن قولنا : اتفاقية التسوية أو التصفية ، وبرامج التنمية أخف لفظاً وأرشق عبارة من الاتفاقية النووية أو التصفوية .

لقد اضطر المعربون فى مطلع هذا القرن إلى أن يستعملوا هذا الأسلوب فى قولهم : الأنظمة التربوية وعلم النفس التربوى .

ولعل هذا قد كان بسبب من الترجمة الحرفية المقيتة . أما المدة « الأصغرية » فتلك طامة « كبرى » وهى إن دلت على شىء فإنما دلالتها عجمة مستحكمة ، فقد جهل الناطقون بالعربية أن الصفة « الصغرى » التى تترشح للتفضيل أحياناً تغنى عن هذه « الأصغرية» القبيحة .

ومن هذه الأساليب الجديدة قولهم فى العربية :

« لتغطية حاجاتنا » وهذا ليس من العربية فى شىء بل هو ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية

(Pour la couverture de nos besoins).

ولقد شاعت هذه « التغطية » حتى صارت شيئاً لابد أن تجد فى كثير مما يكتب فى الصحف .

يقال مثلا : « لقد كلف فلان بتغطية وقائع المؤتمر » ويريدون ضبط الوقائع والإخبار عنها ولو أن احداً كان قد سمع هذه العبارة قبل مايقرب من ربع قرن لفهم عكس ما يراد فهمه منها فى هذه الأيام . أن « تغطية » الشىء فى العربية تعنى حجبه وإخفاءه فكيف كان العكس فى لغة عصرنا هذا ؟ هذا ما لا نريده لهذه العربية مع إقرارنا بالحاجة إلى تطويرها وتطويعها لحاقاً بما عند الأمم الأخرى .

ولعل أقطار الشمالى الإفريقى قد عرفت من أمثلة هذه الرطانة شيئاً كثيراً نلمحه فى أسماء المتاجر والمقاهى وغيرها من المحلات العامة . أنك تقرأ مثلا فى واجهة إحدى المقاهى فى مدينة الجزائر :

مقهى النهاية، وهو من غير شك ترجمة لاسم مقهى بالفرنسية هو :
(Café Terminus).

والاسم بالفرنسية يعنى «النهاية» أى نهاية الشارع أو نهاية الخط الذى ينتهى إليه القطار أو الحافلة .

غير أن ترجمة الكلمة الفرنسية (Terminus) إلى كلمة (النهاية) بالعربية ذات إيحاءات مفزعة لانحسها فى الكلمة الفرنسية .

وقد يتسمح غير المعنيين باللغة والكتابة الأدبية والعلمية من التجار والصناع وأصحاب المصالح العامة بالمادة اللغوية فيبيحون لأنفسهم ما لا يتقبله أهل الجد والعلم . ومن ذلك ما وجدته فى بحث الأستاذ جان بول فينى[1] (J.P. Vinay) الذى أشرنا إليه من أنه وجد فى « كندا » الفرنسية إعلاناً يدعو الناس إلى التوفير والادخار فيعبر عن « الادخار » بأنه :

(Passe Port pour une meilleur vie) .

وهو ترجمة للنص الانكليزى :

(Passport to better Living).

وقد يتجاوز هذا الدخيل مسألة الألفاظ والتعابير إلى الأصوات والأبنية وشيئاً من النحو كما سنتبين :

التداخل الصوتى :

من غير شك أن الأصوات العربية تفتقر إلى أصوات لانجدها فى عدتها كالأصوات اللاتينية : (V.P.G.) . ولقد امتحن المتقدمون بهذه المواد فاختاروا لها الفاء لـ (P) والواو (V) والغين لـ (G) ولكنهم لم يثبتوا على هذا المتعارف المشهور . وكان الحق أن يكون فى العربية القديمة التى وصلت إلينا فى مواد الشعر الجاهلى ولغة التنزيل العزيز والتى خلت من هذه الأصوات ، هذه الأصوات المشار إليها ذلك أنها أصوات عرفتها اللغات السامية الأخرى . ومن غير شك أن اللهجات العربية القديمة قد عرفتها أيضا ولكن الفصيحة المشهورة قد تجاهلتها .

لا أريد أن أدخل فى علم الأصوات التاريخى للعربية ، ولكنى أستدرك فأقول إن العربية المعاصرة قد امتحنت بهذه الأصوات وهى تنقل الكلم الأعجمى أذكر أنى عرفت الشاعر الفرنسى (Victor Hugo) وأنا صغير قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية فى كتابه الشهير « البؤساء » ، فعرفت أن هذا الشاعر الكبير قد عرفه قراء العربية الذين لا يعرفون الفرنسية بأسماء عدة هى :

« هيجو ، هيكو ، هوجو ، هوكو ، هوغو ، هيغو » ومن المعلوم أن ليس بين هذه الكلم شىء يفصح عن النطق الفرنسى . أما (Victor) فكان بالفاء . وليس « الفاء » نظير الصوت (V) وأهل الأصوات يعرفون هذه الحقيقة الأولية . وقد نتجاوز هذا القدر من الأصوات الساكنة هذه (Consonnes) إلى الأصوات الصائتة أو المصوتة ولا أقول « العلة »[2] ويدخل فى هذا ما ندعوه فى العربية بـ « الحركات » .

---

(١) المرجع المذكور آنفاً (سلسلة دائرة معارف بلياد) .

(٢) أقول : إن مصطلح العلة مصطلح لايفى بالحقائق العلمية للأصوات اللينة « أصوات المد مع الحركات » وذلك لأن هذا المصطلح لا يتكفل بحقيقة هذه الأصوات وطبيعتها ومادتها وصفاتها وكيف تحدث بل يشير إلى أن هذه الأصوات لاتثبت فيعرض لها الابدال وهذه « علة » فيها ؛ أى أنها لاتساوى الأصوات الأخرى التى نسبوا إليها الصحة والسلامة .

ولنأخذ مثالا على ذلك نطق العلم المشهور الفرنسي « الجنرال ديغول » نسمع العربي ولا سيما في الشمالي الأفريقي ينطق هذا العلم المشهور وهو يعقب صوت الدال (d) بـ (e) وهي حركة وسطية نصف منغلقة وبالصوت (g) وهو صوت في أقصى الحنك شديد مجهور فرنسي لانعرفه في العربية الفصيحة وإن كنا نباشره في اللهجات العامية الدارجة .

وقد يكون هذا محدوداً بالنطق فلا يتجاوز الأمر إلى إحداث شيء مما ندعوه بـ « الفونيم » في علم الأصوات .

ومن التداخل مايتصل بالأبنية الصرفية الجديدة .

لقد شاع في اللغة المعاصرة ضرب من التركيب الذي يؤلف أبنية مركبة غريبة ليست من النحت الذي عرفته العربية كقولهم :

« انكلوساسون » وهو من
(Anglo — Saxon)

« افرو آسيوى » وهو من
(Afro — asiatique)

« هندو — أوربي » وهو من
(Indo — européen)

« الصناعات البترو — كماوية » وهو من
(Les Industries Pétro — Chimiques)

وكأن المعربين في عصرنا عاملوا هذه الأبنية معاملة عربية ، ومن أجل ذلك عوملت معاملة الكلم المنحوت فأنت تجد ياء النسبة في آخرها كقولهم : الصناعات البتروكماوية . واللغات الهنـد وأوربيـة وهكذا . .

ولنعرض لشيء آخر يتصل بالبناء الجديد في الجملة العربية ، ومن ذلك ما شاع من استعمال الكاف التي لا يراد بها التشبيه كأن يقال :

« هو كأستاذ » والمراد : هو من حيث كونه أستاذاً . وهذا من الفرنسية :
(I est comme professeur)

وقد يكون من سوء فهم الدلالة الصحيحة أن تأتي الترجمة أبعد ما تكون عن الأصل . ومن أمثلة ذلك الفعل (Connaitre) تترجم غالباً بالفعل « عرف » ولكنه يعني « عاني » وقاسى و « كابد » في قولهم مثلا :
(M. Nixon a connu toutes les étapes de cette dégradatio).

وكانت الترجمة العربية : « لقد عرف السيد نكسون كل مراحل هذا الانحطاط ».

وليس من مكان للفعل « عرف » في الجملة الفرنسية ذلك أن الفعل الفرنسي (Connaître) يعني من بين معانيه الكثيرة (eprouver) أي عاني وقاسى وليس « عرف » فإذا ترجمنا الفعل الفرنسي بـ « عرف » لم نحظ بالمعنى المراد .

ومثل هذا ما قرأته منذ زمن ليس بطويل : « أن مصر تعرف أزمة اقتصادية » والفعل

الفرد فى هذه الجملة هو (Connaitre) ولايعنى هذا « عرف » إنما يعنى « المعاناة » « والامتحان » .

مثال آخر[1] :

Après avoir resisté pied à pied aux requisitions,, qui Lui Parvenaient de la comission d'enquêt du Sénat et du Procureur spécial, épaississant le trouble autour de lui, il s'est declaré mercred,

الترجمة :

وبعد أن صمد تجاه الاستدعاءات التى توجهها إليه لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ والمدعى الخاص والتى تزيد فى شدة الحيرة والارتباك حوله أعلن يوم الأربعاء ...

قال الأستاذ صالح القرمادى :

« هنا ينبغى الإدلاء بعدة ملاحظات ، فمن الجدير أولا — وبالضد مما ذكرناه (كذا) من تداخل إلى حد الآن أن نلاحظ المجهود الذى قام به المترجم قصد اجتناب العدوى والتأثر بالفرنسية . ومن ذلك أنه قال : « لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ ..» ولم يقل لجنة التحقيق لمجلس الشيوخ (باستعمال حرف اللام (ل) مرادفا للحرف الفرنسى » (de) .

واستعمل المترجم : « تزيد فى شدة » مقابلا لـ (épaissir) . (وهذه الترجمة هى التوصل إلى المعنى) بطريقة غير مباشرة .

واستعمل المترجم : « الحيرة والارتباك» مقابلا لـ (trouble) واستعمال لفظتين مترادفتين موزونتين ومن خصائص اللغة العربية الفصحى القديمة المرموقة (كذا) . كما يجدر بنا ثانياً أن نلاحظ ما جاء فى هذه الفقرة من تأثر تركيب الجملة العربية بتركيب الجملة الفرنسية من ذلك استعمال جملة فرعية زمانية تبتدىء بـ « بعد أن » قبل الجملة الأصلية التى تبتدىء بالفعل « أعلن » وذلك رغم طول تلك الجملة الزمانية وتشعبها لاحتوائها على جملتين فرعيتين ثانويتين موصولتين (كذا) (التى .... التى ....)

وهذا الترتيب إنما هو من خصائص الجملة الفرنسية فى الأسلوب الأدبى ؛ وأما العربية الفصحى القديمة فقد كان الترتيب العادى فيها باستثناء الجمل الزمانية المبدوءة بـ « لما » أن يعكس الإنسان فيأتى بالجملة الأصلية ثم بالجمل الفرعية » .

انتهى كلام السيد صالح القرمادى .

أقول : إن الجملة فى ترتيبها كما ظهرت مترجمة متأثرة من غير شك بالترتيب الفرنسى فى الجملة الفرنسية . غير أن كلام السيد القرمادى فى ترتيب الجملة

---

(١) المثال مأخوذ من بحث الأستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه .

العربية الفصيحة وكيف تأتى الجملة الأصلية مبدوءاً بها ثم تأتى الجمل الفرعية غير سديد؛ وذلك لأن الجملة العربية تبدأ بما هو المراد فحيث أريد تعيين الذات بدئ بالاسم ، فإن أريد تعيين الحدث بدىء بالفعل ، فإن احتيج بيان المكان أو الظرف أو الحال الخاصة بدئ بالظرف أو الجار والمجرور أو نحو هذا . قال تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » وقد يتجاوز التداخل اللغوى فيحمل الضيم على شيء من خصائص النحو القديم ، ومن أمثلة الفصل بين المتضايفين كقول غير العارفين بفصيح العربية :

« سكرتير عام لجنة التنسيق » وهو من
(secrétaire général du comité de coordination)

كان الصحيح الفصيح أن يقال جرياً على سنن العربية : « سكرتير لجنة التنسيق العام » أو « السكرتير العام للجنة التنسيق » ؛ غير أن التأثر بالأسلوب الأجنبي جرّ المترجم إلى اتباع ما لا يجوز فى العربية :

ومثل هذا مسألة العطف على المضاف قبل المضاف إليه كأن يقال :

دراسة لغة وأدب العرب ....

وهذا يقابل فى الفرنسية :

Etude /de/ la /langue /et/ de /la littérature des Arabes

وكان الصحيح الفصيح أن يقال :

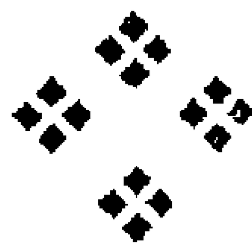
دراسة لغة العرب وأدبهم .

خاتمة :

هذه نماذج جد يسيرة كشفت عن أن العربية المعاصرة يتعاورها الدخيل والغريب حتى أحالها إلى شيء جديد . وهذه المظاهر تلقاها فى أنماط شتى من هذه اللغة فليست هى خاصة بـ « لغة الصحافة » بل تجاوزتها إلى لغة الصفوة من أهل الجد والعلم . ولا تعدم أن تجد فى لغة أهل الأدب والمعنيين بالعلوم اللغوية أشياء كثيرة منها .

وبعد أليس هذا هو « التغريب » ؟ بالغين المعجمة . لا « التعريب » ؟ وهل ترانا أسعد حظاً إن كنا نركن إلى «التعريب» ؟ وهذا التعريب ترجمة ونقل لأساليب غريبة بعضها شر لابد أن نطرحه جانباً ، وبعضه شر لابد منه ، وبين هذا وذاك منافع جمة لابد منها لحضارة معاصرة .

ابراهيم السامرائى
عضو المجمع المراسل من العراق



شخصيات مجمعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الخميس ٣٠ من الأول سنة ١٣٩٨ هـ (٩ من مارس سنة ١٩٧٨ م) أقام المجمع حفلا لاستقبال عضويه الجديدين : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن والدكتور حسن على ابراهيم .

وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

سيداتى ، سادتى :

من حسن حظ هذه الدار أنها تغذى كل عام بغذاء جديد ، وفى هذا الغذاء ما يبعث فيها نشاطاً وحياة ، ويمدها بعلم ومعرفة . ونصيبنا هذه المرة ثلاثة من الأعلام ، لم يستطع واحد منهم ، أداء لواجب فى الخارج أن يكون معنا ، وهو الدكتور سليمان حزين ، ونحن على موعد مع استقباله بعد مؤتمرنا السنوى . ويسعدنا أن نستقبل اليوم شيخين من شيوخ الأدب والعلم ، هما الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والدكتور حسن على إبراهيم .

وأولهما أديب وكاتب ، باحث ومؤلف ، ناثر وشاعر . وينضم دون نزاع إلى تلك السلسلة الذهبية من كبار الشعراء الذين نعم المجمع بهم ، واعتز بعضويتهم ، أمثال على الجارم ، وعباس العقاد ، وعزيز أباظة ، ومحمد بهجة الأثرى .

وثانيهما جراح كبير أولع بالشعر والأدب منذ صباه . وستسمعون اليوم إلى شيء من شعره وتقدرون قلمه ونثره : وهو واحد من عمداء الجراحة المعاصرين ولمجمعنا أيضاً ثروة قيمة من كبار الأطباء ، أسسها المرحوم على إبراهيم ، وهو دون نزاع العميد الأول للطب العربى المعاصر وهو والد زميلنا الجديد الذى نستقبله ، «ومن يشابه أبه فما ظلم» . ويلى الدكتور على إبراهيم من أطباء المجمع على حسب الترتيب الزمنى على توفيق شوشة ، ومحمد شرف ، وأحمد عمار ، ومحمد كامل حسين ، ورمسيس جرجس ، ومحمد أحمد سليمان . ويسجل اليوم عن جدارة الدكتور حسن إبراهيم فى هذه اللوحة الذهبية .

* * *

وباسم المجمع يستقبل الدكتور أحمد الحوفى زميله الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، ويأسف أنه لم يستطع أن يتولى ذلك بنفسه ، وتفضل الزميل الأستاذ محمد شوقى أمين فناب عنه . ويستقبل الدكتور أحمد عمار زميله الدكتور حسن إبراهيم .

والكلمة الآن للأستاذ شوقى أمين .

•• كلمة الدكتور أحمد محمـد الحـوفى

فى استقبال الأستـاذ



بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

إخوتى السادة أعضاء مجمع اللغة العربية :

سادتى :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد .

فقد اشترع المجمع شرعة حميدة أن يقدم أحد أعضائه العضو الجديد المنتخب ، تحية له من ناحية ، وتعريفاً كاملا به من ناحية ثانية .

وكان من قسمى الطيب أن أقدم اليوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن .

وإذا كان من حق اللآل أن يزهى بدرة نفيسة يقدمها ، فيصفها فى دقة وخبرة وأمانة مشيداً بمزاياها ، مباهياً بنفستها ، واثقاً من صدقه فيما يقول ، مطمئناً إلى أمانته فيما يصف فإن من حقى أن أنوه بنجم من نجوم مجتمعنا اللغوى الموقر أقدمه اليوم ، كما جرى العرف منذ إنشاء المجمع على أن يقدم العضو اللاحق عضو سابق .

وإلا فإن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ليس فى حاجة إلى تقديم ، لأنه ينطبق عليه المثل العربى القديم : لا يجهله إلا من لا يعرف القمر .

عرفته منذ آخر العقد الثالث من هذا القرن ، ونحن من طلاب مدرسة ثانوية خاصة اسمها تجهيزية دار العلوم ، كانت تعد لدار العلوم وحدها طلاباً يدرسون ما يدرسه طلبة المدارس الثانوية ، ويزيدون عليه سعة فى اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، ويحصلون بعد ثلاث سنوات على الكفاءة ، وبعد سنتين على البكالوريا ، ثم يلتحقون بالدار ، ألا ليت التجهيزية تعود ، ليتها تعود ، ليتها تعود .

كان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى السنة الخامسة ، وكنت فى السنة الأولى ، وسمعته يخطب مرات ، ويلقى شعره مرات ، فحبرت به وابتهجت ، ونبتت بيننا مودة منذ ذلك العهد .

ولقد أولاه السادة أعضاء المجمع ثقتهم ، ومنحوه أصواتهم ، فلما فاز تحفوا به ، وبشوا إليه وهشوا له ، وتهللوا بنجاحه .

والحق أن كثيراً منهم يعرفه باسمه وبانتاجه منذ نصف قرن تماماً ، ولا يستطيلن أحد هذا الزمن ، فان الأستاذ مد الله فى عمره ومتعه بمزيد من الصحة والنشاط مازال ريان من ماء الشباب ، ومازال متألق الفكر ، فتى القلب ، مشبوب الوجدان ، سخى القلم ، دثر العطاء جم الإنتاج .

ولعل كثيراً منكم يتذكرون أنه كان يسمى شاعر الأهرام لأن جريدة الأهرام كانت تعنى بنشر قصائده ، وتضفى عليه هذا اللقب :

وبشعره وبنثره تألق اسمه فى مصر وفى الأمة العربية ، وما زال يتألق .

لهذا أستبيح لنفسى أن أهنئه بثقة المجمع اللغوى ، وهى ثقة عزيزة المنال ، طالما هفت إليها أفئدة ، وطالما علقت بها آمال ، وأن أهنىء المجمع بانضمامه عضواً عاملا به ، راجياً أن يوفقه الله سبحانه وتعالى إلى بذل جهد مضاعف موصول ينضم إلى جهود زملائه القدامى والجدد ، لتنمية العربية الفصحى ، والحفاظ عليها ، وتطويرها ، ومسايرتها لركب العلوم والفنون والحضارة والابتكار . وأسارع فأطمئن الإخوة المجمعيين إلى أن زميلهم الجديد الذى أقدمه الآن يمزج ثقافته الفياضة وأدبه المتدفق بكثير من خلال الخير ، كالتواضع والدعة والمودة والمسارعة إلى إيثار الحق ، والشغف بالحقيقة أيا كان مصدرها يفعل هذا كله فى قناعة الواجد ، وتجريد الحاصد ، وأمانه الباحث ، وتواضع الزاهد .

وإنى لواثق أن مجمعنا الموقر يرحب بهذه الخلال التى تعطره بالهدوء ، وتعمره بالسكينة وتكفل للحق وحدة أن يعلو صوته يستعلن ويستقر .

(٢)

أيها السادة :

أرجو أن تأذنوا لى فى ذكر كلمة موجزة عن حياة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن وإنتاجه الأدبى .

١ ـ ولد الأستاذ بالمنصورة فى ١٩ أغسطس ١٩٠٧ وتخرج فى كلية دار العلوم سنة ١٩٣٢ ، وأوفد فى العام نفسه إلى جامعة اكستر بانجلترة لدراسة التربية وعلم النفس ولغتين شرقيتين ، وانتظم فى دراسة صيفية بجامعتى تور ، وبوانسون الفرنسيتين لدراسة الفرنسية وآدابها .

٢ ـ أما الوظائف التى شغلها فهى التدريس بالمدارس الثانوية وبكلية فكتوريا وبالمعهد العالى للتمثيل وكلية الشرطة ، وعين مديراً للاذاعة المدرسية ، ومفتشاً بالتعليم الثانوى والأجنبى ، ومديراً للنشر والدعاية بدار المعارف ، ومديراً لمؤسسة المطبوعات الحديثة ، ومديراً للنشر بالدار القومية .

٣ — وأما مؤلفاته فهى كثيرة متنوعة تجمعها كتب وبحوث :

(أ) فى مجال الدراسة الأدبية له : الشعر العربى فى المهجر ، معرض الأدب والتاريخ الإسلامى ، من أمثال العرب ، الخطب والمواعظ ، التراجم والسير ، الفلاح فى الأدب العربى ، فن الترجمة فى الأدب العربى دراسات فى الأدب العربى والتاريخ ، بين السطور ، جوانب مضيئة من الشعر العربى ، خمسة من شعراء الوطنية (باشتراك) .

(ب) فى السير والتراجم له :
حياة مى ، عبد الله فكرى حياته وعصره ، أحمد فارس الشدياق ، المقرى صاحب نفح الطيب ، مى أديبة الشرق والعروبة ، ابن الرومى ، تراجم عربية ، جرجى زيدان ، الشريف الإدريسى ، الشريف الرضى ، حسن العطار ، ابن سعيد المغربى ، موسى ابن نصير ، أبو مسلم الخراسانى ، بطل السند محمد بن القاسم .

(ج) فى تحقيق التراث :
حقق الكتب الآتية :
تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى ، حلبة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى ، الشيخ محمد عياد الطنطاوى للمستشرق أغناطيوس كرتشكوفسكى .

(د) فى التاريخ :
العرب صراع خلال العصور ، علم التاريخ عند العرب ، المعاهدات والمهادنات فى تاريخ العرب ، تيجان تهادت ، ملامح من المجتمع العربى ، غرائب من الرحلات .

(ه) فى الدراسات الإسلامية :
القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز ، الإسلام بين الإنصاف والجحود .

(و) فى الترجمة :
ترجم عن الإنجليزية :
كتاب المرأة والدولة فى فجر الإسلام للباحثة نابية أبوت ، رواية مون فليت مجموعة (أولادنا) .

(ز) فى الشعر .
له عدة دواوين :
من وراء الأفق ، من نبع الحياة ، من وحى النبوة ، ماض من العمر ، سائر على الدرب .

(ح) وللأستاذ مناح آخر من النشاط فى مجلات مصرية وفى مجلات عربية شتى .

ولهذا كله عين سنة ١٩٧٢ عضواً مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وحصل سنة ١٩٤٦ على وسام النيل من الطبقة الخامسة ، وحصل سنة ١٩٦٨ على وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ، ونال جائزة الدولة التشجيعية على كتابه فى فن السير والتراجم (أحمد فارس الشدياق) سنة ١٩٦٨

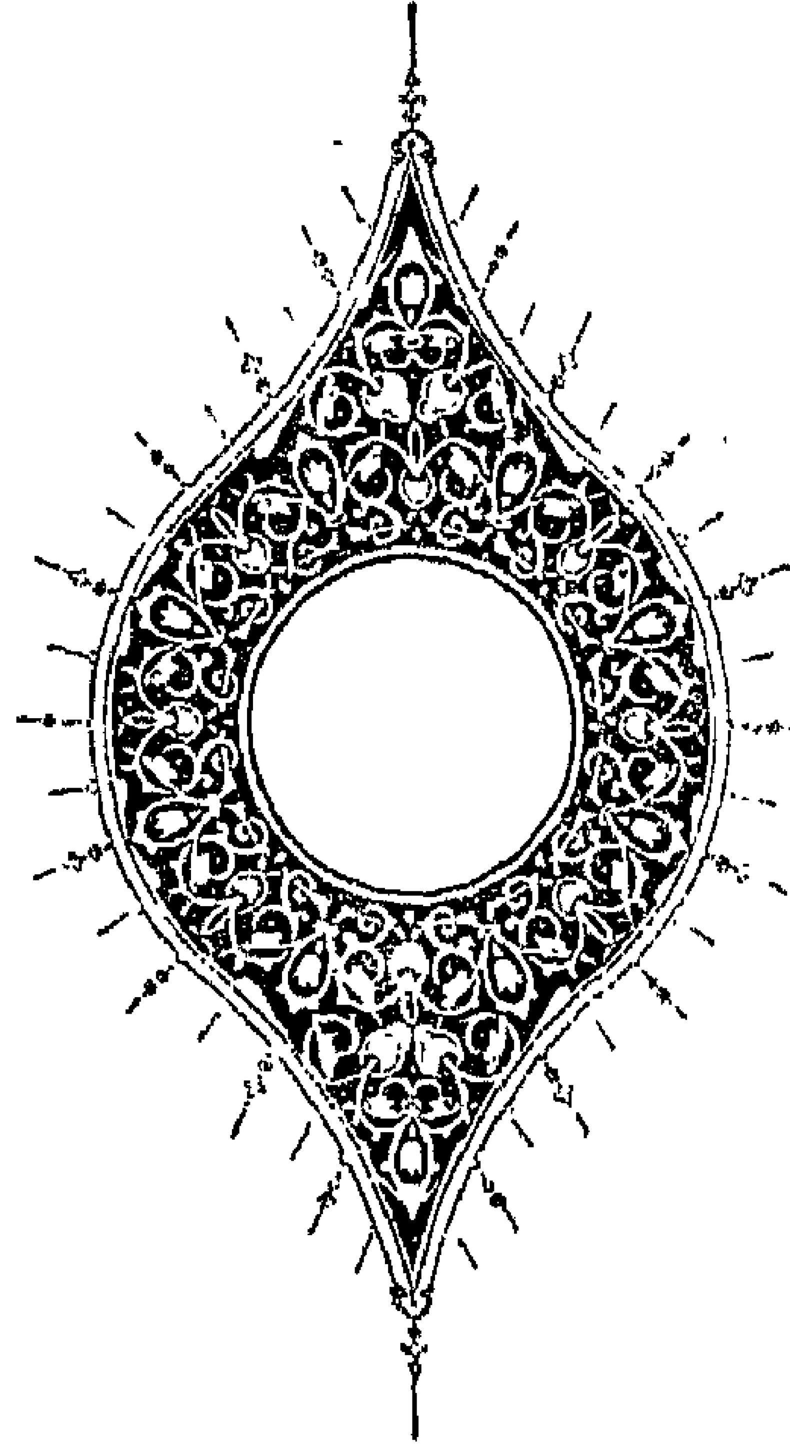
وفى سنة ١٩٧٧ نال وسام الرواد الأوائل للمعلمين فى عيد العلم .

أيها السادة :

أكرر تهنئتى للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وأكرر تهنئتى للمجمع اللغوى ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد الحوفى

عضو المجمع



كلمة الأستاذ محمد عبدالغنى حسن

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

حينما صرت بكم فى الخالدين

عدت من عمرى بآلاف السنين حينما صرت بكم فى الخالدين
لو يسمى الفوز يوماً صفقة كنت فى الصفقة خير الرابحين
أنا مذ آوى إلى قمتكم فأنا آوى إلى ركن ركين
قد تلقيتم جهادى بيد كل ما فيها على الحق أمين
خفت أنى لم أكن أهلا لكم فأرانى فضلكم كيف أكون
همت بين الشعر والنثر كما راح فى التهيام بعض العاشقين
فتنتنى (عبقر) يوماً .. وهل بعد وادى عبقر كان فتون ؟
وتنقلت على أعرافه سادراً ما بين شك ويقين
تارة أدنو ... وطوراً أرتقى بخيالى فى متاهات الظنون
وتوجهت إلى النثر .. على ما به من مركب صعب حرون
المطايا لم تعد لى ذللا والأمانى أصبحت وهى شجون
فحططت الرحل فيا بينكم واستقرت بى على الشط السفين
مذ طرقت الباب من نحو كو لم يجب صوت ، ولا امتدت يمين
هكذا قيل لنا عن شأنكم فى لقاء الطامحين الطارقين ... !
أيها الأشياخ من علمكم أن تصدوا الأسد عن باب العرين
عرب أنتم كرام .. إنما تتحرون الرجال القاصدين
ليس فى الباب لديكم مسرب لضعيف ، أو مجال لظنين
فليدق الباب مثنى وثلا ث ، ولا بأس بصبر الطائفين !
هذه الكعبة من يممها فليطف فى بابها بضع سنين !!
شهد الله لقد رشحنى عندكم خير الكرام الشاهدين

راح «عــلام» يزكى أدبى ... وهو فى معروفه غير ضنين
لم يزل يغمرنى من حبــــه ... بالذى يعيى لسـانى أن يبين
وانثنى «الحــوفىُّ» يحصى دأبى ... وهو فى الأحكام خير المنصفين
أحسنا ظنهما فى ناهــض ... بجناح هــو صنع المحسنين ..
لم يزالا بى فى السـعى إلى ... أن أتانى منـكم النصر المبين
مضيا يلتمسان الإذن لى ... عند أهــل الرأى خير الآذنين
وأفاءا بى إلى محـرابـكم ... فى خطا الواثق ذى العزم المكين
وهمـا كانا إليـكم سببى ... وعلى أيديهما اجتزت الحصون
فالتقى عزمهمـا فى عزمكم ... إنما الفضل إلى الفضل قرين ..
اغفروا لى إن تخطيت إلى ... بابكم أعرافكم فى القائلين
لم يضق بى النثر عن تحـديثكم ... فتخيرت لسـان الشاعرين
ليتنى أبلـغ من مرضـاتكم ... كل ما أرجوه من شعر رصين
لم تخنى لغــة النثر . . . . ولا ... عزنى فيها بيـان مستبين
كيف يعيى الشـعر أن يبلغكم ... بالذى فى النفس من معنى دفين؟
وهنا أحببت أن أطرفـكم ... بالذى فى الشعر من يسر ولين
وقفـة إنى طالل تفتننـا ... كيف لو كانت بباب الأربعين ؟
سـنة الدهر لدينا اجتمـعت ... والتقت فينـا عظات الواعظين
الكراسىُّ التى إنشـغلها ... لم تزل تشغرُ من حين لحين
فاسـأل المجمع عمن أمَّـه ... ثم أمسى فى سجل الراحلين
صور تأتى ، وتمضى صـور ... ولبانات لنـا ما ينقضين
لا تقل إنا تجاوزنا المـدى ... لا تقل إنا تخطينا السنين
ون الله بما فات . . . . فهل ... نحسن الظن بأيام بقـين ؟
لا تقل شيبتنا . . فما شاب الذى ... يقطع الليل عناقاً للمنون
نحن مازلنا شبابا ناهضا ... رغم ما فى الشيب من غمز العيون ! !
فاذا أعطت قلبـا نابضا ... كل شىء بعده سوف يهون

صاحب الكرسيّ قد خلفه		سلفاً ، أو قدوة للمقتدين
الفراغ الضخم من يملؤه		كم عروس أتخمت بالخاطبين ؟
(رفعة) كان لمصر رفعة		ومناراً واضحاً للسالكين
جمع الفضلين فى أعطافه		: شرف العلم ، وخلق العالمين
شهدت (أسيوط) منه مولداً		لم تهيئه قصور المترفين
كان للتاريخ تاريخاً حوى		بالعصاميّة قدر المعرقين
ليتنى أظفر من كرسيه		بالذى أوليتمونى من ظنون
ظنكم — والله — لن أخلفه		فلقد صدَّقتُ والله المعين
أيها المجمع شكراً ، حينما		كنت فينا أكرم المستقبلين
هكذا الزراع رفقاً بالجنى		وكذا الآباء لطفاً بالبنين . .

* * *

سيدى الرئيس . وسادتى الأفاضل :

حسبت أن الشعر بلغ منى أو بلغت منه ما وددت أن أقوله عن سلفى العظيم الأستاذ المؤرخ محمد رفعت رحمه الله . ولكن حين وفيت بشعرى المعانى التى تجيش بصدرى فى هذا المقام، تأكدت — كما تأكدتم — أننى لم أوف سلفى حقه ، ولم أجل جوانبه . وخشيت أن يكون فى ذلك جنف منى وحيف ليسا من طبعى ، على حين أردت أن أكون منصفاً ومقسطاً . وهنا قلت لنفسى : ماذا تقول عن محمد رفعت ، وقد تحدث عنه الزميل الدكتور أحمد بدوى يوم استقباله فألم به من أكثر جوانبه ، وتحدث عنه الزميل الأستاذ على النجدى ناصف يوم تأبينه فأحاط به فى أكثر مذاهبه . كما تحدث سلفى الغائب الحاضر نفسه عن نفسه يوم استقبلتموه ، فأظهر من ملامح صورته مازادها دقة وتفصيلا ، و أبان لكم فى حديث غير مملول كيف اختار التاريخ الحديث ميداناً لدراسته فى ليفربول على حين كان التاريخ المصرى القديم يغرى الطالب بأستاذ إنجليزى ذى سمعة عالمية ومكانة دولية . وصرح لنا رحمه الله أنه أشفق على نفسه من التوغل فى مسارب الظلمات وأودية الحدس والمجهول وقضاء العمر فى فك الرموز وحل الطلاسم . وكأنما تغاضى رحمه الله عن مجاهل التاريخ الحديث ومسمياته وتياراته وهى تحت أسماعنا وأبصارنا اليوم نراها ولا ينقضى منها عجبنا . على أن المؤرخ محمد رفعت حين أنس بالتاريخ الحديث وسهولة مأخذه ، وقرب تناوله لم يقطع صلته بالتاريخ القديم ولم ينسلخ من الماضى جملة . لقد ظهر ذلك فى كتابه : (التيارات السياسية فى حوض البحر الأبيض المتوسط) ، ففى تقديمه لهذا الكتاب صرح بأنه (بحوث

تستمد أصولها من التاريخ قديمه وحديثه) .
ولعل صلة محمد رفعت بالتاريخ القديم تتضح في « الأطلس التاريخي » الذي نشرته شركة مكملان بلندن سنة ١٩٢٦ يوم أن كان رحمه الله مدرساً للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا . فقد جمع فيه بين المواطن التاريخية والتغيرات الإقليمية ، ما بين قديم ومتوسط وحديث .

سادتي :

لا أريد أن أحد صورة سلفي محمد رفعت بتاريخ مولده ووفاته وما جرى بينهما ، في مراحل عمره الذي بورك له فيه . فبطاقة حياته حافلة بكل معلم بارز من معالم الطريق . ولا أظن وقتكم ووقتي يسمحان لي باجتياز هــذا الدرب مرحلة مرحلة فدون ذلك موانع تغلب الدوافع . ولكني حين صحبت سلفي العظيم في بعض ثنايا الطريق وبنياته ، أخذتني منه جوانب مشرقة . وأدع علمه وكتبه وجهوده في لجنتي التاريخ الحديث وألفاظ الحضارة هنا . وأدع آثاره في التعليم وفي المحاضرات وفي الوزارة التي أتته منقادة تجرر أذيالها . فلم يكن كل منهما إلا صالحاً لصاحبه . ولن أكرر فيه هنا ما قيل فيه استقبالا وترحيباً وتأبيناً وتوديعاً . فمجال ذلك كتاب برمته أرجو أن يعين الله وفياً على إنجازه . إلا أن جوانب من أخلاق سلفي محمد رفعت قد شدتني إليه أكثر من علمه وتاريخه ، فإن كنوز الدنيا كلها لا تعدل ما في ذرة واحدة من خلق كريم .

لقد شدني وجذب انتباهي إلى فراغه الذي لا يسد باقة من الوفاء والتواضع والاعتراف بالفضل لأهله ، والمضاء والتصميم ، والصبر والتسليم ، مع عفة في اللسان ، ونقاوة في الجنان ، وتجالل ذلك كله رجولة ظاهرة ومروءة نادرة .

لقد وقف في حفل استقباله هنا يوم ٦ مارس سنة ١٩٦٧ يتحدث عن سلفه المرحوم الدكتور أحمد البطراوي ، فلم يفته أن يعرج في وفاء نبيل على والده أستاذنا المرحوم الشيخ محمود البطراوي ، وكان أستاذاً له في مدرسة المعلمين العليا ، فأثنى عليه بالذي هو أهله . ولما قدم لأطلسه التاريخي المشهور لم يفته أن يقدم كلمة عرفان ووفاء لمن أعانه في هذا العمل ، بدءاً من الميجر «ساڤدج» إلى إخوانه وزملائه الذين ساعدوه في مراجعة الخرائط ، وعمل الفهرس .

وأشهد أني بلوته في وزارة المعارف يوم أن كان له فيها رأي متبوع ، وصوت مسموع ، فما لقيت منه إلا خيراً ، على حين لم يسعفني حظي بما كنت أرجوه وما كان يرجوه لي . فإن الذي انبسط لي من أسباب بره ، عزاني عما فاتني من درك المأمول . . .

وإذا كانت مجموعة الأخلاق الكريمة التي تحلى بها سلفي محمد رفعت تستمد أصولها من تدينه ودينه ، ومن علمه ويقينه ، فإن ذلك النبع الروحي الذي استقى منه شيخنا قد بدا على عذوبته وصفائه فيما كان يعالجه من بحوث

تاريخية . وقد تجلى ذلك فى بحوثه الرائعة حول الإطار التاريخى لبعض آيات القرآن الكريم « فقد كان كل بحث منها يظفر بتعليق كريم ، من أحد الزملاء الكرام » . . .

ولا أنسى ما علق به الزميل الأستاذ محمد بهجت الأثرى من تأكيد للمدح بما يشبه الذم — على طريقة البديعين — حين قال : (إذا كان هناك من عيب فى هذا البحث الجليل فهو أنه جمع المحاسن كلها فكراً وروحاً وتعبيراً) .

ولا أنسى كذلك ما علق به الزميل المرحوم الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد حين قال عن ثانى بحوثه : (ومما لا شك فيه أن هذه المحاضرة قيمة ، وأن أبدع ما فيها أنها تدل على أن صاحبها مؤمن إيماناً صالحاً ، كما آمن السلف الصالح فى هذه الأمة) .

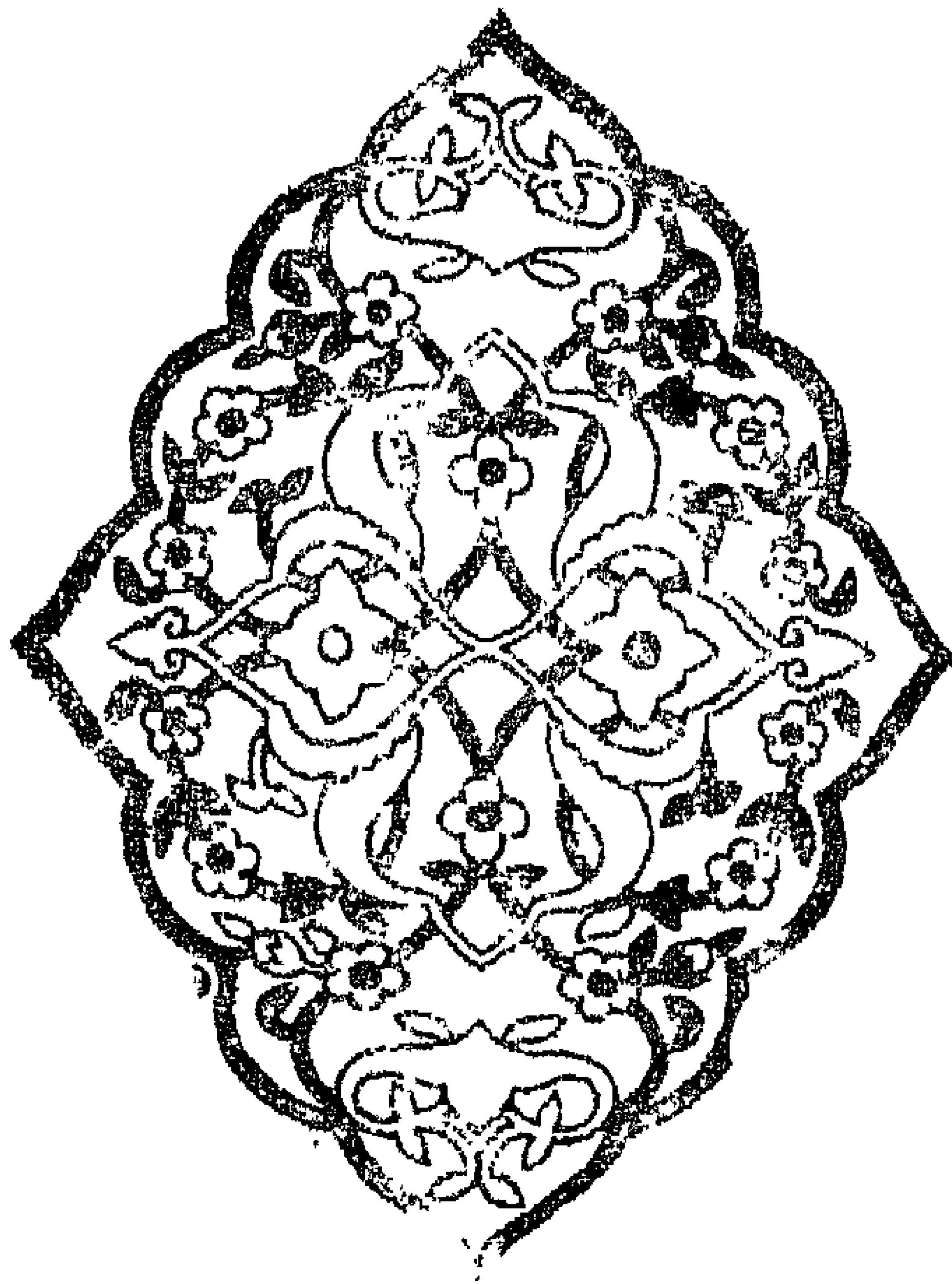
سيدى الرئيس : سادتى :

لقد اجتمع فى سلفى المؤرخ محمد رفعت من العلم والدين والخلق ما أوجب له المزية علينا ، والتقدم فينا ، والإشارة منا ، وما جعل كرسيه الضخم ، ومقعده الطاهر أمانة وأمنية يناط بهما الرجاء ، وسماء ما طاولتها سماء :

أمـــانة أسلمتموها لنـــا
أقدرنا الله على حملهـــا
إلا نكن أهلا لهـــا فلنكن
كما أراد الله من أهلهـــا

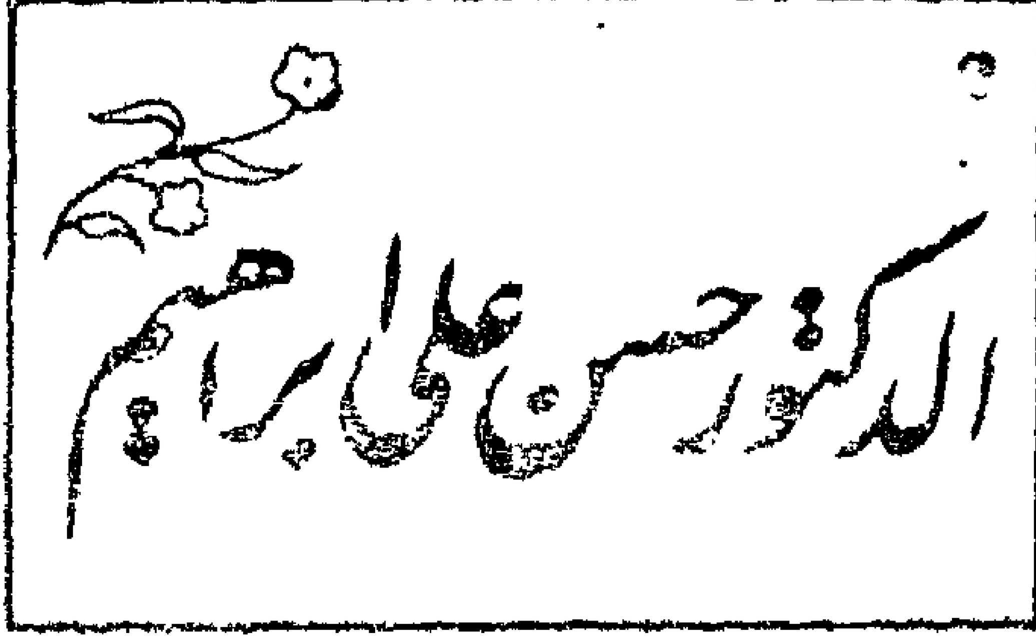
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



كلمة الدكتور أحمد عمار

فى استقبال



الأستاذ الرئيس

الزملاء الأعزاء

السادة الفضلاء :

الآن ونحن نحتفى باستقبال زميل جديد ، هو العالم الطبيب الأديب ، الدكتور حسن على إبراهيم ، أحس أعمق إحساس بأننا تحيط بنا هالة متوهجة ، فى أعطافها نفحات ، عطرة من ذكريات غالية باقية ، ذكريات رجل عظيم من رجالات المجمع ، ودع المجمع منذ ثلاثين سنة ، وما برح ملء القلوب والأسماع والأبصار . ذلكم هو المغفور له الدكتور على إبراهيم ، والد الزميل الجديد ، ونابغة الجراحة الأكبر فى قومه وفى عصره إذ تسنم منها ذروة عالمية تتطاول إليها الأعناق ، وقلما يرقى إليها راق ، حتى لقد حق له ما قاله فيه أمير الشعراء شوقى :

سلاحك من أدوات الحيـــاة
وكل سلاح أداة العطب

ولا يتسع مقامى هذا لتعداد ما كان له من أمجاد ، وحسبى أن أقتصر منها على أغراض المجمع وأعماله . فالتاريخ يسجل للدكتور على إبراهيم أنه كان منذ مطالع هذا القرن أحد الرواد الذين هدفوا إلى إحياء لغة الطب العربية ، واتخذوا شتى الوسائل لتحقيق التفاهم بالعربية بين الأطباء العرب . فهو منشىء المجلة الطبية المصرية منذ ستين سنة ، وهو داعى الدعاة إلى إنشاء اللجنة المركزية لتوحيد المصطلحات الطبية فى ظل المجمع بعد إنشائه بقليل من السنين . وهو الذى استمسك بأن يكون فى طليعة برامج المؤتمرات الطبية موضوع المصطلحات الطبية وتوحيدها بين الناطقين بالضاد .

ولقد كان الرجل ، على وفرة ما بين يديه من المهام ، متعدد أوجه النشاط فى مناحى الإصلاح ، نهاضاً بالعظائم فيها على بصيرة وهدى . وكان عظيم الثقة بمستقبل الحضارة العربيــة ، حريصاً على وصلها فى غدها المرموق بماضيها المجيد ، وبخاصة فى ميدان الطب . وكان يؤمن عن بينة بأن العربيــة قادرة على أن تستوعب من جديد عــلم الطب ما استوعبت من قديمه ، حين كان

الطب العربى نبراساً للتقدم الطبى فى عصر النهضة الحديثة فى العالم المتحضر .

وها هو المجمع يستقبل اليوم كابرا عن كابر . يستقبل الدكتور حسن على إبراهيم . وهو ثمرة ناضجة يانعة من ثمار أبيه . نسبا وعلماً ونبوغاً . ولا أقول إنه ورث عن أبيه خصائصه وفضائله وراثة منحة وهبة ، بل أقول إنه بجانب ذلك اكتسبها اكتسابا بفطنته ويقظته فى حياة أبيه ، ثم اتخذ منها على مد العمر مثلا رفيعاً يسمو إليه فى دؤوب واقتدار .

أيها السادة :

ولد الدكتور حسن على إبراهيم فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩١٤ ، وتخرج فى كلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧ ، ظافرا بالأولية بين زملائه ، ونال إجازة الماجستير المعادلة للدكتوراه فى ذلك الحين سنة ١٩٤١ . ثم نال زمالة كلية الجراحين الملكية فى انجلترا سنة ١٩٤٦ ، ومنحته هذه الكلية لقب أستاذية هنتر على بحث فى سرطان المثانة الناشىء عن البلهارسيا سنة ١٩٤٧ ، وهو أول جراح غير بريطانى يمنح هذا اللقب وتدرج فى مناصب هيئة التدريس فى كلية الطب بجامعة القاهرة ، حتى عين أستاذاً للجراحة التجريبية سنة ١٩٦٢ . ثم عين عميداً للكلية فى سنة ١٩٧١ . فلما أصبحت العمادة بالانتخاب ، انتخب عميداً سنة ١٩٧٢ ، فلما بلغ السن القانونية للمعاش سنة ١٩٧٤ عين أستاذاً متفرغاً للجراحة ، ومازال يشغل هذا المنصب حتى اليوم .

وفى مقدمة الأعمال الإنشائية التى عنى بالقيام بها إنشاؤه قسم الجراحة التجريبية ، على النمط القائم فى كليات الطب المتقدمة فى العالم ، وتزويده إياه بما يلزم لإجراء التجارب . بحيث أتاح له أن يضطلع بعمل رائد فى تطوير وسائل الدراسة والعلاج . وفى مجال الممارسة العملية ، كان أول جراح يقوم بجراحات ناجحة فى القلب ، شجعت غيره على خوض هذا المجال . كذلك قام بعدد كبير من جراحات قرحة المعدة ، وأجرى تعديلا فى عملية استئصالها . وله نظريات فى تليف التامور وتليف الكبد الناتج من البلهارسيا ، نال عليها جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٥٩ . وأشرف على جملة من رسائل الدكتوراه ، فيها الجديد من الدراسات وفيها الإضافة للبحث العلمى الأصيل .

وعلى الصعيد المصرى لم يقتصر نشاطه على كلية الطب بجامعة القاهرة ، فقد أشرف على قسم الجراحة بكلية طب أسيوط ، وظل ينتقل إليها ثلاث سنوات . ثم أشرف بعد ذلك على قسم الجراحة بكلية طب المنصورة . وفى أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اشترك فيها طبيباً مكلفاً بالجيش ، ونال نوط الجدارة تقديراً لخدماته . كذلك اشترك فى عضوية مجالس

الإدارة للجمعية الطبية المصرية ، وجمعية الجراحين المصرية ، وجمعية الإسعاف ، وجمعية الهلال الأحمر المصرية ، والجمعية الخيرية الإسلامية :

وعلى الصعيد العربي والأفريقي لبى الدعوة إلى اليمن فى أثناء الحرب هناك . وحضر مؤتمرين بكليات الطب فى الكاميرون : ودعى مرات إلى المملكة العربية السعودية لإجراء عمليات جراحية وإلقاء محاضرات : ومنذ سنة ١٩٤١ إلى اليوم تابع حضور المؤتمرات والندوات الطبية العربية فى أسوان والإسكندرية وبغداد والكويت وغيرها .

أما نشاطه على الصعيد العالمى ، فقد عمل أستاذاً للجراحة فى جامعة فيينا ، وفى مستشفى نيكر بباريس . وعمل عشر سنوات ممثلا إقليميا فى مصر لجمعية الجراحين الدولية التى مركزها بروكسل ودعى لإلقاء محاضرات فى كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ، وفى لوس أنجلوس ، وفى مستشفى الأكاديمية الطبية فى ألمانيا ، وزار كثيراً من المراكز الجراحية فى معظم أنحاء العالم ولا يكاد يخلو مؤتمر يشهده من بحث يقدمه أو محاضرة يلقيها .

وبين يدى وأنا أكتب هذه الكلمة قائمة تحوى جملة موفورة من البحوث انفرد باعدادها أو اشترك فيها . وكثير منها ازدانت به الصحف العلمية . وكلها تنطوى على نظريات وتجارب فى تطوير حالات الجراحة وعلاجها :

أبعد هذا أكون مبالغاً إذا وصفت الزميل الجديد بأنه طبيب نابغة . وعالم قدير ، وأنه لم يجتزى فى علمه وفى تجاربه بالممارسة الشخصية والمزاولة الميدانية ، بل لقد أسلف إلى الطب وأهله أيادى بيضاء تنير الطريق ، وتكشف الجديد ؟ وهل يجاوز الإنصاف من يصفه بأنه طبيب عالم عالمى بأدق ما يحمل هذا الوصف من دلالة ومعنى ؟

أيها السادة :

قلت فى صدر كلمتى إننا نحتفى باستقبال زميل جديد ، هو العالم الطبيب الأديب الدكتور حسن على إبراهيم . ولعل منكم من يسبق إلى فكره أنى عنيت حين وصفته بالأديب أنه أديب النفس وحقاً إن حظه من أدب النفس لحظ عظيم ، فقد شهدنا من شمائله دماثة طبع ، ونبالة صحبة ، وسخاوة مروءة ، ولكنى عنيت كذلك ما يعنيه الوصف بالأدب فى مدلوله المألوف . وإنه لعجب أن تنفسح جوانب شخصية العالم الطبيب للتعبير الأدبى عن هواتف الوجدان ، ومناجيات الأخيلة والأطياف بيد أن عالمنا الطبيب زاوج بين العلم والأدب ، ومازج بين الواقع والخيال . فهو شاعر عاطفى رقيق منذ ريق الشباب . فمن شعره فى مناجاة الحبيب :

تركت فؤادى رهينا لديك
وودعت حبى كأن لن أعود
وصرت أجوب بجسمى البلاد
ولكن قلبى عنى بعيد

تمر على الليالي دهوراً
وجسمي يذوب وعيني تجود
أحبك حبا لوان الحديد
تلقاه عنى لفل الحديد
فأنت الجمال وأنت الخيال
وأنت الحياة وأنت الخلود
تقولين حتى م هذا الهيام
أقول وحتى م هذا الصدود
ما الحب إلا نشيد الزما
ن نشيد قديم لعمرى جديد
تعالى للسعد فى ظله
تعالى نكن بعض هذا النشيد
بوعدى بررت وكنت الوفى
ووعدك هلا ذكرت الوعود

ومن شعره فى ذكرى الحب :

وطيف نور أتى ليلا يؤرقنى
ويبعث الحب بعد الموت أزمانا
قد مر بى طيفها ليلا فصيرنى
عبد الضياء أسير الحسن ولهانا
أحيي غراما بقلبي كان محتضراً
وشق عنه بسيف اللحظ أكفانا
هويتها وهي بنت العشر مندفعا
ثم افترقنا مع الأيام غلمانا
أضاء قلبي لهيب راح يخمده
سيل الزمان إذا ما سال هتانا
وقد توالت رياح البعد تطفئه
حتى خبا وكساه الدهر نسياناً
حتى التقينا ولكن بعد مرحلة
من الزمان بدار الأهل شباناً
فحن قلبي إلى الماضي ومثل لى
سحر الغرام سهام الحب ريحاناً
والحب نار إذا مارمت تصلية
أصلالك أو رمت موتاً كان معوانا

* * *

وقد ألف الأطباء أن يتلقوا من الشعراء تحايا الود وعرفان الجميل حين يقومون على علاجهم ، ولكن شاعرنا الطبيب يجرى جراحة للشاعر عماد عبد الحميد ثم يقوم هو بتحية مريضه شعراً فيقول :

عماد أنت للفصحى عماد
وللأدب الأصيل هدى وزاد

أيا من سار فى ركب القوافى
فذللها ودان له القياد

تحب الشعر موزونا مقفى
وكم شعر بلا نغم يعاد

عماد قد جرحتك غير باغ
وكم جرح به يصفو الوداد

أيها الزميل العزيز :

مرحباً بك عالماً طبيباً ، ومرحباً بك أديباً أريبا ، ولئن قصر قولى فى استقبالك بما أنت أهله ، إن قلوبنا لتستقبلك بما أنت له أهل من مشاعر الود والتكريم .

احمد عمار
نائب رئيس المجمع

كلمة الدكتور حسن على ابراهيم

سيدى رئيس المجمع سادتى الأعضاء سيداتى وسادتى :

لايسعنى إلا أن أتقدم إليكم بخالص الشكر إذ انتخبت لأكون عضواً فى هذا المجمع العظيم الموقر مجمع الخالدين وعلمت أن انتخابى كان عند أول تزكية وهذا يزيدنى فخراً وشرفاً ولكن بعد فرحتى الأولى إستولى على شعور شديد بالرهبة إذ كيف أجلس بينكم وأنتم أهل فضل وعلم تعرفون من أسرار اللغة مالا أعرف ويتسع علمكم الفياض دون أفاق بكثير ولكن الإنسان يتعلم من المهد إلى اللحد ولذلك سأكون بينكم دارساً مستفيداً ناهلا من فيضكم الذى لا ينضب وإن كان لى جهد فانه لن يتجاوز جهد المقل .

أيها السادة إنى إذ أحل اليوم بينكم محل سلف عظيم شاء الله أن يختاره لجواره وهو المرحوم الدكتور أحمد زكى أزداد رهبة فالبون بينى وبينه شاسع فضلا وعلماً وأدبا فكان رحمة الله رائداً فى علمه ورائداً فى مزج الأدب بالعلم فى رقة أسلوب وسلامة لغة وبيان رائع .

عرفت الدكتور أحمد زكى فى أوائل الثلاثينيات وعندما كنت طالباً بالسنة الإعدادية فى كلية الطب وكان يلقى محاضراته الشهيرة فى الكيمياء العضوية وكان علماً جديداً بالنسبة لنا وهو فرع جامد من فروع الكيمياء يصعب فهمه وتصوره والأشق إستيعاب معادلاته الطويلة المركبة ولكن الرجل بحسن إلقائه وسلاسة شرحه جعل من الصعب سهلا ومن المكروه . محبوباً مستساغاً فكنا نخرج من محاضراته وقد استوعبنا الموضوع استيعابا تاماً كما أعجبنى فيه أنه كان يفلسف العلم وبين حد العلم الغزير والفلسفة خيط رفيع وكان يرجع بكل شىء إلى مسبباته فى أسلوب جلى جذاب وفى تلك الفترة كان أستاذ القسم إنجليزيا وكان يلقى علينا محاضرات لا تفهم منها شيئاً ورأيته قزمــاً إذا قيس إلى الدكتــور أحمد زكى وكنت أعجب كيف يكون هذا العيى أستاذاً ولم لا يكون ذلك المارد المصرى أستاذاً ورئيساً للقسم ولكنها كانت الظروف التى مر بها هذا البلد والتى تعرفونها جميعاً والذى لاحظته أن الرجل كان لايخفى نفوره من سيطرة الأجانب على الجامعة فما كان لهم من هم إلا الحصول على مرتباتهم الضخمة دون العناية بانشاء جيل مصرى يكون نبراساً للعلم فى بلده بل إنه كان يقول ذلك علنا من وقت لآخر ويردف أن مصر يجب أن تنهض بسواعد أبنائها .

ولد المرحوم الدكتور أحمد زكى فى السويس عام ١٨٩٤ وتعلم . بمدارسها

ثم بمدرسة ثم عباس الإبتدائية فالتوفيقية الثانوية ثم حصل على دبلوم مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤ مع نخبة من الجهابذة أمثال عبد السلام الكردانى وفريد أبوحديد وغيرهم ممن كانوا أساطين النهضة العلمية والتعليمية الحديثة ثم عين مدرساً بالمدرسة السعيدية ولكن تعيينه ألغى .وأصبح بعد ذلك ناظراً لمدرسة وادى النيل الثانوية ثم استقال وسافر إلى إنجلترا للاستزادة من علم الكيمياء فحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى الكيمياء عام ١٩٢٤ ثم عمل باحثاً بجامعة مانشستر ثم عامين أمضاهما فى البحث العلمى بجامعة لندن حيث حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم وهى أرفع درجة علمية ولا تمنحها الجامعة إلا عن بحث أضاف جديداً إلى العلم ولما عاد إلى مصر عين أستاذاً مساعداً للكيمياء فى كلية العلوم وهناك عرفته كما أسلفت وتتلمذت عليه وإنى لفخور بذلك وبعد تركى الكلية بقليل انتخب الدكتور أحمد زكى وكيلا لها ثم عميداً باجماع الأصوات فقد طغى بعلمه وفضله على كل من سواه ثم كان أول مصرى يتولى منصب مدير مصلحة الكيمياء فى عام ١٩٣٦ كما أصبح سكرتيراً للمجلس الأعلى للبحوث وبعد عشر سنوات كان من مؤسسى الأكاديمية المصرية للعلوم وأختير وزيراً للشئون الاجتماعية عام ١٩٥٢ فمديراً لجامعة القاهرة بعد ذلك بعام كما تعلمون أيها السادة أنه أنتخب عضواً بهذا المجمع عام ١٩٤٦ ولم تتح لى فرصة مقابلته خلال إدارته للجامعة مع أنى كنت أستاذاً مساعداً ولو أنى كنت أسمع من زواره أنه كان دائم السؤال عنى وعن أخى الذى كان تلميذه أيضا .

كان الدكتور أحمد زكى غزير الإنتاج الذى يجمع بين العلم واللغة والأدب فضلا عن كتبه المشهورة مثل سلطة علمية وجمان دارك وبواتق وأنابيب وقصة الميكروب ومع الله فى السماء ومع الله فى الأرض وكان واسع النشاط فى نشر المقالات فمقالاته الممتعة فى مجلتى الرسالة والثقافة معروفة كذلك تحريره لمجلة العربى عدة سنين كما كتب كثيراً فى المجلات السائرة وكانت عناوين بعض مقالاته غريبة مثل « هل يحلم البق » و « هل تصاب البراغيث بالصداع » فتظن أول وهلة أن الرجل هازل وما أن تقرأ حتى تشعر أنك غصت معه إلى أعماق العلم فتراه يتكلم عن منشأ البق وكيف كانت له أجنحة ففقدها مع الزمن ثم عن تركيب الجهاز العصبى فى الحشرات ومدى إستجابته للمؤثرات الخارجية كل ذلك فى لغة عربية أصيلة جذابة فالرجل حقاً قد طوع اللغة للعلم الحديث وأثبت أنها صالحة للتعبير العلمى وفضله على النحت فى هذا المجمع وعلى اللغة العربية إعامة لاينكر لقد فقدت مصر فى أكتوبر عام ١٩٧٥ عالماً من أجل علمائها قل أن يجود

الزمن بمثله .وفى الواقع أن جامعة القاهرة التى رأسها رجال مثل لطفى السيد وعلى إبراهيم وأحمد زكى ومحمد كامل مرسى ومحمد مرسى أحمد وأحمد بدوى وعبد الوهاب مورو لها أن تفخر بأن تولاها أفذاذ من هذا العصر .

سادتى . . . ما أسرع ماتمر الأيام فمنذ أربعين سنة بالضبط أمسكت بالمبضع لأول مرة لأجرى عملية جراحية وكانت فتح خراج بالعيادة الخارجية بالقصر العينى وكانت العملية على بساطتها تحت إشراف مدرسى فما كان أن أقوم بعمل جراحى بمفردى وقد خيل لى أن حادثاً جللا قد وقع وأن المريض هالك لامحالة وكيف يحيا وقد سال دمه وتأوه وتوجع ولكن عجبى كان عظيما عندما حضر المريض فى اليوم التالى حياً معافى شاكراً وقد زالت آلامه ومنذ ذلك اليوم دخلت محراب الجراحة وأقولها محراباً لأن من أكثر الناس شعوراً بقربه من الله سبحانه وتعالى هو الجراح فى حجرة العمليات والمريض بين الحياة والموت هناك تشعر بارادة الحى القدير فلولاه ما شفى إنسان فترى مريضاً يموت مع أن الطب يقول إنه سيبرأ وتلقى مريضاً يبل والطب يقول أنه من الهالكين إن الله تعالى هو الذى يحيى ويميت وإليه ترجع الأمور ولقد قمت منذ ذلك اليوم المشهود بإجراء مايقرب من اثنتين وعشرين ألف عملية جراحية كان توفيقى فيها عظيما بفضله سبحانه وتعالى وما زلت مستمراً فى عملى وأدعو الله أن يهب لى الصحة والقوة فأستمر فى الجراحة التى هى حياتى إلى أن يشاء .

كان أكثر ماأثر فى نفسى من هذه الناحية اشتراكى فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فقد نقل إلى مستشفى الميدان صبيحة يوم ضابط مصاب وكانت إصابته جسيمة فقد كان به تهتك شديد بالامعاء والكبد وأبى صديق وفى له وهو المرحوم الرائد العديسى إلا أن يصحبه إلى المستشفى وكان شديد القلق عليه غير أن الضابط المصاب لم نتمكن من إنقاذه فقد مات قبل أن يصل إلى حجرة العمليات فظل يبكى يوماً كاملا ويقول فقدت خير صديق وفى فجر اليوم التالى تجددت المعارك وإذا بى أفاجأ حوالى الساعة الثانية صباحا بالعديسى منقولا إلى المستشفى مصابا إصابة بالغة حاولنا إنقاذه بكل مانملك من وسائل إلا أن الله اختاره إلى جواره بعد وصوله المستشفى بساعتين .

ما أكثف قناع المجهول ترى لو تكشف الغيب للمرحوم العديسى أكان يندب خله أم كان ينوح على نفسه ؟ شعرت بغصة وأخذت كلمات أبى العتاهية تدوى أذنى :

بين عينى كل حى
علم الموت يلوح
نح على نفسك يا مسكـ
ـين إن كنت تنوح

لتموتن وإن عمر
ت ماعمر نوح

وفى نوفمبر من نفس السنة نقلت إلى مستشفى القاعدة وهناك استقبلنا ضابطا طيارا مصابا باصابة جسيمة فقد أطلقت عليه طائرة إسرائيلية الرصاص وهو يهبط فى مطار العريش فكسرت الرصاصة ضلعه ومزقت الرئة وغشاء التامور حول القلب واستقرت فى جدار البطين الأيسر لقلبه وقد استطاع الطيار رغم آلامه أن يهبط بطائرته سالما وظهر من فحص الأشعة أن الرصاصة تتحرك مع نبضات القلب وحرت ماذا أفعل فلم أكن فتحت صدراً حتى ذلك الوقت ولم تكن معداتنا لذلك كاملة ولكنى كنت شابا تملؤنى الحماسة وحدثت نفسى أن هذا المصاب الذى قاوم تلك المحنة ووصل إلى المستشفى حياً هو شخص كتبت له الحياة وسوف تكتب له الحياة فقمت بعملية شق الصدر وعاودنى الخوف مرة أخرى فقد كانت الرصاصة تتحرك مع القلب وقد انغرست فى جداره ترى هل وراء الرصاصة ثقب يصل إلى تجويف القلب فإذا أزيلت حدث نزف قاتل ؟ ولكنى انتزعت الرصاصة فلم يحدث شيء واستمر القلب فى خفقانه الطبيعى وشفى المريض شفاء كاملا وعاد ليعمل فى سلاح الطيران ثم دخل السلك السياسى بعد ذلك وهو الآن يشغل أرقى المناصب وكانت هذه إرادة الله . كانت هذه أول عملية ناجحة من هذا النوع فى الشرق كله . إن نجاح هذه العملية جعلنى أمارس جراحة القلب لفترة من الزمن إلى أن وصل جراحونا الشبان الذين تخصصوا فى هذا النوع من بعثاتهم فى الخارج وكانوا خيراً منى بكثير .

لقد كان فضل والدى على عظيما فبعد تخرجى فى كلية الطب بقليل جعلنى مساعداً له فى عملياته فرأيت أمهر يدين سواء فى الشرق أو فى الغرب فقد طفت بعد ذلك معظم بلاد العالم ورأيت كبار الجراحين يعملون فلم أر أحدا فى مثل مهارته كما كان يجمع بين الجراحة والحكمة وكانت تجاربه فيضاً لا يغيض ونبعاً نهلت منه ولم يبخل على الرجل بشيء من علمه الغامر ولو أنه كان يقسو على كثيراً عندما أخطىء مما جعلنى أتجنب الزلل .

وفضل آخر للوالد على وهو مكتبته العظيمة فى منزله فقد كان أديباً ذواقة وكنت بطبعى محباً للأدب منذ صغرى فداومت على قراءة دواوين كبار الشعراء ومقامات الأقدمين وغيرها من كتب الأدب وقد بدأت أعالج الشعر وأنا تلميذ فى الرابعة الابتدائية ثم أصبت بصدمة شديدة عندما انتقد مدرس اللغة العربية ما كنت أظن أنه أحسن قصائدى نقداً لاذعاً مراً وكنت حينذاك طالباً بالمدرسة الخديوية كما كتبت القصص الطوال وما قدر لهذا العمل أن ينشر وأظن أن ذلك كان خيراً لقراء العربية على أية حال ولم تنشر لى إلا ثلاث قصص قصار هى « الرماد »

و«الشبح» و«صديقى» فى مجلتى التى كان يصدرها الأستاذ الصاوى وكنت فى ذلك الوقت طالباً فى كلية الطب ولم أسمع أى مديح فى قصصى بل قد قوبلت بكثير من النقد وقد توقفت المجلة عن الصدور بعد ذلك بقليل.

ولى قصة غرام بالفلك أيضاً حفزنى لها كتاب «النجوم فى مسالكها» ترجمة الدكتور عبد السلام الكردانى ثم طفقت أقرأ كثيراً من كتب الفلك بالانجليزية حتى تجلت لى عظمة هذا الكون الذى نعيش فيه وقدرة الخالق سبحانه وتعالى وكنت أذهب لأقضى الليالى الطوال فى مرصد حلوان مع صديقى الدكتور عبد الحميد سماحة نرصد النجوم ونتناقش فى العلم.

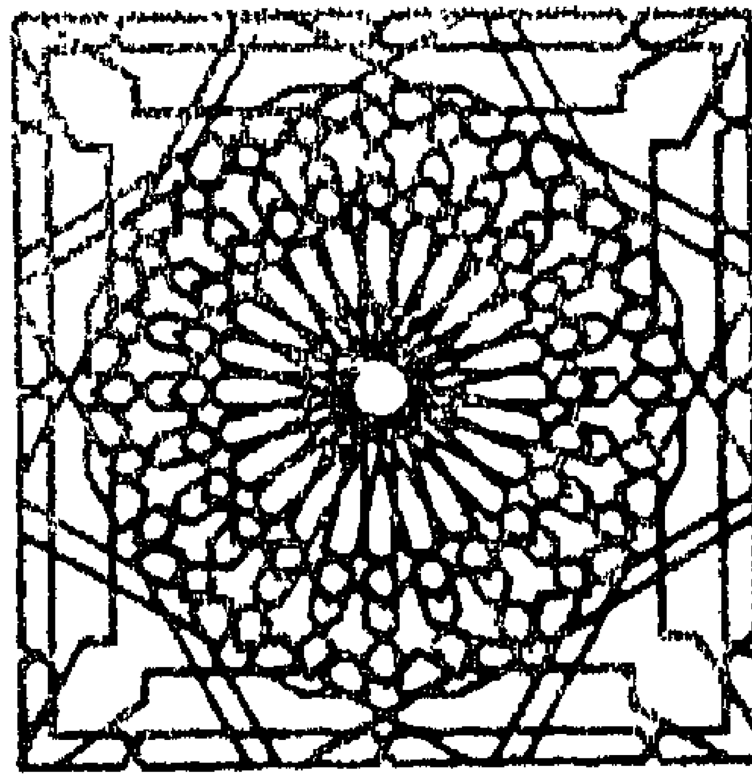
أيها السادة من الصعب أن يخرج إنسان من دوامة الجراحة متى دخل فيها وأتى على حين من الدهر كنت فيه أقوم بالعمل كاملا فى قسم الأستاذ الدكتور عبد الله الكاتب بعد تعيينه عميداً للكلية وفى نفس الوقت كنت جراح مستشفى الأطفال بالمنيرة وجراح مستشفى كتشنر بشبرا ومستشفى جامعة القاهرة بالجيزة بالإضافة إلى عيادتى ومستشفاى وعملى الخاص مضاف إلى ذلك تدريس الطلبة والامتحانات فكنت أجرى أكثر من عشر عمليات جراحية فى اليوم الواحد أحيانا وأفحص عشرات المرضى ولم يعد الا النزر اليسير من الوقت لمطالعة الأدب وتتبعه.

أما عن هذا المجمع الموقر فاليوم أخطو أولى خطواتى فيه وعلمى بما يدور فيه قليل ولو أن فضله على اللغة العربية والحفاظ عليها لاينكر وجهده فى التوسعة والنحت مما أفاد اللغة جهد ضخم مشكور وكل ماأرجوه كطبيب أن أستطيع أن أسهم ولو بالقليل فى هذا العمل الرائع.

أشكر لحضراتكم جميعا ثقتكم بى كما أقدم امتنانى للأستاذين الدكتور أحمد عمار والدكتور محمد سليمان لتزكيتهما لى وأرجو أن أكون عند حسن ظنهما وأشكر للأستاذ الدكتور أحمد عمار كريم إطرائه فى تقديمه إياى كما أتوجه بالشكر للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع.

أيها السادة أكرر لكم شكرى والسلام عليكم ورحمة الله.

للدكتور حسن على ابراهيم
عضو المجمع



تحية الشعر

للعضوين الجديدين

من الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس

سما بهم فضـــل وذكر جهيـــر — فنافســـوا فى الحالكات البـــدور
وازينت أحلامهـــــــم بالنهى — وأفعمت بالصالحـــات الصدور
مارافقـــوا الأيـــام إلا بمـــا — يهـــوى العلا من خالد أو أثير
نفائس زانوا بهـــــــا دهرهم — فزينـــوا بالدر رحـــب النحور
ما جاءهم مجمعهم خاطبـــــــا — إلا لأن الصدر يهوى الصـــدور
ممنــــــــع إلا على قمـــــــة — من دونها شم الذرى من (ثبير)
مارامه مستوفـــز عابـــــــر — فما العبور إلا (لأهل العبـــور)

* * *

يا شاعر الأهرام ترحيبـــــــة — من خالص الود وذوب الضمير
جاء بها عرف الصبـــا موهنـــا — واسترحلت رهوا جناح الأثير
بالشيح والقيصـــوم مألوكـــة — بعابق الروض ونفح الغديـــر
نجدية النشر سوى أنها — من (رَامة) من (لَعْلَع) من (حَصِير)
تطـــوى إليـــك البيـــد مختالة — يلفها بالدجـــن يوم مطـــير

* * *

يا (جاحظ) النثر و (سحبانه) — يا (شاعر الأهرام) بل يا (جرير)
أبقيـــت فى هـــذا وذا منبـــرا — كلاهما أصبحت فيـــه الأمير
إن جاءك التقديـــر يسعى فمـــا — يفوز بالتقدير إلا الجديــــــــر

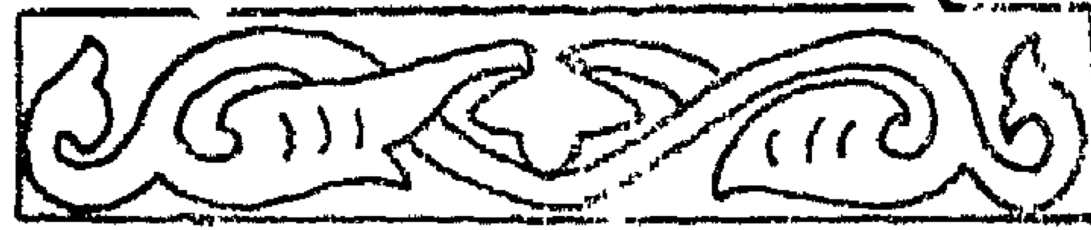
عبد الله بن محمد ابن خميس
عضو المجمع المراسل
من المملكة العربية السعودية
(الرياض)

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١١ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٨ هـ (١٩ من أبريل سنة ١٩٧٨ م) أقام المجمع حفل استقبال عضوه الجديد الدكتور سليمان حزين . وفيما يلي ما ألقى في الحفل من كلمات :

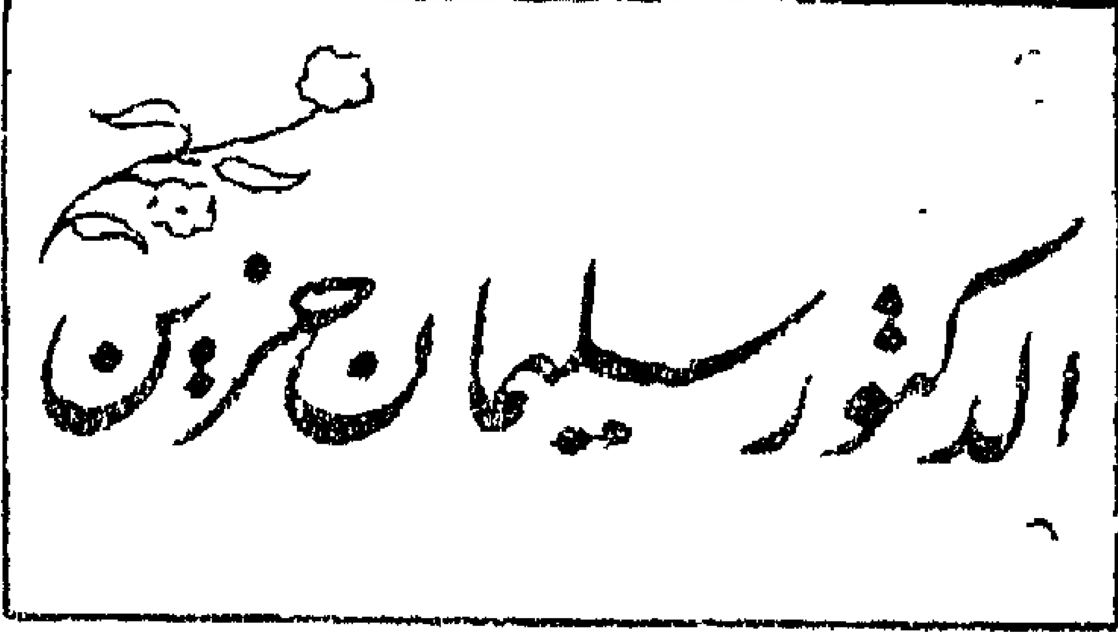
•• كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

أيها السادة نستقبل اليوم زميلا عزيزا وأخاً كريما هو الدكتور سليمان حزين، وصلة الزميل بالمجمع قديمة ووثيقة، فلقد كان له بين قدامى المجمعين أساتذة وأصدقاء أمثال طه حسين ، وزكي المهندس، وشفيق غربال ومحمد عوض . ودفعته هذه الصلة يوم أن تولى شئون وزارة الثقافة أن يستمسك بالمجمع ويرغب في ضمه إلى وزارته ، وكان مجمعنا منذ أن أنشيء ، كما تعلمون ، مرتبطاً بوزارة المعارف ثم بوزارة التربية والتعليم العالي ، وهو فيما يبدو إلى هذه أقرب ، وإن كانت شئون الثقافة تلتقي مع رسالته ولا تبعد عن مهمته ، وصارح زميل اليوم ووزير الأمس أصدقاءه من المجمعيين برغبته هذه ، آملا أن تتاح له فرصة لكي يخدم اللغة عن طريق مجمعها ، وأن يقف إلى جانب رجاله وهم سدنتها ، ولم يكن لدى المجمعيين حين ذاك أي شك في صدق هذه الرغبة وحرص مبديها على تحقيقها ، فاستجابوا لها ، وأشهد أنه في وزارته لم يرفض للمجمع طلبا ، ولم يختلف معه في رأي ، وكان يرجو إن أفسح له الوقت أن يعزز أجهزته ويدعم أركانه ، وهاهو ذا ينضم إلينا هنا في تحمل الرسالة والاضطلاع بالعبء ، وإنا لنرحب به الترحيب كله ونعول على إسهامه معنا تعويلا كبيرا .

ويستقبله باسم المجمع الزميل الدكتور محمد محمود الصياد عضو المجمع .



كلمة الدكتور محمد محمود الصياد



فى استقبال العضو الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الرئيس

الزملاء الأجلاء

سيداتى وسادتى :

لقد شرفنى المجمع الموقر ، مجمع الخالدين ، فندبنى لاستقبال نجم جديد يبزغ فى سمائه ، هو أستاذى الجليل وأخى الأكبر ، الدكتور سليمان أحمد حزين . وما أظن الأخ الصديق فى حاجة إلى من يقدمه لكم أو يعرفكم بمكانته وفضله ، فهو من هو :

فتى لا يضم القلب همسات قلبه
ولو ضمها قلب ، لما ضمها صدر

وهو فى طليعة العلماء ، لا فى مصر وحدها بل وفى أقطار الوطن العربى جميعا ، ولكنها سنة حميدة اختطها المجمع ، أن يرحب بالعضو الجديد ، أكثر الزملاء به صلة ، وأقربهم له مودة وانى لسعيد أن أكون ذلك الرجل وأن يكون الحديث عن الأخ القريب إلى القلب أشبه بالحديث عن النفس ، كلاهما يرغب عن الإطناب فيه ويستحى من الإفاضة ، فاعجز العجز وصف الرجل نفسه.

لقد سمعت باسم حزين منذ أربعين عاما ونيف ، وكنت آنذاك شابا ، أتلقى العلم فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، على يد أساتذة أعلام ، طيب الله ثراهم ، وأجزل فى الآخرة مثوبتهم . وقد توسموا فى شيئاً من الخير فحدبوا على ، وشملونى برعايتهم ، وكثيرا ما كانوا يشجعوننى بقولهم نريدك أن تكون صنو حزين فيتشغفنى أن أعرف من يكون حزين ، هـذا الذى يفخر به أساتذته ، ويودون أن يكون القدوة التى يحتذيها من يحبون من الطلاب ؟ فأعلم أنه طالب نابغة سبقنى فى التخرج بعشر سنوات وكان فى سنى دراسته مثالا للطالب الجاد الدؤوب ، الذى يرجى منه الخير ، ولهذا فقد بعثت به الجامعة إلى الخارج ليستكمل دراسته ويعود عضواً فى هيئة التدريس .

ويزيدنى مـا أسمعه من ثناء متعـدد المصادر ، شوقا إلى معرفة هذا المغترب فى طلاب العلم .

واستكبر الأخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر

أى والله ، فقد تضاءل الخبر بجانب الخبر ، إذ لم يمض وقت طويل ، حتى عاد

حزين من بعثته ظافراً بأرقى الدرجات العلمية، وعين مدرسا فى كلية الآداب التى تخرج فيها ، وعهد إليه بالتدريس فى صف كنت قد تخطيته ، ولكن توقى إلى معرفته يدفعنى إلى أن انفلت من صفى لأحضر بعضا من درس فلم أكد أستمع إليه لأول مرة ، حتى امتلأ قلبى إعجاباً به . وإكباراً له ، فقد عاد من الغرب وما قضؤ لسانه ، بل وجدت فيه عالماً طلق اللسان ، يتدفق تدفق الآذى ، بحديث لا تشوبه عجمة، ولا يشوهه لحن ، فتأكد باليقين ما كنت أسمعه من خبر ومر بخاطرى قول الشاعر :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح
فأنت الذى نثنى ، وفوق الذى نثنى

وبدأت معرفتى بحزين تتوطد منذ ذلك الحين ، أحضر من درسه ما ساعدنى الوقت على حضوره ، ولا تفوتنى رحلة ينظمها للطلاب دون أن أشترك فيها ، فأجد منه فى قاعة الدرس المعلم الملهم ، وأجد منه فى خارجها الأخ المرح الذى يحنو على إخوته الصغار ولايبخل عليهم بتشجيع ، ولا أنسى رحلة صحبته فيها إلى السودان ، وكان على رأسها ، ، فتعلمت منه كيف تساس الجماعة ، وكيف تكون نظرة الجغرافى إلى ماتقع عليه عينه من أشياء . وإن أنس فما أنسى احتفاءه بى يوم حصلت على درجتى الجامعية الأولى ، إذ دعانى إلى بيته ، وأهدانى مجموعة من الكتب الثمينة أحتفظ بها معتزاً وفخوراً .

كان من الطبيعى بعدئذ أن أتجه إليه ليشرف على رسالتى للماجستير ، خاصة وأنها تتناول الإقليم الذى ينتمى إليه، فرحب بى أجمل ترحيب ، ولكن لم تلبث الرياح أن أتت بما لاتشتهى السفن ، إذ ترك حزين الجامعة إلى حين ، لينشىء فى لندن معهداً ثقافيا ، وهكذا فاتتنى الفرصة التى تمنيتها ولكنه عاد إلى الوطن وقد تقدمت للامتحان ، فكان ثالث ثلاثة اختارتهم الجامعة لفحص رسالتى ومناقشتى فيها ، فلم يكن رفيقا بى كما كنت أتوقع بل كان أشد الثلاثة قسوةعلى حتى لقد ضاق صدرى به وبجدله ،وأعترف أن كان بى وقتها شىء من غرور الشباب فخرجت من الامتحان وقد ملأنى الغضب واشتد بى السخط ، ولكن الأيام علمتنى فيما بعد أنها كانت قسوة العالم الذى يريد من تلميذه أن ينشد الكمال، وألا يقنع بالدون، وأن يتجنب الغرور ، فهو آفة العلم ، وأس كل بلاء .

وتتوطد بيننا أواصر مودة تنمو مع مع الأيام ، فأعرف عن كثب جوانب من شخصيته الخيرة وما أنعم الله به عليه من مواهب كثيرة ، جعلته بين النابهين من رجال الأمة ، وألم بطرف من سيرته العطرة التى

زكاها المنشأ الطيب ، وشكلها العزم الصارم فى الدرس والتحصيل .

وله الأستاذ الجليل على ضفاف النيل فى مدينة وادى حلفا فى السنة السابعة بعد التسعمائه وألف ، حيث كان والده رحمه الله يعمل فى حقل التعليم ، ولم يلبث الأب أن عاد إلى قريته فى إقليم البحيرة ، مسقط رأسه ومقر عشيرته ، وعاد معه الصبى ليشدن فى ريف مصر الوديع بقرية الوفائية التى كانت تعرف « باليهودية » آنذاك ، ويلتحق بكتاب القرية فيحفظ على يد الشيخ عبد الله شيحة مايسر الله له أن يحفظ من القرآن الكريم ، ويتعلم قواعد العربية ، ويلم بطرف من علم الحساب ورحم الله أيام هذه الكتاتيب التى تنكر لها الزمان فقد كانت تنشىء تلاميذها على أسس من الخلق والدين ، وكان شيوخها رجالا على جانب من التقوى والصلاح ، يرون فى عملهم ضربا من العبادة يقربهم إلى الله زلفى ، وهم قانعون بما يسر الله لهم من عيش ، لا يسعون إلى ترقية ولا يتطلعون إلى منصب .

وكانت الأسرة تقدر لفتاها ، وقد لمست فيه النجابة ، أن يكون من علماء الأزهر الشريف فى يوم من الأيام ، ولكن الفتى يدخل امتحان الشهادة الابتدائية فيظفر بها متفوقاً ، ويتحول اتجاه طريقه فإذا به طالب بمدرسة طنطا الثانوية التى أحمل لها أنا نفسى أغلى ذكريات الصبى والشباب ، وفيها يلتقى بأساتذة فى اللغة علماء ، منهم الشيخ محمد هاشم عطية ، والشيخ أحمد خاطر فيزداد شغفا بلغة القرآن ، ويقبل على أدبها ، شعراً ونثراً ، فيحفظ منه الكثير ويحاول فى تلك السن الباكرة أن يكون شاعرا ، ولكن والده ينصحه بأن يحتفظ بشعره لنفسه ، فلا يرهق به الناس ، إذ وجده يقع فى الأسماع لا كما تقع أبيات الشعر ، بل يسقط سقوط البيوت على الرؤوس هكذا قال الوالد وهكذا ابتعد الفتى عن الشعر ومابه من علل .

وإنا لاندرى أكان من فضل الله على الفتى ، أم من فضله على الشعر أن قال أحدهما للآخر : هذا فراق بينى وبينك .

ولكن الفتى ، وإن كان قد هجر الشعر موزونا مقفى ، فقد اتجه بعد أن أنهى دراسته الثانوية إلى ميدان يسع الشعر كله ، وهو ميدان الجغرافية ، وما أنا فى هذا من المتعصبين فليس الشعر إلا جغرافية الخلجات والمشاعر ، ينسج الشاعر خيوطها ، ثم يضفى عليها من روحه ، فإذا بها صورة تخلب العقول ، وتدعى الأساطير أنها من وحى الشياطين ، وماهذه الشياطين إلا الحس الجغرافى الأصيل . فليست الجغرافية سوى التأمل فى الطبيعة حية وجامدة ، والغوص فى أعماق أعماقها ، ومحاولة الكشف عن أسرارها . والطبيعة تخلق كل يوم جديداً ، وتخرج من القلب ألف مثال ومثال . وما الكلام ، وما الصور ، وما الأنغام إلا أنفاس الطبيعة ، يحس الفنان بسجزها الظاهر فإذا بها صورة يخططها

بالألوان ، أو قصيدة يكتبها بالكلمات أو موسيقى يشنف بها الآذان. ويحس الجغرافى بسحرها الباطن فيحاول أن يكشف عن كنهه: وإذا قنع الفنان بما يبدو على وجه الحياة من منظر أو مايظهر فى النفوس من مشاعر ، فان الجغرافى لا يكتفى بما يبدو بل يحاول أن يعرف ما استتر وهكذا فالجغرافيون كلهم فنانون وشعراء ، فى كل واد يهيمون ولكن لايتبعهم الغاوون . ولايقولون مالا يفعلون ..

ويحصل الفتى على شهادة البكالوريا فى سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف وكانت مصر قد شرعت بعد حصولها على الاستقلال فى إقامه علاقات دبلوماسية مع الدول . ويتطلع الفتى الطموح إلى العمل بالسلك السياسى ، والطريق إليه فى تلك الأيام كلية الحقوق ، ويرحب بذلك أهله ، ولكنه لايلبث أن يعدل إلى وجهة أخرى هى كلية الآداب التى فتحت باب القبول لأول دفعة من الطلاب ، فيعزفون عنها فمستقبل خريجها مجهول ، ولكن سليمان يكون ثانى اثنين يغامران بالدخول ، فقد تحركت فيه روح الشاعر القديم التى تتطلع دائما إلى ماوراء الأفق ، ويتبعه فى تردد فئة من اللدات تغل عن الثلاثين .

وينبغ سليمان فى قسم الجغرافية ، ويضيف إلى دراسته دراسة أخرى فى قسم الاجتماع .. فإن وجد فسحة من الوقت فقسم اللغة العربية هواه ، وتنشأ بينه وبين عميد الأدب العربى مودة ويصبح من مريديه .

ويتخرج سليمان من الجامعة فى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ، فيختار فى بعثة إلى انجلترا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه ، فلا يقنع بالدرس فى الجامعة التى قيد فيها بل يسعى للقاء العلماء فى غيرها من الجامعات . وتقدره جامعة مانشستر فتوفده فى بعثة علمية لزيارة اليمن ليعود من سبأ بنبأ يقين . ويحصل سليمان على درجة الدكتوراه ويكون ثانى مصرى يحصل عليها فى حقل الجغرافية ويحقق ما عقدته عليه الجامعة من آمال .

ويعود صاحبنا إلى وطنه بعد غربة طالت ، ويعين مدرسا فى كلية الآداب بالقاهرة ، فيكون كالعهد به دائماً طرازاً فريداً فى الدرس والتدريس حتى إذا ما أنشئت فى الاسكندرية جامعة وقع عليه اختيار القائمين بالأمر فيها ليكون من بناتها ويشغل وظيفة أستاذ مساعد فأستاذ لكرسى الجغرافية بها ، ولكن المناصب العامة لاتلبث أن تنتزعه من مدرجات الدرس وصحبة الطلاب ليعمل مديراً عاماً للثقافة فى وزارة المعارف ، وتشهد إدارة الثقافة على عهده نهضة شاملة وتتوطد علاقات مصر الثقافية مع شتى أقطار الوطن العربى والعالم ، بفضل ماعرف عن مدير الثقافة العالم من رحابة فى الفكر ، وأصالة فى الرأى ، وسلامة فى القصد ، وحب للخير

ويكون من حظ التعليم الجامعى أن يعود سليمان حزين إلى ميدانه مرة أخرى ، وما كانت صلته به قد انقطعت قط ، فقد ظل وهو بعيد عنه يلتف من حوله تلاميذه ومريدوه ، فيغدق عليهم من علمه ، ويمنحهم من الإرشاد والتوجيه ما ينير لهم الطريق . ويعين حزين رئيسا لجامعة أسيوط وكان قد مضى على صدور المرسوم بانشائها سنوات ، ولكنها بقيت مجرد لافتة على مبنى صغير فى أحد شوارع القاهرة ، حتى هيأ الله لها الرئيس الذى أيقظه العزم ، وفقهه الحزم ، فقام فى نحر الأمور ، على ساق التشمير يبرمها بأيده ، ويغلها بحده ، وينفذها بجده فاذا بالجامعة التى كادت تغشيها الظلال تتجلى عروساً بين الجامعات بمبانيها الواسعة ، وهيئة تدريسها المتكاملة ، ونظامها الفريد .

ويترك حزين جامعة أسيوط وقد اشتد عودها إلى ميدان آخر أرحب وأوسع ، إذ يختار لتولى وزارة الثقافة فإذا هو فيها قطب صواب تدور به الأمور ، فهو لايضع رأيه إلا موضع أصالة ، ولايوجه تدبيره إلا إلى موقع أصابه ، ويسوس الأمور :

بعزائم لو كن يوماً أسهما
لنفذن فى الأيام غير نواب

ولايكاد حزين يترك الوزارة ، حتى تسعى إليه هيئة الأمم عرفانا بفضله وغزير علمه فتسند إليه إدارة المركز الديموغرافى لشمال إفريقيا فينهض بالأمانة ، ولايزال يؤدى رسالة المركز العلمية كأحسن ما تؤدى الرسالات .

ولم يكن المجال الوظيفى وحده هو الذى استأثر بجهود الأستاذ الجليل ، بل امتد نشاطه إلى العديد من الهيئات العلمية ، فهو عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ومقرر المجلس القومى للتعليم ، واجتمعت له رياسات عدة هيئات منها المجمع العلمى المصرى ، والاتحاد الجغرافى العربى ، والجمعية الجغرافية المصرية ، وهو فى كل هذه الميادين شعلة نشاط ، حتى لتحسبنه فى شرخ الشباب لايزال ، ولكنه يعالج الأمور بحكمة الشيوخ .

السيد الرئيس ، السادة الزملاء .

هذا طرف يسير من سيرة الزميل الجديد الذى أولانى المجمع شرف استقباله ، وإن مجال الحديث عن علمه وفضله لذو سعة ، ولكن لا أريد أن أشق عليكم فأطيل الحديث ، وإنى أهنئكم بانضمامه إلى زمرتكم وستجدون منه ماتقر به الأعين .

أما أنت يا أستاذى الجليل ، ويا أخى الأكبر ، فخذ مكانك الذى أنت به جدير بين سدنة الفصحى وحماتها ، ولك تهنئة من القلب خالصة .

والله يوفقك وإيانا إلى الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،

محمد محمود الصياد
عضو المجمع

• • كلمة الدكتور سليمان حزين

بسم الله ، الحمد لله نزل الكتاب بلسان عربى مبين .

أيها الأخ الكريم رئيس المجمع أوعميد المجمعيين .

أيها الإخوة الكرام ، أيتها السيدات الفضليات .

سئل أستاذ قديم يوماً ما : أتحب أن ترى أحداً من الناس خيراً منك وأسبق فى عمله وحظه من الدنيا ؟ قال : نعم ، ولكن أحب أن يكون ذلك أحد اثنين : ولدى أو تلميذى . وها أنا اليوم أسعد ما أكون إذ يسبقنى ابنى وأخى وتلميذى إلى هذا المجمع الأستاذ الدكتور محمد محمود الصياد ، وأن يسعى إليكم ليقدمنى فى هذا الحفل الجليل ، لقد سعدت اليوم السعادة كلها بتقديمى إليكم ، وبأن يكون مقدمى هو أخى محمد الصياد ، الذى كنت دائماً ولا أزال أفخر به وأباهى بين الناس .

لقد تفضل مجمعكم الكريم فأضفى على هذا الشرف واختارنى لعضويته ، وأصارحكم بأننى كنت دائما أحس أن هذا المجمع هو المنتدى الذى يتجه إليه كل من كان من حظه أن يجمع بين العلم فى مادته ، وبين اللغة فى تعبيره ، وأن يجد من التعبير السليم سبيله لأن يصل بعلمه إلى الناس وصولا صحيحاً ،

وأؤكد لكم أننى كنت ولا أزال أفاخر بأنه قد سبقنى إلى هذا المجمع العتيد أساتذة كان لهم الفضل كل الفضل فى تكوينى : أولهم لطفى السيد ؛ فقد تلقيت عنه العلم فى كلية الآداب أول ماكانت كلية الآداب ، منذ نيف وخمسين عاماً فى مجال الفلسفة ، ومجال الفكر الإنسانى فى أصوله الرفيعة ، ومنهم طه حسين ، فقد تعلمت عنه كيف تكون دراسة أدب اللغة سبيلا إلى إنعام التأمل فى مجال الفكر والثقافة ، وتعلمت منه أكثر من ذلك . . . . كيف يكون الأسلوب العلمى فى تناول دراسة الأشياء دراسة الأفكار والآراء ، وكيف تكون صناعة بناء الرجال وتكوين الأجيال المترابطة من المفكرين . ومنهم منصور فهمى ، وقد تعلمت عنه دروس الفلسفة ، وتعلمت عنه تبسيط العلم والمادة بعيداً عن التعقيد ، ومنهم أحمد أمين ، وقد تعلمت عنه دراسة اللغة وتاريخها كلغة ، واستكملت معه مابدأت مع طه حسين فى هذا المجال ، ومنهم محمد عوض محمد ، وقد تعلمت عنه أشياء كثيرة ، لم تكن كلها فى مجال الجغرافيا . تعلمت عنه الجد فى العمل والحساب عليه . كان أستاذاً متعمقاً فى مادته ، صارماً فى حسابه لتلاميذه ، ولم أكن

حين عاملت تلميذى محمد الصياد على المنوال الذى تحدث عنه حين قدمنى إليكم ، لم أكن إلا سائراً على نمط أستاذى وأستاذه محمد عوض محمد .

ومنهم آخرون لم يدخلوا هذا المجمع ، أو دخلوه ولكننى لم أسعد بلقائهم فيه ، منهم شفيق غربال ، كان مفكراً جمع بين العلم والفكر ، وكان من رأيه أن الجغرافيا تتكامل مع التاريخ فى تجلية مقومات حضارة الإنسان ، ومنهم أشخاص كثيرون موجودون بيننا الآن ، لكننى لا أحب أن أحرجهم بالحديث عما يربطنى بهم من ود وفكر وأدب ، ولكن شخصا واحداً منهم غاب عنا الآن .

وكان من قدرى أن أكون فى مقعده ، ذلك هو الأستاذ الجليل المغفور له زكى المهندس وقد جرى العرف بينكم حين يتحدث العضو اللاحق عن العضو السابق ، أن يتحدث حديث الترجمة ، ولكننى أحس أن زكى المهندس قد ترجم له فى المجمع حين قدم إليه ؛ ولذلك فإنى أستاذن فى أن يكون حديثى فى شأن سلفى العظيم حديثاً شخصياً من جهة ثم حديثاً متصلا بجانب واحد من العمل هو جانب اللغة ، من جهة أخرى .

أما الحديث الشخصى فهو من أعماق قلبى ، وأرجو أن أكون فيه صادقاً مع سلفى الراحل كما أنا صادق مع نفسى .

كان أول أسباب المعرفة بيننا فى يوم من أيام الخريف فى كلية الآداب منذ نيف وأربعين عاماً ، بعد أن عدت من الخارج وأخذت سبيلى إلى قاعة الدرس ،وكان صاحبكم طُلَعة ، إن صح هذا التعبير ، يريد أن يعرف كل شيء عمن فى الفرقة من التلاميذ . فهو يعرفهم أولا بنفسه منذ أيام الشيخ عبد ربه فى الكتاب الذى تحدث عنه أخى الصياد حتى اليوم الذى دخل فيه الجامعة دارساً ثم مدرساً . وكان يحب أن يعرف أقصى ما يمكن أن يعرف عن تلاميذه ، اسم الطالب ، والد الطالب ، ماذا يقصد إليه الطالب من المجىء إلى هذا المكان ؟ ماهدفه ؟ لماذا اختار كلية الآداب ؟ مارأيه فى مادة الجغرافيا التى اشتهر عنها أنها مادة جافة عسيرة ؟ ماذا يريد الطالب أن يفعل بعد أن يتخرج ؟ كل هذه الأسئلة كانت تستغرق درساً أو درسين أو أكثر من بداية العام ، ولكن صاحبكم كان يرى أن من واجب أستاذ الجامعة وحقه أن يعرف أقصى ماتمكن معرفته عن تلاميذه وسألت الطلاب واحداً واحداً ، حتى جاء دور فتاة صغيرة ، سألتها عن اسمها فقالت : صفية ، بنت من ؟ قالت : زكى المهندس قلت لها أنا أعرف شيئاً عن والدك . وهو مهندس بمعنى أو بآخر ، مهندس فى اللغة العربية ، ولكنى لم ألبث أن قلت لها : بلغى والدك أنك ، منذ اليوم ، شركة فى التكوين بينه وبينى ، عليه الصرامة

فى الحرص على تقويم لسانك العربى ، وأنا على الجغرافيا ، وقلت لها أكثر من ذلك : عندما يجىء الحساب والامتحان آخر العام سيكون حسابك مزدوجاً ، عن الجغرافيا وعن اللغة العربية معاً . وإننى لأشهد أن والدها قد أوفى بوعده أو بما استوعد عليه ، فسعى إلى أن يستقيم لسان ابنته حتى أنه عندما جاء امتحان آخر العام فإن صفية حققت نجاحها فى الجغرافيا بفضل سلامة أسلوبها العربى فى كتابة الإجابة . ثم دارت الأيام والتقيت بالمهندس مرة أخرى ، فى شخص ولد من أولاده حينما عهد إلى بشئون وزارة الثقافة، فحاولت أن أتعرف على العاملين فيها من أهل الثقافة والأدب والفن . وكان من بينهم شاب فنان هو فؤاد المهندس . وجاءنى فؤاد ، دخل على فذكرت له ماكان من شأن لى فى كلية الآداب مع ابنتنا صفية ، منذ فترة مضى عليها إذ ذاك قرابة ثلاثين عاماً . ولكننى قلت له مداعباً إن يد الوزير أقصر من يد الأستاذ ، حتى فى الحساب على اللغة العربية . فضحك ووعد وعداً لست أدرى إلى أى حد أوفى به ، لأن عمر الوزارة كان أقصر من أن يتيح الوقت لحساب موعود أو متوعد . ولقد انتهت هذه القصة إلى والده رحمه الله ، فجاءنى إلى الوزارة مهنئاً ومقدراً لامتداد الصلة بيننا إلى اثنين من أولاده . ودار الحديث ، فذكرت له إننى حرصت منذ اليوم الأول فى الوزارة على أن يكون مجمع اللغة العربية بين الهيئات ، بل وعلى رأس الهيئات التى تسعد وزارة الثقافة وتشرف بأن تكون فى خدمتها ، ولكنه أ إلا أن يسأل لماذا ؟

قلت : لأننى عاصرت عمل المجمع ولمسته من قريب منذ كنت مديراً عاماً للثقافة بوزارة التربية والتعليم . وكان المجمع جزءاً من الوزارة إذ ذاك ، ثم إننى أشعر بحق وصدق أن عمل المجمع أكبر وأوسع نطاقاً من عمل وزارة التربية والتعليم ، كما أنه أكبر وأبعد شأناً من عمل وزارة التعليم العالى ، التى لم يكن لها فى رأيى من عمل إلا أن تكون وسيطاً للتنسيق بين الجامعات ، وكان من رأيى أيضاً أنه مما أساء إلى المجمع بين الناس ، وجعلهم يتندرون ببعض ما ينتهى إليه من مصطلحات هو أن المجمع نشأ وبقى فترة من الزمن بمعزل أو شبه معزل عن حياة الناس وثقافتهم العامة ، وأنه مما يقوى مكانة المجمع بين الناس أن يكون موقعه فى الوزارة التى تقوم على شئون الثقافة العامة . فليس المجمع من أجل تلاميذ المدارس وحدهم ، وليس من أجل أساتذة التعليم العالى ، بقدر ما هو من أجل الناس بعامة ، ومن أجل اللغة التى تحتوى ثقافة الجميع .

والوزارة التى ترعى ذلك إنما هى وزارة الثقافة ، ومن هنا وجب أن تكون وزارة الثقافة فى خدمة مجمع اللغة العربية . وأنا لم أحاول أن أستأثر بالمجمع إذ ذاك دون وزير غيرى، وإنما حاولت أن أتيح الفرصة للمجمع فى أن يستأثر بالمكان اللائق بين وزارات الخدمة فى مصر ، ويبدو أن هذا الحديث أعجب أستاذى زكى المهندس ، ولكنه عاد فحذرنى تحذير الصديق ، قال إن المجمعيين لن يقنعوا بالحديث أو القول ، وإنما يقنعهم العمل وحده . وحتى إن اقتنعوا فلن تكون قناعتهم كاملة . والمح فى حديثه الذى أذكره الآن كما أذكر نفسى ، ألمح إلى أن المجمعيين قد يمنحون الثقة وقد يمنعونها ، وهم قليلا مايمنحون وكثيراً مايمنعون ، ثم قال ولكنى لا أود أن يكون الحديث حديث المنح والمنع ، لأننى لا أريد أن أكون قاسيا على زملائى فى غيبتهم ؛ وإنما الأمر قد يكون بالنسبة إلى كثير منا أمر حجب للثقة ، ولو إلى حين ، وكان كل ما رددت به فى ذلك اليوم على أخى وأستاذى زكى المهندس أننى أسأل الله ألا يكون الأمر حجباً ، بل أن يكون الأمر إرجاء للثقة حتى يتيسر اليقين ! ويبدو أننى كنت صادقاً بينى وبين أخى ، فقد جاءت الأقدار فأكدت أن الثقة كانت مؤجلة ، ولكنه تأجيل كنت أعرفه وأترقبه حتى شاء الله أن أقعد اليوم بينكم فى مقعد أخى وزميلى الراحل الكريم :

هذه سيرتى مع أخى المغفور له الذى أقف الآن بينكم فى مكانه ، لكنى لا أحب أن أختم هذا الحديث قبل أن أضيف كلمة أخرى ، قد تكون لها بقية معكم فى إحدى جلساتكم العلمية فى يوم من الأيام . وهذه الكلمة خاصة بمعنى الخلود الذى يضفيه الناس على هذا المجمع وأعضائه ، والذى أحسب أن الأولى بنا أن نضفيه على اللغة العربية ذاتها وهو خلود لا صلة له بدنيا الرجال والأحياء ، وإن جاز للمجمعيين أن يأنسوا إليه ، وأن يغتبطوا به ، فى حدود مايسمح به خلودهم الدنيوى الزائل . ولكن الخلود الذى يتصل بلغتنا العربية إنما هو فى حقيقة الأمر خلود آخر ، بل هو الخلود بعينه . وقد دخل إليه أخى زكى المهندس يوم أن فارق هذه الدنيا ودخل إليه بحق وصدق ، لأنه كان واحداً ممن أتيح لهم هذا الخلود عن طريق اللغة ، لغتنا العربية ، تلك التى نستطيع اليوم أن نقرأ شعرها الذى كتب أو أنشىء منذ ستة عشر قرنا ، ونستطيع أن نتذوقه ، وهذا ضرب من الخلود النسبى ، لا تضارع لغتنا العربية فيه إلا اللغة المندرية ، وهى لغة أهل الصين . ومع ذلك فإن لغة الصين مصورة ، وليست فى حقيقة الأمر لغة مكتوبة ذات أبجدية وإنما لها صور تعبيرية ، فهى لغة تسمع وترسم أكثر مما هى لغة تكتب وتقرأ حروفها كاللغة العربية . ولست أريد أن أستطرد كثيراً ، ولكننا إذا قارنا اللغة العربية بغيرها من اللغات الحديثة الحية ، فإننا نجد أنها لغة ذات عراقة وخلود متصل ، ففى اللغة الفرنسية مثلا ، لو أننا أحضرنا كتاباً ألف بها منذ عشرة

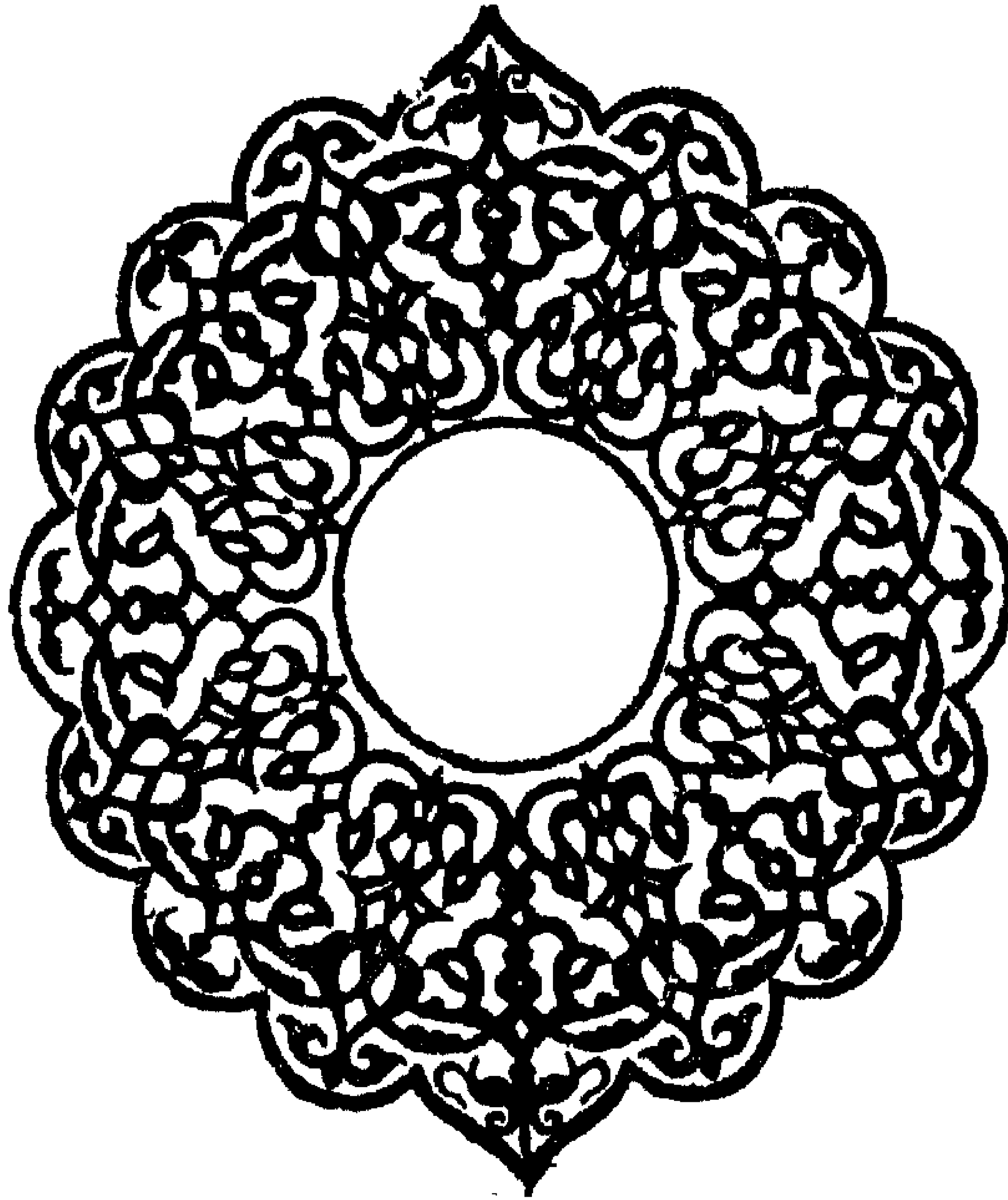
قرون ،وأعطيناه لمثقف فرنسى ، فإنه لن يستطيع أن يفهم منه غير النذر اليسير . وفى اللغة الإنجليزية لايستطيع إنجليزى اليوم أن يقرأ كتاباً ألف منذ خمسة قرون . أما اللغة العربيةفإنها أقدم اللغات الحية المكتوبة بالحروف الأبجدية ، وأقدمها تواريخا وأبقاها تراثا حياً خالداً على الزمن ، بل إن معنى الخلود فيها أعمق من ذلك ، فهو خلود مستمد من خلود كلمات الله سبحانه فى القرآن الكريم ، الذى هو حافظه ومخلد إلى يوم يبعثون ، وستبقى هذه اللغة العربية لغة المؤمنين من الخالدين ومن ثم فإنها حرية بأن تضفى صورة من خلودها ذاك على من يفرغون لخدمتها والقيام عليها فى هذه الحياة الدنيا .

على هذا النحو أريد أن أحيى ذكرى زكى المهندس فى هذا المقام ، وأريد أن أطمئن نفسى إلى أن ذكرى هذا الشيخ الجليل ستبقى خالدة فى العالمين ، وأن عمله فى خدمة اللغة العربية والقيام عليها سيكون مدخله إلى دار الخلود .

أختم كلمتى محييا هذا المجمع العظيم فى شخص عميده وعميدنا جميعاً ، وفى شخصكم جميعاً أحيى هذا المجمع الذى شاء الله أن تكون رسالته الخالدة باقية على الزمن ، والسلام عليكم .

سليمان حزين

عضو المجمع



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٩ من صفر سنة ١٣٩٨ هـ (١٨ من يناير سنة ١٩٧٨ م) أمام المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان . وفيما يلي ما ألقي في الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

سيداتي سادتي نودع اليوم ، وما أقسى أن نودع . والوداع بين الخالدين كثير الوجود . والناس للموت تسير ، والسابق السابق فيه الكرام .

نودع اليوم شيخاً من شيوخ المجمع وهو المرحوم إبراهيم اللبان ، وصلتي به قديمة العهد ، فقد عرفت من قبله والده المرحوم الأستاذ الجليل عبد المجيد اللبان وما أشبه الابن بأبيه وكما قالوا قديماً : الولد سر أبيه .

والحق أني لم أر الأستاذ إبراهيم اللبان إلا وذكرني بوالده الكريم ، ذكرني بلغته الباسمة واستقباله الأخاذ ، ورأيه الصريح وكلمته القاطعة .

وقد عشنا هنا مع إبراهيم اللبان سبعة عشر سنة ، تعاونا بنفس هادئة آمنة مطمئنة ، لا يتكلم إلا حيث يرى للكلام دلالة ومعنى ، ولا يقف عند جزئيات وصغائر الأمور ، استمتعنا بدرسه وبحثه ، وكان ممن يحاولون ربط الأدب بالفلسفة ولا تعنيه الجزئيات بقدر ما تعنيه القضايا الكبرى وحرص الحرص كله على أن يغذي مؤتمراتنا المتلاحقة ببحوث من تلك البحوث طويلة النفس ، يروي فيها ما استطاع ويرغب رغبة صادقة في أن يؤدي هذا الواجب الكريم .

وحين حالت صحته دون أن يقوم بواجبه على النحو الذي يرجوه ، لم يتردد في أن يفلسف حياته ، فكنا نراه في قوة ونشاط فإذا ما أحس بكلل وملل اعتكف وعاد إلينا بنشاط جديد .

وهكذا دواليك إلى أن حان حينه ، ففارق الدنيا في غير جلبة ولا ضوضاء ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عما قدمه لأمته ووطنه خير الجزاء .

وسيقول كلمة المجمع فيه زميلنا الأستاذ عبد السلام هارون ، ويليه الأستاذ عبد الشافي اللبان يلقي كلمة الأسرة .

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

في تأبين المرحوم الأستاذ : ابراهيم عبد المجيد اللبان

أنعى فتى الجود إلى الجود
ما مثل من أنعى بموجود

نعم كان جواداً بحبه للناس ، سخيا بوده لزملائه ، تسرى منه روح المودة إلى خلانه وإخوانه ، فيجمعهم على الخير أشمل مايكون الجمع ، وأفسح مايكون الوفاق والائتلاف. كان باذلا لوفائه وبره لمن عرفه ، مهما يقصر زمان المعرفة .

والجود بالود والحب والوفاء ، دون تعلة ، لأنه ود وحب ووفاء ، درجة لايسمو إليها من الناس إلا عليُّ النفس ، فارع الروح.

ما أيسر الجود بالمال لمن يملكه ، وما أصعب السماح بالحب الصادق لمن طويت نفسه على دغل أو أثرة ، أو اشتمل قلبه على سوء وضغن مقيم .

كان فقيدنا الكريم محباً للناس، عطوفاً ألوفاً ، وكان محباً لربه غالياً فى طاعته ، لارغبة فى ثوابه ولاخوفاً من عقابه،وكأنه كان صنواً لمن قال فيه عمر بن الخطاب : «لو لم يخف الله لم يعصه» .

ولعل أعظم أمنية تحققت له فى حياته ، بعد عضويته لمجمعنا هذا هى عضويته لمجمع البحوث الإسلامية ، حيث استطاع أن يسهم ببحوث صادقة فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وفى الدعوة الإسلامية،تتجلى فى القضايا التى عالجها ببيان وإفصاح ، وألقيت فى مؤتمرات ذلك المجمع .

ففى المؤتمر الأول نجد له بحثاً عنوانه « حق الفقراء فى أموال الأغنياء » .

وفى المؤتمر الثانى : « مكان المرأة فى الإسلام » :

وفى الثالث : « القرآن فى التربية الإسلامية».

وفى الرابع : « القرآن والمجتمع » .

وفى الخامس: « المستشرقون » .

وفى السادس : « إيمان الشباب : صيانته ووسائل دعمه ، يقول فيه « وإجمال القول أنه لابد أن تكون مدرسة الجمعة مقراً لبعث روح الخير وحب الخدمة فى نفوس طلابها ، وساحة فسيحة للتدريب على ممارسة الخدمات الاجتماعية بكل ضروبها ، على أن يكون ذلك

استجابة لروح الإسلام وطاعة لأوامره وتوجيهه » .

كما أن بحثه فى تجديد طرق العرض والنشر الإسلامى فى تحقيق التراث ، بحث دقيق مؤسس على نظرة عميقة فى التأليف الإسلامى وتطويره ، وعلى تصوير لايقوى عليه إلا من وضحت أمامه الرؤية ، فى المكتبة العربية بعامة ، ومؤلفها المسلم بخاصة ، وحمل معه ميزان العلوم التربوية يقيس به الصواب والخطأ فى منهج التأليف على مدى العصور الإسلامية منذ أن بزغ نور الإسلام .

وليس هذا بالأمر الهين على من يتصدى لهذا اللون من التاريخ .

ولا أطيل القول فى بحوثه التى شارك بها فى مجمع البحوث الإسلامية ، فقد كان له فى كل مؤتمر يعقد ، بحث جليل يطالع به العلماء ، منذ نشأة هذا المجمع ، إلى أن تغمد الله الفقيد برحمته :

ولا غرو فى ذلك ، فقد كان الفقيد من أسرة عريقة فى الدين وخدمته ، وكان والده المغفور له الشيخ عبد الحميد اللبان من كبار علماء الأزهر ورجالاته ، وممن لهم المواقف المشهودة ، والخدمات الجليلة ، وكان من ذوى الفضل الظاهر والقدر النبيل ، أنجب رجالا سواسية لا ترى لأحدهم فضلا على أخيه :

وكما كان الفقيد محباً لربه كان عاشقاً للغة كتابه ، وجاهد ما أمكن له الجهاد ، أن يقوم بخدمة اللغة فى مجال الكتابة والتعليم والدعوة . . فقد كانت له مشاركة فعالة وحكومة عالية ، بين جنبات هذا المجمع فى قضايا اللغة وعلوم العربية ، دون كلل منه أو سآمة ، فلا يكاد مؤتمر من مؤتمرات مجمعنا هذا يخلو من بحث له مستفيض فى نظرة أدبية ، أو أخرى نقدية ، أو ثالثة جمالية . ويكفى أن نسرد بعض ما عالجه من قضايا العربية فنقرأ له بحثا عنوانه : «الطريقة الحديثة لعرض الأدب » يدعو فيه إلى دراسة الأدب القديم ، فى ضوء النظرات العلمية الحديثة ، وإلى ضرورة التمهيد لكل نص ، ببيان الجو الذى تولّد فيه النص ، والظروف التى واكبها وعاصرها :

وبحثاً ثانياً عنوانه : « نظرة نقدية فى مبادئ البلاغة» قدم فيه درساً نقدياً لأصول البلاغة عند الأقدمين ، ومدى انطباقها على أصولها عند المحدثين . فأعطى للأقدمين حقهم وافياً لم ينقص ، واحتراما كاملا لم يبتر . . . ثم دعا إلى كثير من نماذج الإصلاح ، وطرائق التصوير .

وثالثا عنوانه : « إحياء تراثنا الأدبى» ، وقد نهض فيه ، ببيان قدر التراث الأدبى فى الماضى وما آل إليه فى الحاضر ، ودعا إلى بعث كنوز الأدب العربى ، التى تحتوى عليها أمثال أغانى أبى الفرج ، والعقد الفريد ، وكامل المبرد ، وغيرها من كتب الأدب

الأصيلة ، التي كاد النسيان يجرر ذيوله فيها ، تعفية لها وقضاء عليها .

وبحثاً رابعاً ، يحمل عنوان ، « الوحدة الفنية فى الشعر العربى » حمل فيه حملة شعواء ، على كثير من الشعر العربى الذى لا وحدة فيه وأثار بحثه هذا نقاشاً ممتعاً اشترك فيه كثير من أعضاء المؤتمر ، ولقى إعجاباً واهتماما .

ثم نظهر على بحث له خامس ، وسادس ، يتلوه سابع إلى أن نبلغ العشرين عدًّا ، كلها محاولات طريفة لخدمة الأدب العربى ، والبلاغة العربية . وكلها دلائل على انفساح آفاق المعرفة لديه ، والشغف بالمشاركة فى معظم قنوات الدراسات العربية والإسلامية .

وأعتقد أتم الاعتقاد أن الفقيد رحمه الله لم تسنح له الفرصة الكافية لنشر ما كان يعده من مؤلفات متعددة النواحى . وحينما رجوت الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محسن اللبان ، نجل الفقيد أن يرسل إلى ماعسى أن يكون لديه من مخطوطات ، أبدى عذره مشفوعاً بقوله لا يمكننى «إرساله لكم لضخامة حجمه ، فهو يربو على آلاف الصفحات ، موجود لدينا بالقاهرة والإسكندرية وهو نحو ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كراسة ، دراسات فى الأخلاق وفلسفة الدين ، وتاريخ الأزهر المجيد ، والمثالية فى الأدب والحياة ، وعديد من شتى المواضيع » :

وهكذا لم أستطع أن أعطى الصورة كاملة عن نشاطه التأليفى ، الذى لو أتيح له الظهور لبدا فى عشرات الكتب والتصانيف .

وليس يفوتنى أن أنوه هنا ، بمؤلفاته التى ظفرت بها الطباعة العربية ، وخرجت إلى النور وهى :

١ — الفلسفة والمجتمع الإسلامى .

٢ — طرق تجديد المجتمع .

٣ — العدل الاجتماعى تحت ضوء الدين والفلسفة .

٤ — مشكلات الفلسفة .

٥ — منهاج المسلم فى الحياة .

٦ — الحياة الإنسانية : أهدافها ونظمها العامة .

٧ — المستشرقون والإسلام .

أما المخطوطات التى لم تتح لها فرصة الطباعة فهى :

١ — أصول النقد الأدبى .

٢ — فلسفة الفنون الجميلة .

٣ — نظرة الوجود المادية والمثالية .

٤ — فلسفة الأخلاق ونظام المجتمع .

ولم يكن الفقيد غائباً عن الرأى العام فى الصحف ، وكثيراً ما قرأنا له الرأى الصائب والتوجيه السديد .

وكان آخر ما نشر له ، وذلك بعد أسبوع من وفاته ، كلمة كان قد أرسلها إلى صحيفة الأخبار عنوانها «لا مكان للإلحاد

فى بلادنا » دعا فيها إلى مكافحة المذاهب الهدامة التى ترمى إلى القضاء على الأسس الدينية والأخلاقية فى بلادنا العربية متمثلة فى الانحرافات السياسية والاجتماعية المستوردة ، فلقد أكرمه الله ، بأن يستمر فى استعلان جهاده وكفاحه ، فى سبيل الدين وإعلاء كلمته وهو دفين تحت الثرى .

ولعل أصدق مانشر فى الصحف فى بيان فضل الفقيد ما كتبه صاحب نحو النور فى صحيفة الأخبار وهو قوله : «..وقد اعتاد المرحوم الأستاذ اللبان أن يشهد فى السنوات الأخيرة الندوات التى يعقدها الأستاذ أحمد عطية الله فى المعادى ، يجد فيها متنفساً لآرائه وتطلعاته فى الثقافة والتعليم ، ويثرى الحاضرين بعلمه وأدبه وخلقه ، ولا بد أنهم ، كما لا بد أن تلاميذه وزملاءه سيشعرون بالفراغ الكبير الذى خلفه رحيله . وقد فقدت فيه اللغة العربية حاميا من حماتها ، ومدافعا من المدافعين عنها فى يقين ثابت وإيمان صارم بأن اللغة إحدى المقومات الأساسية لوجود الأمة » .

ويقول فيه أيضا : «وهو واحد من الرعيل الأول من أبناء دار العلوم الذين استطاعوا أن يزاوجوا بين الثقافة العربية الخالصة والثقافة الأوربية — دون أن تطغى إحداهما على الأخرى ، فتحجب ما فيها من أسباب تزيد العقل ثراء والفكر انفساحا . ولعل تلاميذه قد درجوا على نهجه فأثروا اللغة العربية وفتحوا أمامها المجال للتقدم والتطور ، دون أن تفقد أصالتها ، أو يضيع أريجها وشذاها .

فى بلدة سنديون التابعة لمركز فوة من إقليم الغربية فى الماضى ، وإقليم كفر الشيخ فى الحاضر ، كان مولد الفقيد فى الثانى من يونيو سنة ١٨٩٥ وفيها كانت طفولته ومرباه ، حتى استقر والده الجليل فى مدينة الاسكندرية فالتحق بالمعهد الدينى الابتدائى ، ثم بالمعهد الثانوى . وكان من المتوقع أن يتم دراسته فى رحاب الأزهر الشريف ، ولكنه ارتأى أن يتمها فى دار العلوم ، حيث قضى سنى دراسته العالية فيها ، وتخرج سنة ١٩١٨ وعين فى فبراير من السنة التالية مدرسا بمدرسة الجمالية واستمر فى سلك التدريس بالمدارس الابتدائية ثم الثانوية .

وحين بعث نظام البعثات الدراسية بعد ركوده عدة سنوات خرج الفقيد فى بعثة إلى جامعة لندن سنة ١٩٣٠ ونال درجة الشرف منها سنة ١٩٣٥ ، كما حصل على دبلوم التربية لمدرسى المدارس الثانوية سنة ١٩٣٦ ، ثم ظفر بدرجة الأستاذية من جامعة لندن سنة ١٩٣٨

وما إن عاد من بعثته حتى ضمته دار العلوم إليها مدرسا لعلم النفس ، ثم انتقل إلى معهد التربية العالى للمعلمات أستاذاً لعلم النفس أيضا ، واختارته وزارة المعارف بعد ذلك مفتشاً عاماً للفلسفة ، ثم عين أستاذا لعلم النفس بكلية

الآداب بجامعة الإسكندرية ، وعاد بعد ذلك إلى مكانه بكلية دار العلوم أستاذاً للفلسفة الإسلامية بها .

وفي سنة ١٩٥٣ عين عميداً للكلية ، فقام بخدمة إخوانه وتلاميذه خير قيام ، في جو من المحبة وحسن الزمالة ، وطيب العشرة حتى بلغ سن التقاعد في سنة ١٩٥٥ .

ولكنه لم يقعد عن العمل ، ولم يفتر نشاطه في خدمة العلم ، فقد انتدب لتدريس الفلسفة وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، وطرق التدريس في معاهد وكليات مختلفة ، منها كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والمعهد العالي للتربية المنزلية ، ومدرسة الخدمة الاجتماعية بكل من القاهرة والاسكندرية .

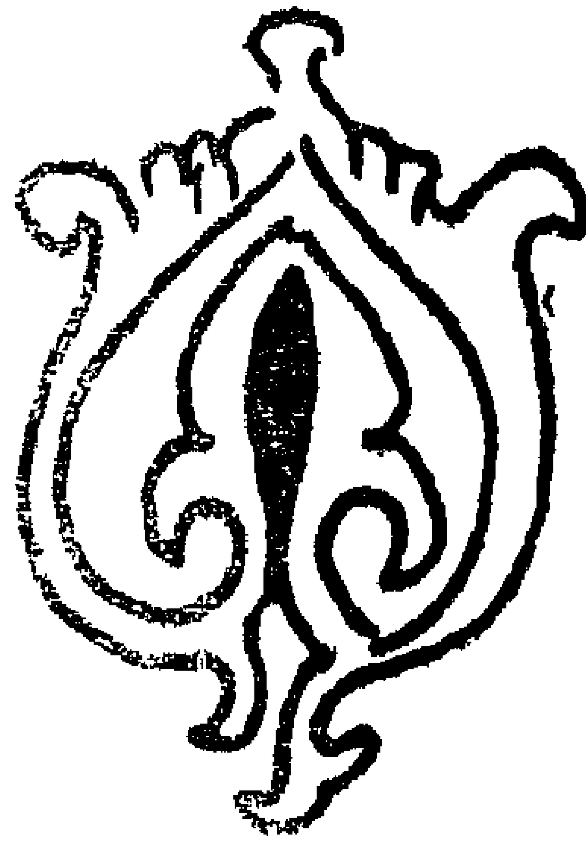
ثم يمتد نشاطه إلى البلاد العربية فيكون أستاذا للتربية بجامعة ليبيا . ويختاره المجمع العلمي العراقي عضواً فيه سنة ١٩٦٩ .

وبمثل هذا وذاك جاد الفقيد بعلمه وفضله ، حتى اختاره الله إلى جواره ، فرجع إلى ربه راضيا مرضياً في رحاب الله وكريم رضوانه . . . لنفقد بوفاته أخاً كريماً ، عز فقده على إخوانه ، وغادر فراغاً في لون من الناس قل أن يجود بمثله الزمان .

غفر الله له وأرضاه .. ، وأكرم منزله ومثواه .

عبد السلام محمد هارون

عضو المجمع



كلمة الشعر

●● للدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش

لا يعرف المرء ما يخفى له القدر ... لو كان يعرف ماذا ينفع الحذر
سيف المنية مسلول وقاطعه ... يهوى علينا فلا يبقى ولا يذر
كل لـه ساعة لا ريب آتية ... فيها منية ليست لها نـذر
إن مد فى العمر لا يدرى مُعَمَّرنا ... هل حل موعده أو سوف ينتظر
ليست لنا حيلة فى الرزق ناجعة ... أو عندنا من شفيع حين نحتضر
من يزرع الحب لا يعلم أيحصده ... أم يدرك الزرع أو بالزارع الضرر
لا يعلم الغيب دون الله من أحد ... لا يدعى الغيب إلا كاذب أشر
لكن ربك أعطى المرء موهبة ... بالعقل يدرك ما يخفى ويستتر
ينسى الممات فيمشى فى مناكبها ... فإن تذكر حل اليأس والكدر
لو كان فى غيبة الأجرام ترضية ... للموت ما بزغت شمس ولا قمر
هل من سبيل إلى خلد بلا أمد ... أو أن سهم الردى لابد ينتصر
أم الحمام فناء ليس يعقبه ... بعث فبشرى لمن فى هذه يذر
إن قيل إن جماداً لا فناء له ... هل يقبل العقل أن الروح تندثر
لله مرجعها بالعدل موضعها ... إما النعيم وإما النار تستعر
إن الأجنة بالأرحام غافلة ... حتى إذا خرجت تسعى وتنتشر
أرواحنا مثلها بالجسم قابعة ... حتى إذا فك هذى الأسر تنتشر
كل يعيش مع الاجداد مرحلة ... ليست له حيلة فيها ولا أثر
حتى يجىء إلى الدنيا لمرحلة ... أخرى يعمر حينا ثم يستتر
من بعدها نشأة أخرى لمن صلحوا ... جنات عدن ونيران لمن كفروا
يا رحمة الله صفحا إن أولنا ... ضعف وآخرنا والدمع منهمر
إن الشهادة بالتوحيد مغفرة ... والشرك بالله ذنب ليس يغتفر
أستودع الله خلا عالما ورعا ... لم يبق لى منه إلا ذكره العطر

نجل الأفاضل فى علم وفى أدب ... فى شرعة الله لا يعفو لهم أثـــر

عف اللسان رقيق الحس مرهفه ... من مثله فى صفاء القلب يختبر

إن البراعة تبدو فى ملامحــــه ... كالبحر تحفظ فى أصدافه الدرر

دين وعلم وأخلاق وتجربـــة ... لا يقبل الضيم يعفو حين يقتـدر

بالحق يقوى ويقوى الحق فى فمه ... لا يعدم الرأى حين الرأى يفتقـر

دار العلوم بكت حقا عمادتـه ... والمجمعان تعاليا له ذكـروا

من عاش للدين والفصحى فهجرته ... لله حين يحل الوعد والقـدر

بين الصحابة بالفردوس مقعده ... والصالحون وأهل العلم تنتظر

الدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

عضو المجمع



كلمة الأسرة

●● السيد السفير محمد عبد الشافى اللبان شقيق الفقيد

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الأستاذ الكبير رئيس المجمع الموقر :

أساتذتى العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

نيابة عن أسرة المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان ، يقف ابن من أبنائه ، شاء له قدره أن يرى أشقاءه جميعا يرحلون عن هذه الدنيا ، واحدا بعد واحد .. يقف بين أيديكم هذا الموقف الحزين ، ليشكر لكم ما تفضلتم به من كريم المواساة ، وجميل العزاء ، ويذكر بالعرفان العميق ما أبداه الأخوان الكريمان :

الدكتور إبراهيم بيومى مدكور

والأستاذ عبد السلام هارون

نحو شقيقه المرحـــوم الأستاذ إبراهيم اللبان . . من تقدير وإعزاز ، وزمالة وأخوة صادقة كريمة . . كنت أسمع منه الكثير عنهما .. وعن داركم هذه .. صومعة العلم والأدب الرفيع التى كان وهو بينكم فيها .. يجد نفسه على حقيقتها . . تلك النفس الإنسانية الصافية التى عرفتموه عليها .. والتى أرجو أن تسمحوا لى بان ارجع إلى بعض ذكرياتى تبياناً لخاصتين بارزتين من خصائصها :

الأولى ، أنه كان رحمه الله منذ فجر شبابه مربياً . . كانت سمة العلم ، وعبقرية المربى أول مالوحظ عليه ، وسمعت عنه ، منذ نعومة أظفارى . . أيام أن كانت أسرتنا تقيم بالإسكندرية وكان والدى من شيوخ المعهد الدينى بها . . . .

أذكر وقد كنا فى السنوات الأولى من دراستنا الابتدائية ، أن أخى إبراهيم كان يحرص كل الحرص على اصطحابنا ، نحن إخوته الصغار ، وأترابنا من الأهل والأقارب ، إلى حديقة الحيوان بتلك المدينة (حديقة النزهة) كان المرحوم حينئذ حديث التخرج فى دار العلوم أو فى سنواتها الأخيرة ، شابا سمهريا فى جبته وقفطانه . . وهب نفسه للتدريس والتعليم ، وسلك فيهما منهجا يهدف إلى تربية الجسم والعقل ، ويجمع بين المتعة والفائدة . . تلك المتعة التى كانت تغمرنا ونحن من حوله صبية صغار ، نلهو ونلعب على أرض الحديقة ، وهو معنا فى زى الشيوخ ، لايجد بأسا ولاحرجاً فى قيامه بدور الحكم فى مبارياتنا أو مشاركتنا ، كواحد منا ، بعض تلك المباريات .

أما الفائدة فقد كانت تتحقق في جولاته معنا بأرجاء الحديقة ، ونحن نصغى مشدودين إليه وهو يعلمنا على الطبيعة الكثير من مناهج دراستنا . . في الجغرافيا وعلوم الحيوان والنبات وغير ذلك مما يتصل بها . . كان يقف بنا أمام أقفاص الحيوان والطير . . يصف لنا مواطن سكانها وبيئتها وخصائصها وصفاتها . . ومايطرأ عليها من تغييرات في الطباع والعادات والمزاج . . . وهي سجينة مقيدة الحرية في محابسها . . ويذهب بنا إلى المياه الجارية في قنوات الحديقة وجداولها ومايتخللها من بحيرات صغيرة تتماوج فوق سطحها أوراق نبات « ورد النيل » ويرينا كيف أن كل واحدة من هذه الأوراق الخضراء ، والمياه تحيط بها من كل جانب ، تمثل الجزيرة ، وأنها وهي مجتمعة كما نشاهدها تمثل الأرخبيل . . وهو مجموعة جزر متقاربة . وهكذا يمضى بنا من هذا الواقع الذي نراه أمام أعيننا . . يشرح لنا الممرات والمضايق والخلجان المائية وغيرها من مظاهر الطبيعة ومعالمها . . فيطبع في أذهاننا الصغيرة ماسبق أن درسناه في المدرسة ويضيف إليه الكثير مما يوسع مداركنا ، وينمي فينا القدرة على التفكير ، ودقة الملاحظة ، ويوقظ خيالنا فتصبح الحديقة أمامنا وقد أضفى عليها نوعا جذابا من الحياة .. أكثر قربا إلى نفوسنا يربط بيننا وبينها رباط من الود والمحبة النابضة بالإنسانية ..

تلك الإنسانية التي تمثل الخاصة الثانية التي كان يتميز بها فقيدنا العزيز ، وكان فيها معطاء كريماً إلى أبعد حدود البذل والعطاء .. ظل حياته كلها يعطى أكثر مما يأخذ .. ظل على الدوام نبعاً صافياً يرتوى منه كل من شاء .. كما يشاء .. وقد ترك بعد وفاته الكثير من الآثار العلمية المخطوطة لعل المجمع الموقر يتعاون معنا في تحقيقها والعمل على نشرها بين الناس ، أن يستن بذلك في تكريم الراحلين إلى الخلود من أعضائه سنة حميدة نافعة ، فيها من التقدير لآثارهم ما ترضى عنه نفوسهم المطمئنة في جنة الله ورضوانه .

وفي النهاية ، سيداتي وسادتي ، إذا كان خير الناس أنفعهم للناس ، فإنه لما يعزينا جميعاً أن فقيدنا الكريم ، كان في حياته وفي مماته ، من الأخيار الأبرار الذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ولا حول ولا قوة إلا بالله .



في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٣ من ذى القعدة سنة ١٣٩٨ هـ (٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٧٨ م) أقام المجمع حفل تأبين عضوه الراحل المرحوم الدكتور عثمان أمين . وفيما يلى ما ألقى فى الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور

رئيس المجمع

أنا وعثمان أمين

أيها السيدات والسادة :

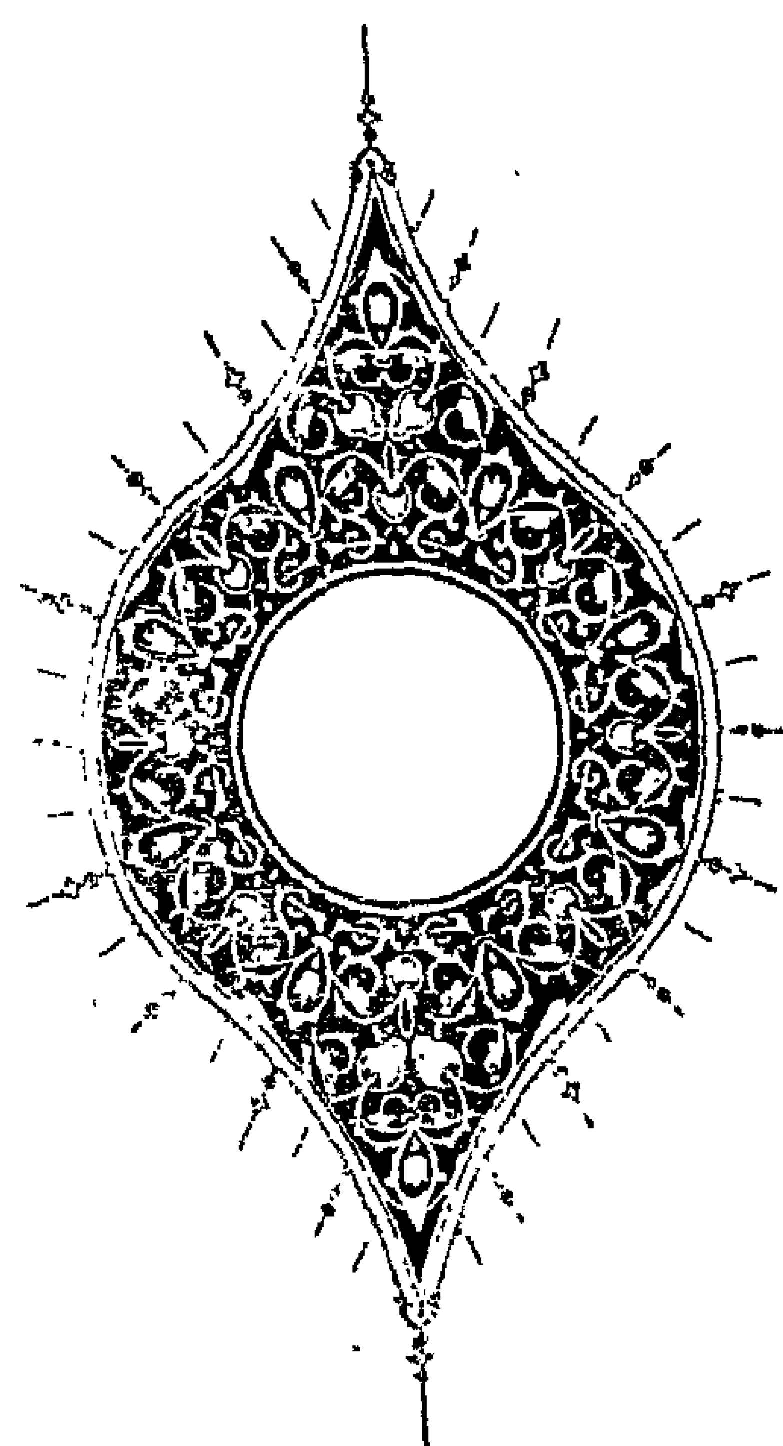
يفقد المرء نفسه شيئا فشيئا حين يفقد الإخوان الأعزاء والزملاء الأوفياء ، ولقد كان عثمان أمين منى فى مقدمة هؤلاء . عرفته شابا ، وصاحبته كهلا وشيخاً . عرفته فى باريس بين الرعيل من مبعوثى كلية الآداب بجامعة القاهرة . وفى باريس مجال فسيح للجد واللهو . وأشهد أن فقيدنا رحمه الله كان جاداً دائماً . أتيحت له موارد البحث والدرس فنهل منها ما وسعه . قرأ فى الأدب والفن ، كما قرأ فى العلم والفلسفة . وتابع كبار الأساتذة ، وتتلمذ لشيوخهم ، وجود لغته الفرنسية إلى جانب لغته الإنجليزية ، وضم إليهما حظاً غير قليل من اليونانية واللاتينية وتوفر له فى مصر قبل سفره زاد كبير من العربية أدباً وعلماً وفلسفة . ولم يصرفه تعمقه فى دراسة الفكر الغربى قديمه ومتوسطه وحديثه ومعاصره ، عن أن يتابع النظر فى الفكر الإسلامى . ويكفى أن أشير إلى أنه استطاع أثناء بعثته أن يحقق كتابا من أهم كتب المعلم الثانى ، وهو كتاب « إحصاء العلوم » لأبى نصر الفارابى ، وجاءت طبعته الأولى وليدة هذه الجهود . وفى حرصه على التجويد ألحق بها الطبعة الثانية والثالثة .

وزاملته فى مصر منذ عودته من أوربا ، فالتقينا على مائدة التدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، واشتركنا فى لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بمجمعنا هذا ، اشترك معنا خبيراً ، ثم عضواً وزميلا ، والمعجم الفلسفى الذى يخرجه المجمع الآن مدين له بقسط كبير من تمحيصه وتحقيقه . واشتركنا أيضاً فى لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية بالمجلس الأعلى للآداب والفنون ، وجمعت بيننا ندوات ومؤتمرات متلاحقة . ولا أذكر أننا اختلفنا قط فى الحكم والتقدير ، أو تباعدنا فى التوجيه ورسم السياسة . وقد رميت يوماً بممالأته والتعصب له ، ويعلم الله أنى لم أرشحه لأمر ، ولم أختره لموقف إلا وهو به جد جدير .

واليوم وقد رحل عنا وخلف ما خلف من فراغ ، فإن الواقع يقتضينا أن نسجل أنه يعد بحق من بناة الفكر الفلسفى المصرى المعاصر . كون رعيلا مرموقاً من الباحثين والدارسين ، وزود المكتبة العربية بزاد وفير سيبقى على الدهر . ولم يفته أن يكتب ويؤلف باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، تغمده الله برحمته ، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته وثقافته .

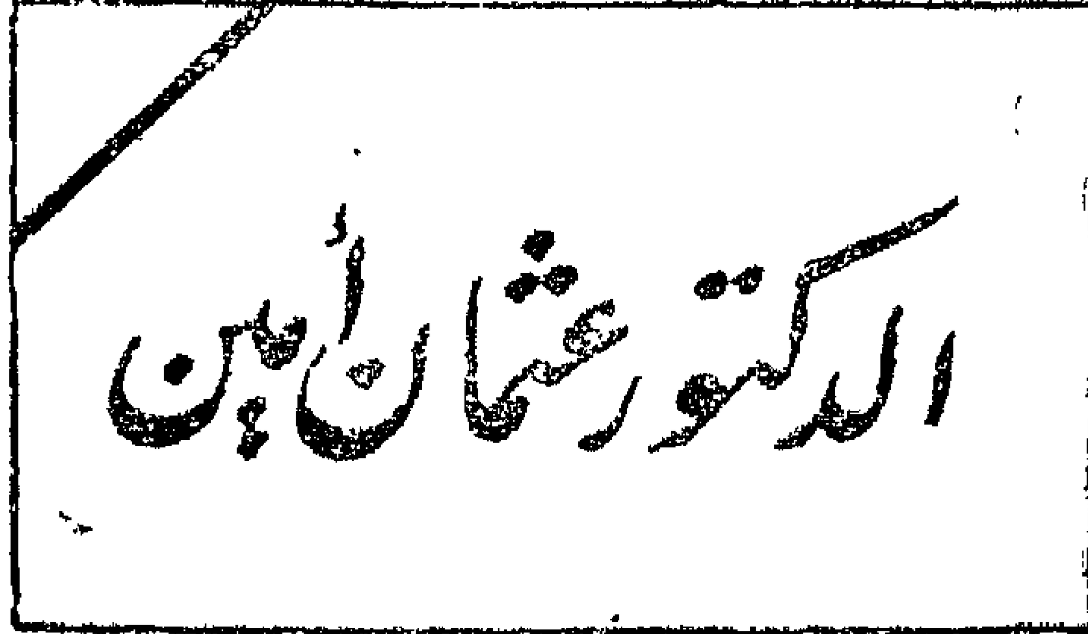
وسيقول كلمة المجمع فيه الصديق المشترك والزميل القديم الدكتور سليمان حزين .

وللأسرة بعد كلمة يلقيها أخو الفقيد الأستاذ محمد عز الدين أمين .



كلمة الدكتور سليمان حزين

فى تأبين المرحوم الأستاذ



بسم الله الأول والآخر ، كانت الساعة ساعة الضياء، وكان الفصل من السنة فصل الربيع وكان النهر الذى نقف على شاطئه نهر دجلة. وهذا النهر يفيض فيضانه فى وقت الربيع حين تذوب الثلوج القادمة من جبال بلوخستان، وكانت القافلة قافلة طلاب كلية الآداب من الجامعة المصرية فى عام ١٩٣٠ م، كانت القافلة بسيارتها العتيقة التى أنهكها الزمن قد قطعت طريقاً عبر بادية الشام التى كانت فى ذلك الوقت خالية من الطرق المعبدة ، سارت القافلة على درب قوافل الجمال ، حتى إذا ماوصلت شاطىء دجلة ألفينا هذا النهر العاتى بمياهه الصاخبة، ولم يكن فى ذلك الوقت من جسر عبر هذا النهر ، وإنما كان العبور فوق جسر هو فى أساسه قرب هواء منفوخة شد بعضها إلى بعض، ونسجت من فوقها قطع الخشب مشدودة بعضها إلى بعض، وأشفق قائد الرحلة على الطلاب من أن يعبروا فوقه بسياراتهم فأشار إلى أن ننزل وعبرت السيارات خالية ثم بدأنا العبور على الأقدام، وكان من بين هؤلاء الطلاب طالب ربعة فى طوله، مشرب وجهه بحمرة تعلوها طيبة الحيا، يلبس طربوشاً طويلا كما كانت عادتنا فى تلك الأيام ويمسك فى يده بعصا معقوفه اليد ، وكانت تلك العصا قد لازمته طوال الوقت . ذلك هو عثمان أمين وكان عثمان أمين منذ تلك الأيام يبهره الجمال الرائع على الشاطىء مأخوذا بجماله، ويرى فى ذلك الشاطىء لوناً من الجمال الذى تمسك به طوال حياته ، وفى تأمله ذاك زلت قدمه عندما بدأنا نعبر جسر القرب المنفوخة وسقطت قدمه وظننا أنه سقط ، ولكنه تمسك ونهض قائما مرفوع القامة كما كان دائماً بشخصيته هذه التى يبهرها جمال الطبيعة، قام وأبى إلا أن يستمر على الجسر مستنداً إلى عصاه ، وكان زميلا لنا فى كلية الآداب، ولكننا كنا ننظر إليه على أنه طالب فاسفة، وعلى أنه فيلسوف أيضا ، نوع جديد بين من يدرسون الفلسفة ، وكان فى كل تصرفاته منذ اليوم الأول فى كلية الآداب فريدا ، وكنا نحاول [دائماً] أن نتلقى الفكر والأدب والعلم عن أساتذتنا [فى

كلية الآداب ، ولكنه اختلف عنا جميعاً ، فى أنه أبى إلا أن يتتلمذ على أساتذة قدامى سبقوا عصرنا بقرون كثيرة ، منهم أفلاطون الذى أخذ عنه قوله إن الفلسفة محبة الفكر والفلسفة حارسة لهذا الفكر ، حارسة للدنيا كلها ، وأخذ عنه أن الفلسفة جمال فى الرأى . ومنذ ذلك الوقت أخذ عثمان أمين يعشق الجمال ، الجمال الحسى والجمال المعنوى ، وانعكس ذلك كله على شخصيته التى أصبحت وبقيت إلى آخر أيامه شخصية جمالية بكل ما يحويه الجمال من معنى رقيق ، وكان إلى جوار ذلك مؤمنا إيماناً قوياً ، وكان يكرر دائماً أن الله سبحانه مالك الجمال المطلق ، وهو يعشق هذه الصفة من صفات الله تعالى ، وحاول أن يتأسى بها فى كل تصرفاته .

وانتقل به الزمن والفكر من الفلاسفة القدامى إلى الفلاسفة العرب ، ومنهم الغزالى الذى رأى أن الحياة حواس ثلاث منبعها القلب فكان يرى أن الإنسان إنما يسمع ويبصر ويحس باللمس ، ويحس بالذوق ، ويحس بالشم كل ذلك عن طريق القلب ، وهكذا بقى عثمان أمين طوال حياته متأسيا بهذا القول الرائع من أقوال الغزالى ، فرأيناه فى كل حياته بيننا يسمع بقلبه ، ويرى بقلبه ويلمس الأشياء بشغاف قلبه ، وأكاد أقول إنه كان يشم رائحة الخبز ورائحة الجمال فى الحياة بقلبه أيضاً ، من هنا انتقل إلى التأثر بأقوال كثيرين من أهل الكلام والمتحدثين والفلاسفة وأهل الفن والفكر العربى كالفارابى وغيره متأثراً بهذا كله فى حياته حتى خرج منها آخر الأمر بفلسفته الجوانية ، كان دائما يقول إن الحياة البرانية للإنسان إنما هى دائماً حياة شكل ، أما المضمون فى الإنسان فهو الجوانية ، ومن هنا رأيناه يهذب جمال حياته ، ويعلم نفسه ، ويثقف نفسه ، فلقد عنى بالغريزة فيه ، وعنى بالعقل والفكر ، وعنى بالنفس والضمير ، وعنى بالشخصية ، غريزته كانت مهذبة ، استطاع أن يهذبها وأن يغلبها فى كل شىء فعاش العيشة البسيطة ، لم تبهره الحياة أبداً ، وإنما بقى دائماً مثال الأستاذ المتواضع ، وأهل التربية يقولون إن تهذيب الغريزة يخرج حيواناً من حيوان كلنا حيوان !! ، ولكن الذين يستطيعون تهذيب غرائزهم هم حيوان آخر ، وأهل التربية يقولون إن تهذيب العقل والفكر يخرج بشراً من حيوان ، وقد استطاع عثمان أمين أن يهذب فكره فى مجالات الجمال ، وقد استطاع بجهده الخاص أن يخرج بنفسه من الحيوانية إلى البشرية . وأهل التربية يقولون إن تربية الضمير تخرج الإنسان من بشر ، وقد استطاع عثمان أمين أن يحيا بضميره وأن يتحكم فى سلوكه دائماً ، ومن هنا فإنه كان واحداً من أولئك القلائل الذين انتقلوا بأنفسهم وبذواتهم من البشرية إلى الإنسانية . وأهل التربية يقولون إن تهذيب النفس يخرج

الإنسان الأرقى إنسانية من الإنسان وقد استطاع عثمان أمين بتهذيب نفسه، بل بما عرفناه عنه منذ كان طالبا فى كلية الآداب، استطاع أن يخرج فى ذاته الإنسان الأرقى إنسانية من الإنسان .

هكذا كانت شخصية عثمان أمين وبقيت حتى فارقنا إلى دار الخلود، وقد امتد فكر عثمان أمين فى العقدين الآخرين من حياته، استطاع أن يبرز نظرية الجوانية، هذه النظرية التى خرجت به من طور الحيوانية إلى البشرية ثم إلى الإنسانية، ثم من الإنسانية إلى إنسانية أعلى هذه الجوانية هى التى جعلت معالم شخصيته، وأنا أذكر أننا عندما اخترناه زميلاً لنا فى المجمع العامى المصرى، وجاء يقدم نفسه فى بحث فلسفى، حاول أن يتحدث إلينا عن هذه الجوانية وبهرنا جميعا، لقد سمعت عثمان أمين أكثر من مرة، وقرأت له أكثر من مرة، تحدثت إليه أكثر من مرة، ولكنى لم أسمعه بمثل هذه الروعة عندما تحدث إلينا فى المجمع العلمى .

وامتازت حياة عثمان أمين بجانب ثان هو جانب اللغة العربية، كنا فى الكلية نختلف إلى بعض دروس الأدب، وكان جانب من الطلاب الذين تخصصوا فى الأدب العربى إلى جانب آخر تخصص فى الجغرافيا أو الاجتماع أو الفلسفة، ولكننا مع ذلك كنا نحاول أن نستمع إلى دروس أستاذنا الدكتور طه حسين، وكنا ننتظر عثمان أمين وبعض زملائه فى قسم اللغة العربية، لأننا مثلنا كمثل عابر السبيل فى قسم اللغة العربية، وأظن أننى قرأت لعثمان أمين عندما جاء إلى هذا المجمع وقد قدم نفسه على أنه عابر السبيل فى اللغة العربية، ولا أظن ذلك إلا أنه كان من جانب التواضع من جانب عثمان أمين، لقد كان أصيلا على طريق اللغة العربية لأنه عنى بالجانب الجمالى فى اللغة العربية، وتعمق فهم الجمال فيها .

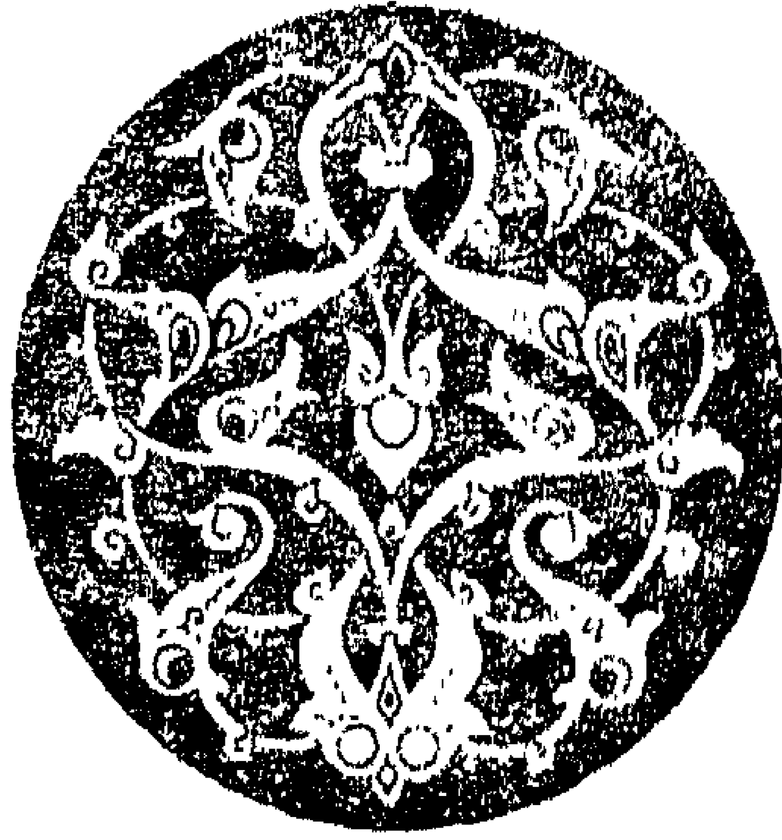
فاللغة جانب منعكس من الإنسان، واللغة العربية بالذات أعرق اللغات الحية، من هنا فإننا إذا أردنا أن نلتمس أسباب البقاء والخلود فى اللغة العربية فإنما ينبغى البحث عن أصولها الجمالية، وكان عثمان أمين سباقا فى هذا، أتعب حياته منذ اليوم الأول فى كلية الآداب فى البحث عن جوانب الجمال وتلمس عثمان أمين طرق البحث عن جوانب الجمال فى اللغة العربية من الطريق المباشر، طريق الجمال فى اللغة، واستطاع عثمان أمين أن يتجه هذا الاتجاه الفذ الفريد الذى فقدناه .

ذلكم كان عثمان أمين الأخ والصديق فى تلك الفئة الصغيرة قليلة العدد فى كلية الآداب، تلك كانت مجموعة من الإخوة، ومن هنا فإننا نفقد جانباً من جوانب أنفسنا كما قال الرئيس حين نفتقد واحدا من إخواننا.

كان عثمان أمين شخصية فذة ، ترك طابعه الجمالي في كلية الآداب، وفي سلوك أبناء كلية الآداب من أبناء ذلك الرعيل الأول ، وقفة عثمان أمين تلك البعيدة على شاطىء دجلة مبهوراً بالجمال ، جمال الطبيعة الرائع ، الذى أدخل فى نفوس زملائه جميعاً الإشفاق والخوف ، عثمان أمين لم ير فى ذلك الموقف الذى ينطوى على الخطر كله إلا جذب الجميع لينبهر به ، وكادت قدمه أن تزل فى قاع اليم ، عثمان أمين هو عثمان أمين الذى عرفناه فى أواخر أيامه لا يرى فى الحياة إلا الجمال ، ولا يرى فى الفلسفة إلا الحكمة ولا يرى فى معاملة زملائه جميعا ــ من أحسن إليه ومن أساء إليه ــ إلا المحبة ، ذلكم كان عثمان أمين الذى دخل الآن إلى دار الخلود وما أرى إلا أنه قد يحمل معه منظار الجمال الذى رأى الدنيا منه ، منظار الجمال الذى سيرى به آخر الدارين حب فى حب وجمال فى جمال .

سليمان حزين

عضو المجمع



كلمة الأسرة

للأستاذ محمد عز الدين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجمع

السيد نائب الرئيس

السيد الأمين العام

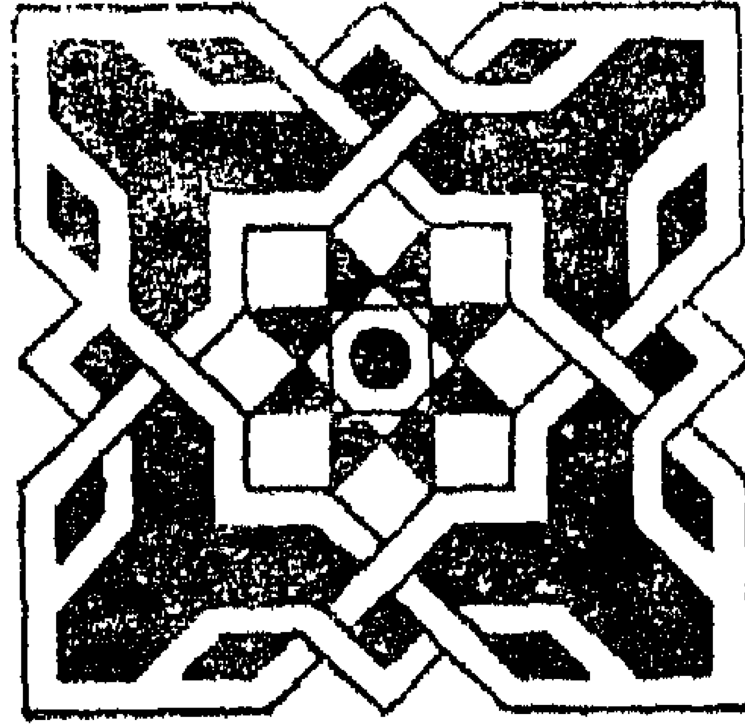
السادة الأعضاء

أيها السادة

الحمد لله الذى لا يحمد على كل مصاب سواه . والصلاة والسلام على رسول الله سيد العالمين ، وما ينبغى أن تكون عليه فى مثل هذه الحالة أن نقول إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا لفراقك يا أخى لمحزونون ، ولكننا لانقول إلا مايراه ربى . اللهم ألهمنا الصبر جميعاً ، وقضاء الله نافذ ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الحياة الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين ، كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

أيها السادة أرجو أن تسمحوا لى فى هذا الحفل أن أقدم إليكم شكراً وعزاء ، فإن كنا نحن أسرة الفقيد فى القرابة والنسب فأنتم أسرة الفقيد فى اللغة والعلم .

أسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته ، وأن يجعله من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، والسلام عليكم ورحمة الله .



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٤٦٦١

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٧٥٧٤-١٩٨٠-٢٠٠٠

